

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى.

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل اليوم الآخر عرضًا ونقدًا.

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة

معتوقة بنت محمد حسن باسل

الرقم الجامعي ٤٢٩٨٠٠٩١

إشراف

أ.د/ أحمد السيد رمضان

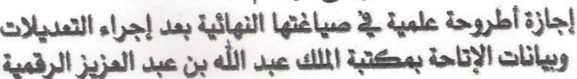
لعام(١٤٣٢ هـ - ١٤٣٣ هـ)


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (١٩)



إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات
وبيانات الإتاحة بمكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية



بيانات الطالب

الاسم	معتوقة بنت محمد حسن باسل			Name
الرقم الجامعي	٤٢٩٨٠٠٩١			University ID
الكلية	الدعوة وأصول الدين			College
القسم	العقيدة			Department
الدرجة العلمية	ماجستير	السنة	١٤٣٣هـ	Academic Degree / year
البريد الالكتروني	mmhb-noor@hotmail.com			E-mail

بيانات الأطروحة (الرسالة العلمية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة العلمية، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٤٣٣هـ ، بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صياغتها النهائية المرفقة، كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه. والله الموفق.

عنوان الأطروحة كاملاً	الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل اليوم الآخر – عرضا ونقدا – .

أعضاء اللجنة

المشرف على الرسالة	الاسم	أ.د/ أحمد السيد علي رمضان	التوقيع
المشرف المساعد (إن وجد)	الاسم	ـــــ	التوقيع
المناقش الداخلي	الاسم	د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب	التوقيع
المناقش الخارجي	الاسم	أ.د البيومي زهير البيومي أبو النجا	التوقيع
المناقش الخارجي (إن وجد)	الاسم	ـــــ	التوقيع
مصادقة رئيس القسم	الاسم	سالم القرني	التوقيع

إتاحة الأطروحة (الرسالة) العلمية

بناء على التنسيق المشترك بين عمادة الدراسات العليا و عمادة شؤون المكتبات، بإتاحة الرسالة العلمية للمكتبة الرقمية، فإن للطالب الحق في التأشير (✓) على أحد الخيارات التالية :

○ **لا أوافق** على إتاحة الرسالة كاملة في المكتبة الرقمية، وأعلم أن للمكتبة الحق في استخدام عملي أو إتاحته في إطار الاستخدام المشروع الذي يسمح به نظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية.

✓ **أوافق** على اتاحة الرسالة في المكتبة الرقمية، وتصوير الرسالة كاملة بدون مقابل.

○ **أوافق** على تصوير الرسالة كاملة بمقابل وفق شروط مكتبة الملك عبدالله الرقمية والتي سبق وأن أطلعت و وافقت عليها.

توقيع الطالب		التاريخ	١٤٣٣/١٢/٢٥هـ

يعبأ النموذج باستخدام الحاسب الآلي، ويوضع أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة (الرسالة) العلمية في كل نسخة من الرسالة

ملخص البحث

العنوان: الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة – عرضًا ونقدًا –.

إعداد الطالبة: معتوقة بنت محمد حسن باسل.

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير —كلية الدعوة وأصول الدين – قسم العقيدة .

تدور فكرة البحث حول ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: عرض موجز لعقيدة أهل السنة والجماعة في كل مسألة من مسائل اليوم الآخر.

المحور الثاني:عرض موجز لأقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة في كل مسألة من مسائل اليوم الآخر.

المحور الثالث: بيان الشبهاتمن الأدلة النقلية والتي تمسك بها المخالفون ، والرد عليها ومناقشتها.

والبحث يحتوي على تمهيد ، واثني عشر فصلا .

التمهيد فيه: التعريف بأهل السنة — التعريف بالمخالفين — التعريف باليوم الآخر — وبيان منزلة الأدلة النقلية عند أهل السنة وعند مخالفيهم.

الفصل الأول: المهدي المنتظر – الفصل الثاني: المسيح الدجال – الفصل الثالث: نزول عيسى عليه السلام – الفصل الرابع: عذاب القبر ونعيمه – الفصل الخامس: الحشر – الفصل السادس : الحساب – الفصل السابع: الصحف – الفصل الثامن : الميزان – الفصل التاسع: الحوض – الفصل العاشر: الصراط – الفصل الحادي عشر: الشفاعة – الفصل الثاني عشر: الخلود والفناء في الدارين .

وفي نهاية البحث خاتمة احتوت أهم نتائج البحث ومنها: بيان وسطية أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد لا سيّما مسائل اليوم الآخر.

ثم أوصيت إخوتي من طلبة العلم بإكمال الشق الآخر من هذا المشروع الرائد والذي يتمثل في دراسة الشبهات العقلية لمسائل الاعتقاد .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

Abstract

Study Title: Traditional Dubieties of those in Conflict with Ahlusunnah waljamaa (the Sunnis & the community), Presentation & Criticism.

Prepared by Student: Maatoogah Mohammed Hassan Bassil.

A thesis presented to obtain the master degree, Faculty of Call & Religion Fundamentals, Department of Islamic Ideology.

The research idea tackles three main dimensions:

First Dimension: A brief about ideology of Ahlusunnah waljamaa in the issues of the last day.

Second Dimension: A brief about sayings of those in conflict with Ahlusunnah waljamaa in the issues of the last day.

Third Dimension: Explaining the traditional proofs of the conflict and replying to them academically in the light of the holy Quran and Sunna and according to the understanding of Salaf.

The research contains an introductory and twelve chapters.

The introductory: Introducing Ahlusunnah (Sunnis), in conflict groups, the last day as well as clarifying the position of traditional proofs in Ahlusunnah and in conflict groups.

First Chapter: Awaited Mahdi, Second Chapter: Antichrist, Third Chapter: Jesus Descent, Fourth Chapter: Grave's Torture and Blessing, Fifth Chapter: Hashr (gathering), Sixth Chapter: Judgment, seventh Chapter: Papers, Eighth Chapter: Scale, Ninth Chapter: The Pool, tenth Chapter: Serat (path), Eleventh Chapter: Intercession, Twelfth Chapter: Immortality and Mortality in the Two Places.

The conclusion contained the most important results of the research such as the moderation of Ahlusunnah waljamaa in the ideological issues especially the last day.

I recommended my colleagues to complete the rest of this project represented in studying the intellectual dubieties of belief issues.

Peace be upon prophet Mohammed and his followers.

إهداء

كم تمنيت أن أهدي هذا البحث لأُناسٍ كُثُر من أحبابي .

ولكن القلب أبى إلّا أن يجعله لوالدي رحمه الله تعالى، الذي قضى نحبه بعد أن شاركني ثلثي مدة البحث ، وكان يدعمني بنظرته الحانية ، ودعوته الصادقة ، قائلًا لي : (ناجحة بامتياز إن شاء الله) في كل مرّة كنت أشكو له من أي صعوبة تواجهني.

فأسأل الله أن يجعل هذا الإهداء له داخلا في حديث (أو ولد صالح يدعو له)[1] . وأن يجعله أثرًا من آثاره الطيبة التي تكتب في ميزان حسناته ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يس ١٢). فما البحث ولا كاتبته إلّا أثرًا من آثاره .

وأسّأل المولى جلّ وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ، وأن يجعله من أهل الفردوس الأعلى ، وأن يحرمه على النار إنه هو الولي المنان .

[1] رواه مسلم ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ٧٣/٥

شكر و تقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والشكر كلّه له سبحانه ، هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، وهو أهل الكرم والجود ، وهو صاحب المنّ والفضل والنعم ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل ١٨).

فالّلهم لك الحمد حمدًا كثيرًا بلا عدّ ، كما أنعمت علينا نعما كثيرةً بلا عدّ . والصلاة والسلام على خير أنبيائه وخلقه .

وبعد...

فإنّي أوجه بالغ شكري وتقديري لذلك القلب الحاني (والدتي الكريمة) التي طالما غمرتني بحنانها وإحسانها ودعائها ، فأسأل الله أن يطيل بقائها في طاعته ، ويرزقني حسن برّها .

ثمّ شكري لفارس الميدان (زوجي العزيز) الذي بذل معي الكثير والكثير جدا ، وكان مع ذلك يغمرني دوما بكلماته الطيبة وقلبه الحنون.

ثم شكري للجندي المجهول الذي كان بمثابة الماء الذي يروي البذرة لتنمو منذ بداية المشوار (زوج والدتي) ، وكان دائما ما يتمثل بحديث الرسول ﷺ:(من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا)[1] .فشكر الله سعيه.

ثمّ شكري للكواكب النيّرة التي تضيء حياتي بسناها اللّامع (أخواني وأخواتي) ، فقد كان لكلماتهم الطيبة ، ودعواتهم الصادقة بالغ الأثر في نفسي فبارك الله لي فيهم ، ووفقهم لكل خير.

كما أنّي أتقدم بوافر الشكر والامتنان لمشرفي الموقّر سعادة أ.د: أحمد السيد رمضان ، الذي أحاطني بنصحه وتوجيهه طيل مدة البحث ، وكان قدوة رائعة في أخلاقه وآدابه وعلمه، فجزاه الله خيرا ونفع به .

[1] رواه البخاري ، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير ، ٣٢/٤ .

كما أشكر كل من سعادة الدكتور:شريف الخطيب ، وسعادة الدكتور البنهسي رزق البنهسي اللّذين تكرّما بقبول المناقشة لرسالتي فلا حرمهما الله الأجر الجزيل.

ولا يفوتني أن أشكر كل من كان له يد معونة لي وفضل ، وأخصّ منهم والدة زوجي وأهله الكرام .

وصديقاتي وأخواتي الغاليات: أماني الراشدي ، ونوره الزهراني ، والتوّأم (أنفال وإيلاف).

والحمد لله ربّ العالمين.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١٠٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء ١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ٧١/٧٠).

أمّا بعد ...

فإنّ نعم الله سبحانه وتعالى علينا لا تعدُّ ولا تُحصى، وإنّ من أجلِّ وأعظم نعم الله علينا نعمة الإسلام،وبعثة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإتمام الدين على يديه حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

قال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة ٣).

فأكمل الله لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، فله الحمد والمنّة .

وتمسّك السلف الصالح رضوان الله عليهم بهذا النور والحق المبين ، فصلُحَت أحوالهم واستقامت أمورهم . حتى نبغت نوابغ من أهل البدع والأهواء ، ممن ابتعدوا عن هذا المعين الصافي ، والنور المبين فحصل لهم من الزيغ والضلال كل بحسب بعده.

قال تعالى:﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه ١٢٣/١٢٦).

ولابد من حصول هذاالاختلاف والافتراق بين الناس رغم وضوح الطريق وجلاء نوره، ليحق ويصدق قوله تعالى:﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود١١٨)

.

فافتراق الناس واختلافهم مشاهد معلوم في كل باب ، ومن ذلك ما حصل منالافتراق والاختلاف في باب الاعتقاد وفي أمّات[1] مسائله كالإيمان باللهسبحانه وتعالى ،وبأسمائه وصفاته ، والقدر، والإمامة ، والأسماء والأحكام ،...الخ.

فَضَلَّت في ذلك أفهام كثير من الناس ، وفهموا المسائل على غير وجهها ،ثم استدلوا على هذا الفهم السقيم بأدلة من نصوص الوحي انتقوها حسب ما يتفقمع أهوائهم المنحرفة.

وشرح الله صدور أهل السنة والجماعة إلى الحق ، ففهموا هذه المسائل وفق ما أراد الله ﷻ من كتابه الكريم ، ومن سنة نبيه محمد ﷺ.

وكان الإيمان باليوم الآخر أحد هذه المسائل التي نالها نصيبها من النزاع والاختلاف، رغم كونه من الأمور العظام التي عنى بها الإسلام كثيرا ، حيث ربطه بالإيمان بالله ﷻ قال تعالى:﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (الطلاق ٢٣٢)، وكرر التنبيه على الإيمان به في القرآن الكريم وفي السنة النبوية في غير ما موضع (بل القرآن كله من فاتحته إلى

[1] يقال أمّات الكتب بدون هاء لأنها في غير العاقل، جاء في القاموس المحيط:(ويقال للأم : الأمة والأمهة ج : أمّات وأمّهات ، أو هذه لمن يعقل وأمّات لمن لا يعقل)١/١٣٩١.

خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد)[1].

ورغم كل هذه العنايةبالإيمان باليوم الآخر إلا أنّه قد وقع الانحراف عند بعض الفرق في بعض مسائله ، خالفوافيها المعتقد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة وتعلّقوا بشبهات ظنّوها أدلة صحيحة على ما ذهبوا إليه .

لذلك فإن الاهتمام بالإيمان باليوم الآخر دراسةً وتعلمًا، مع دفع ما يحاك حوله من الشبه والضلالات هو واجب محتم ينبغي أن يشتغل به طلبة العلم ويعنوا به لأهميته ومكانته العالية ، فضلًا عمّا يورثه الإيمان باليوم الآخر من صلاح القلب واستقامة النفس.

ومن هنا فإن هذا البحث سيعرض إن شاء الله تعالىلمسائل اليوم الآخر بذكر الشبهات النقلية التي تمسّك بها هؤلاء المخالفون لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، وبيان تلك الشبه وتفنيدها ، والرد عليها ، وسيكون بعنوان:(**الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان باليوم الآخر**– عرضًا ونقدًا –).

***أسباب اختيار الموضوع :**

[1] معارج القبول لحافظ الحكمي ٧٦٢/٢ .

أولا: المساهمة في دفع الشبهات عن نصوص الكتاب والسنة وذلك ببيان خطأ استدلال المخالف بها ،أو خطأ فهمه لها ، وذكر الوجه الصحيح في الاستدلال بهذه النصوص والذي يتفق مع مراد الشارع منها ولا يعارض ظاهرها .

ثانيا: الرغبة في توطيد الصلة بكتاب الله ﷻوسنة رسوله ﷺ من خلال هذا البحث حيث موضوعه هو (الأدلة النقلية) من الكتاب والسنة ؛فإن العيش مع آيات الله ﷻوسنة رسوله ﷺ،وفهمها الفهم الصحيح الموافق لفهم السلف الصالح مع دفع الضلالات والشبه عنها لهو من خير العمل و أبركه.

ثالثا:تبيين وسطية أهل السنة والجماعة من خلال بيان موقفهم من الأدلة النقلية من حيث:

١.مكانة الاستدلال بها ،إذ جعلوها أساسا للاستدلال ومصدرا للعقيدة.

٢.رد المتشابه منها إلى المحكم الواضح،والجمع بين الأدلة في الباب الواحد من أبواب العقيدة.

رابعا:توضيح خطأ المخالفين لأهل السنة والجماعة في مجال الاستدلال بالأدلة النقلية من حيث إنهم :

١.بنوا أصولا عقلية ردوا لأجلها الأدلة النقلية إما بالتأويل أو التفويض أو التحريف.

٢.استدلوا بنصوص متشابهة تحتمل عدة معان،وتركوا النصوص الواضحة الصريحة.

٣.استدلوا بالأدلة الضعيفة والموضوعة سندا أو الشاذة والمنكرة متنا.

خامسا: وحيث كُتِبَت رسائل في الشبهات النقلية في بعض مسائل الاعتقاد كالقدر،والإمامة والصحابة،والنبوات ،وتوحيد المعرفة والإثبات...الخ ضمن مشروع علمي في قسم العقيدة، فرغبة في إتمام هذا العمل اخترت مسألة الإيمان باليوم الآخر لهذا البحث، وذلك بجمع شبهات المخالفين في هذه المسألة مع الرد عليها، حيث لم يسبق الكتابة في ذلك على حد علمي ــ والله تعالى أعلم ــ.

***من الدراسات السابقة في الموضوع :**

١.الآثار التربوية للإيمان باليوم الآخر في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، من إعداد: أ/محمد بن حسان النمري.

وقد اشتملت على بيان أثر الإيمان باليوم الآخر على سلوك الفرد والأسرة والمجتمع، فقد اهتمت بالجانب التربوي دون التعرض لشيء من آراء المخالفين.

٢.عقيدة البعث الآخر، رسالة ماجستير، من إعداد: أ/سويلم بن عقاب التوم.

تناول فيه الباحث ما يتعلق بعقيدة البعث في دين الإسلام، وفي غيره من الديانات سواء ذات الأصل السماوي أم الوضعية، فهو بمثابة دراسة مقارنة لجانب واحد من جوانب اليوم الآخر (عقيدة البعث).

٣.الآثار الواردة عن السلف في اليوم الآخر من تفسير الطبري، رسالة دكتوراه من إعداد: د/سعود بن عبد العزيز العقيل .

اعتنى هذا البحث بجمع أقوال وآثار السلف في موضوع اليوم الآخر ، ولم يعرض لآراء مخالفيهم وشبهاتهم.

٤.الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار، رسالة دكتوراه من إعداد: د/غالب بن علي عواجي .

وهذا البحث بمثابة جمع وتقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالفترة الزمنية الواقعة بين البعث ودخول الجنة أو النار، وقد عرّج البحث سريعا على بعض آراء المخالفين من باب التتمة للموضوع ، لذلك لم تكن مبسوطة ومفصلة فيه كما هو الحال هنا في هذا البحث الذي جعل آراء المخالفين وتفنيدها وشبهاتهم التي استندوا إليها مع الرد عليها هو أصل مادته.

وهناك رسائل أخرى في موضوع الإيمان باليوم الآخر، إلا أني لم أقف على أي رسالة تخصصت في الشبهات النقلية التي تمسك بها المخالفون في ذلك.

***منهجي في البحث:**

– اتبعت المنهج الاستقرائي في جمع الشبه وأدلتها.

– اتبعت المنهج التحليلي في تفنيد هذه الشبه وتحليلها ، واستخراج مواضع الاستدلال.

– اتبعت المنهج النقدي في الرد على الشبه ومناقشتها .

– بيّنت عقيدة أهل السنة والجماعة في كل مسألة من مسائل اليوم الآخر، ولم اكتف بمجرد (مفهوم المسألة)كما هو في الخطة ، إذ كان الأمر يتطلب بيان مجمل عقيدة أهل السنة في كل مسألة من المسائل.

– عزوت الآيات إلى سورها برقم الآية في المتن ؛ بعدا عن الإطالة في الهوامش.

– خرجّت الأحاديث في الهوامش ، وسلكت فيه المنهج التالي:

* إن كان الحديث في الصحيحين ، أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما أو من أحدهما.

* وإن كان في غير الصحيحين من كتب السنة فإني أخرجه من مصدره ، مع ذكر حكم العلماء عليه ما استطعت .

- اعتمدت في تفسير الآيات على أقوال الأئمة المعتبرين في هذا الفن .

- واعتمدت في شروح الأحاديث على كتب الشروح الأصيلة في هذا الفن.

- ذكرت المصادر والمراجع في الهوامش بشكل مختصر (الكتاب/المؤلف/الجزء/الصفحة) ؛ وذلك بعدا عن الإطالة وتضخيم الهوامش ، وجعلت باقي بيانات الكتاب مما يتعلق بالطبعة، وتاريخها، ومكانها، والتحقيق ، في آخر البحث عند ذكر المصادر والمراجع.

***خطة البحث وتشتمل على الآتي :**

.مقدمة وتمهيد واثني عشر فصلا

*أما المقدمة فتشتمل على:

أهمية الموضوع،وأسباب اختياره، والدراسات السابقةفي الموضوع ، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

*وأما التمهيد فيشتمل على:

١.التعريف بأهل السنة والجماعة.

٢.التعريف بالمخالف.

٣.التعريف باليوم الآخر.

٤.المقصود بالشبهات والأدلة،ومنزلة الأدلة النقلية عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم.

*وأما الفصول فهي على النحو الآتي :

الفصل الأول: المهدي المنتظر.

- المبحث الأول: مفهوم المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم المهدي المنتظر عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الشيعة في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة الشيعة النقلية من السنة في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الثاني: المسيح الدجال.

- المبحث الأول: مفهوم المسيح الدجال عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم المسيح الدجال عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الجهمية في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الجهمية النقلية من القرآن في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة الجهمية النقلية من السنة في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الخوارج النقلية من السنة في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة المعتزلة النقلية من السنة في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الثالث: نزول عيسى ﷺ.

- المبحث الأول: مفهوم عيسى ﷺعند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم عيسى ﷺعند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الجهمية في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الجهمية النقلية من القرآن في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الجهمية النقلية من السنة في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة المعتزلة النقلية من السنة في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الرابع: عذاب القبر ونعيمه.

- المبحث الأول: مفهوم عذاب القبر ونعيمه عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم عذاب القبر ونعيمه عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الخوارج في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة الخوارج النقلية من السنة في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية :أدلة المعتزلة النقلية من السنة في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الخامس: الحشر.

- المبحث الأول: مفهوم الحشر عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الحشر عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحشر مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المطلب الأول: شبه الشيعة في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الشيعة النقلية من السنة في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الحشر مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل السادس: الحساب.

- المبحث الأول: مفهوم الحساب عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الحساب عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحساب مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المطلب الأول: شبه الشيعة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الشيعة النقلية من السنة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل السابع: الصحف.

- المبحث الأول: مفهوم الصحف عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الصحف عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الصحف مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الشيعة في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الشيعة النقلية من السنة في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الصحف مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الثامن: الميزان.

- المبحث الأول: مفهوم الميزان عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الميزان عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الميزان مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الجهمية في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الجهمية النقلية من القرآن في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الجهمية النقلية من السنة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الخوارج النقلية من السنة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه الشيعة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الشيعة النقلية من السنة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الرابع: شبه المعتزلة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل التاسع: الحوض.

- المبحث الأول: مفهوم الحوض عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الحوض عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحوض مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المطلب الأول: شبه الخوارج في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الخوارج النقلية من السنة في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل العاشر: الصراط.

- المبحث الأول: مفهوم الصراط عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الصراط عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الصراط مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المطلب الأول: شبه الجهمية في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الجهمية النقلية من القرآن في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الجهمية النقلية من السنة في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الخوارج النقلية من السنة في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الحادي عشر: الشفاعة.

- المبحث الأول: مفهوم الشفاعة وأنواعها عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: مفهوم الشفاعة عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في شفاعة الأنبياء عموما وفي الشفاعة في أهل الكبائر خصوصا مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المطلب الأول: شبه الخوارج في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الخوارج النقلية من القرآن في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الخوارج النقلية من السنة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الشيعة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة الشيعة النقلية من القرآن في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة الشيعة النقلية من السنة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الأولى:أدلة المعتزلة النقلية من القرآن في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المسألة الثانية:أدلة المعتزلة النقلية من السنة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

الفصل الثاني عشر: الخلود في الدارين.

- المبحث الأول: الخلود والفناء في الدارين عند أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني: الخلود والفناء في الدارين عند المخالفين .
- المبحث الثالث: شبه المخالفين في الفناء مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المطلب الأول: شبه الجهمية في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الشيعة في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

*الخاتمة ، وفيها أهم النتائج.

الفهارس:

فهرس الآيات — فهرس الأحاديث — فهرس الفرق.

فهرس الأعلام - فهرس المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات.

فهذه هي خطة البحث المقترحة التي تمت معالجتها وفق ما وجد من المادة العلمية ، على أنّي قد اضطررت إلى الاستغناء عن بعض المسائل التفصيلية التي تتضمّن أدلة بعض الفرق من القرآن والسنة ، وذلك لكون أقوالهم مجردة عن أدلة الكتاب والسنة أحيانا أو عن أحدهما أحيانا أخرى.

وكذلك في بعض المطالب التي لم أجد فيها للفرقة المنسوب لها المخالفة أيّ كلام في المسألة ، ولا حتى من نقل العلماء عنها ، فإنّي أضطر إلى استبعاد كونها فرقة مخالفة في هذه المسألة ،كما هو الحال في فصل الحشر حيث نسبت فيه المخالفة لكل من الشيعة والمعتزلة، وفي الواقع لم أجد للمعتزلة في المسألة كلامًا ، فاكتفيت بذكر الشيعة ، وكذلك في فصل الصحف حيث لم أجد فيه مخالفا غير الجهمية ، ونحوهما.

وبعد ، فهذا هو جهد المقل ، فإن أصبت فهو من الله وحده لا شريك له ، فله الحمد والمنّة والفضل على كلّ ما أعان عليه وسدد. وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي ومن الشيطان ، فأسأل الله العلي القدير الغفور الرحيم أن يرحم ضعفي ، ويعفو عن تقصيري ، ثم ألتمس من قارئه العذر والتغاضي مع النصح والتوجيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالين ، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

*و يشتمل على التالي:

أولا: التعريف بأهل السنة والجماعة.

ثانيا: التعريف بالمخالف.

ثالثا: التعريف باليوم الآخر.

رابعا: المقصود بالشبهات والأدلة،ومنزلة الأدلة النقلية عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم.

أولاً: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المراد بالسنة في اللغة:

الطريقة والسيرة ، قال ابن منظور[1]:"والسُّنَّة السيرة حسنة كانت أَو قبيحة... وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة وما تصرف منها والأَصل فيه الطريقة والسِّيرَة"[2].

والمراد بالجماعة في اللغة :

قال ابن فارس[3]:"الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء. يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً"[4].

وقال ابن منظور:"والجماعةُ عددُ كلِّ شيءٍ وكثْرَتُه"[5].

---

١ ابن منظور:هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي،(٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة.. قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة. وقال الصفدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره. أشهر كتبه (لسان العرب)، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا. ومن كتبه (مختار الأغاني)، و (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر) و (مختصر تاريخ بغداد للسمعاني) و (اختصار كتاب الحيوان للجاحظ) ...أنظرالأعلام للزركلي (١٠٨/٧).

٢لسان العرب (٢٢٥/١٣).

٣ ابن فارس:هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ): من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة)، و (المجمل)، و (الصاحبي)في علم العربية، ، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، و (النيروز) في نوادر المخطوطات، و (الاتباع والمزاوجة) و (الحماسة المحدثة) و (الفصيح) و (تمام الفصيح)) الأعلام للزركلي (١٩٣/١).

٤ مقاييس اللغة ج١ص٤٧٩.

٥ لسان العرب (٥٤/٨).

ومعنى أهلُ السُّنَّةِ والجماعة :

"هم المتمسكون بسُنَّة النَّبِيِّ ﷺوأَصحابه ومَن تبعهم وسلكَ سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل ، والذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع ، وهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة فاتّباعُهُم هُدًى ، وخِلافهم ضَلال"[1].

ولأهل السنة والجماعة اصطلاحان:

١.اصطلاح العامة:ويقصد به كل من ليس برافضي، أي من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائفَ إلا الرافضة[2].

٢.وأما اصطلاح الخاصة: فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول إن القرآن غير مخلوق ، وإنّ الله يُرَى في الآخرة ويُثبِت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة[3].

والاصطلاح الثاني–اصطلاح الخاصة– هو المقصود في هذا البحث.

١الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)عبد الله بن عبد الحميد الأثري (٢٣/١).

٢ الرافضة هي إحدى أصناف الشيعة،قال الأشعري:(الشيعة يجمعها ثلاثة أصناف: الرافضة وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي نص على استخلاف على بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاه النبي وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوفيق...) وذكر عنهم آراء خاصة في مسألة الإمامة، فسموا بالرافضة لقول زيد لهم رفضتموني لما أنكر عليهم الطعن على أبى بكر وعمر وتفرقوا عنه لذلك. وذكر أنهم :(أربع وعشرون فرقة وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة على ابن أبي طالب). مقالات الإسلاميين (١٦/١).

بينما ذكر البغدادي أن الروافض قد افترقوا إلى ٤ فرق بعد علي ﵁،فقال:(وأما الروافض فإن السبابية منهم أظهروا بدعتهم في زمان على ﵁ فقال بعضهم لعلى أنت الأمة، فاحرق علي قوما منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام؛ لتسميتهم عليا إلها. ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه اربعة اصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقا والامامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منها تكفر سائرها وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام). الفرق بين الفرق (١٥/١).

٣ منهاج السنة (٢٢١/٢)، بتصرف.

ومما هو مناسب في بيان معنى أهل السنّة والجماعة؛ ذكر مجمل ما يتميزون به عن غيرهم ممن خالفهم[1]، ومن ذلك:

١- أَنَّهم أَهل الوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء ، سواء أكان في باب العقيدة أَم الأَحكام والسلوك أم الأخلاق، فهم وسطٌ بين فِرَق الأمَّة ، كما أَنَّ الأُمة وسطٌ بين الملل .

٢ - اقتصارهم في التلقِّي على الكتاب والسنَّة، والاهتمام بهما والتسليم لِنُصوصِهما، وفَهمهما على مقتضى منهج السلف، مع الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة وَرَدِّ المتشابه إِلى المحكم.

٣- احتجاجهم بالسنَّة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحادًا.

٤- ليس لهم إِمام مُعظَّمٌ يأَخذون كلامه كلّه ويدَعُونَ ما خالَفه إِلا رسول اللّه ﷺ فهم أَعلمُ الناسِ بأَحواله، وأَقواله، وأَفعاله، وأَشدُّهم حُبّا للسُّنَّة،واتِّبَاعا لها، وأكثرهم موالاة لأَهلها.

٥- تركهم الخصومات في الدِّين ومجانبة أَهلها، وترك الجدال والمراء في مسائل الحلال والحرام، ودخولهم في الدِّين كُلّه.

٦- تعظيمهم للسَّلف الصالح، واعتقادهم بأن طريقة السلف أَسْلَم، وأعلم، وأحكم.

٧- رعايتهم للعقل وإعماله ضمن حدوده مع الاعتقاد باستحالة التعارض بين عقل صريح ونقل صحيح.

---

١ ينظر:مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة محمد بن إبراهيم الحمد ص ١١/ الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص ٢٤ / مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة د.ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٢٧.

٨-الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع ونبذ الفرقة، والاختلاف في الدين.

٩- لا يُوالون ولا يُعادون إلا على أساس الدّين، فهم يراعون حق الله تعالىلا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغالون في مُوالٍ، ولا يجورون على معادٍ.

١٠- التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام كالتكفير والتفسيق ونحوهما.

١١- النصحية لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

١٢- سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فهم يعلمون أن الصحابة هم خير القرون.

١٣- سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

ثانيًا: التعريف بالمخالف.

في اللغة:

قال ابن فارس:(خلف) الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر[1].

والأصل الذي نريده هنا هو الثالث، أي مغايرة شيء لشيء آخر.

قال ابن منظور: وتَخالَفَ الأَمْران واخْتَلَفا: لم يَتَّفِقا، وكلُّ ما لم يَتَساوَ فقد تَخالف واخْتَلَفَ[2].

ومن المعنى اللغوي يظهر لنا: أن لفظ المخالف لفظ عام يتناول كل من كان مغايرًا لك في جانب من الجوانب.

وهذا يقود إلى المعنى الاصطلاحي:

المخالف: هو كل من خالفك في أي شيء؛ فهو الوثنيّ والملحد والكتابيّ والمرتدّ والمنافق والمبتدع بدعة اعتقاديه والمبتدع بدعة عملية،وهو المنازع في المسائل الفقهية القطعية والظنية، وكذلك في المناهج المختلفة، سواء كانت دعوية أو سياسية أو عملية أو في أي صعيد. فكل من لا يرى رأيك أو عملك فهو لك مخالف[3].

ولكن هذا العموم الذي يتناوله لفظ المخالف غير مقصود هنا، بل المراد بالمخالف في البحث:هو من خالف في باب الاعتقاد فقط، في نطاقٍ محددٍ منه (مسائل اليوم الآخر).

١يُنظَر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠).

٢ لسان العرب (٩/ ٩١) .

٣ قواعد فقه التعامل مع المخالفين، الشيخ الدكتور سليمان الماجد بحث منشور على موقع نفس الشيخ: http://www.salmajed.com/artman2/publish/_29/294.shtml[/align

والمخالفة في باب الاعتقاد لها أطرافٌ متعددة، يَنظِمُها قاعدة متينة، يقتضي المقام هنا الإشارة إليها ، وهي تنص على أنّه:"ما من باب حدث فيه نزاع بين أهل القبلة إلا ومنه ما هو محلّ اتفاق. فمن خرج عن موارد الاتفاق عند السّلف، قيل: خرج من السُّنة إلى البدعة، وقد تكون هذه البدعة بدعة كفرية، لكن من خرج عن مورد اتفاق أهل القبلة، قيل: خرج من الإسلام إلى الكفر..."[1].

وبناءًا على هذه القاعدة النفيسة نستطيع أن نقول:

إن المراد بالمخالفين في هذا البحث: هو كل من خرج عن موارد الاتفاق عند السلف في مسائل اليوم الآخر.

وهؤلاء هم طوائف أربع:الخوارج[2] ،

---

١ جزء من محاضرة بعنوان :شرح العقيدة الواسطية للشيخ: يوسف الغفيص من موقع الإسلام ويب صوتيات http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=%20138025

٢الخوارج هم:الذين خرجوا على الإمام علي ﷺ وكفروه ،وقد ذكر الأشعري أن هذا إجماع عندهم،فقال قال الأشعري:(اجمعت الخوارج علىتكفير على بن أبي طالب رضوان الله عليه أن حكم وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا واجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك واجمعوا على ان الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما إلا النجدات أصحاب نجدة) المقالات(٨٦/١)بتصرف يسير. وقد عرفهم الإمام ابن حزم بشكل عام بأنهم:(كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان)) الملل والنحل (١١٣/١). وقد ذكر ابن حزم عمدة المبادئ التي يلتقي عليها كل من كان خارجيا فقال: (وأما الخوارج فعمدة مذهبهم الكلام في الإيمان والكفر ما هما والتسمية بهما والوعد والإمامة واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم) الفصل في الملل – ابن حزم (٨٩/٢). واعتبر أن كل من خالفهم في هذه المبادئ فليس خارجيا وإن وافقهم في غيرها،فقال: ((ومن وافق الخوارج من– لعله أراد في– إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا)) . وللخوارج فرق كثيرة جدا منها ما ذكره الشهرستاني: ((وكبار الفرق منهم: المحكمة والأزارقة والنجدات والبيهسية والعجاردة والثعالبة والإباضية والصفرية والباقون فروعهم ، ويجمعهم القول بالتبرئ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا)) الملل والنحل (١١٥/١).

والشيعة[1](الإمامية الاثنى عشرية)، والجهمية[2]، والمعتزلة[3].

وسبب تخصيص هذه الفرق بالبحث دون غيرها:هو أن هذه الفرق المذكورة هي التي كانت لها مخالفات ظاهرة، ومحفوظة فيما يتعلق بمسائل اليوم الآخر. والله تعالى أعلم.

١الشيعة: الشيعة: (هم الذين شايعوا عليا ﷺعلى الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده . وقالوا : ليست الإمامية قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الكلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرؤ قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية)) الملل والنحل للشهرستاني (١٤٦/١) . وللشيعة عقائد وأصول تميزهم،من أهمها: الإمامة،التقية،المهدية والغيبة،الرجعة،الظهور،البداء. للتوسع أنظر:فرق معاصرة د.غالب عواجي(٣٥٨/١ وما بعدها). قال ابن حزم:(وأما الشيعة فعمدة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٨٩/٢).

٢ الجهمية: هي إحدى الفرق الكلامية، وهم أتباع الجهم بن صفوان، قال الشهرستاني عنهم :(أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء : منها : قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيها ... ومنها : إثباته علوما حادثة للباري تعالى لا في محل... ومنها : قوله في القدرة الحادثة : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار...ومنها : قوله : إن حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما... ومنها قوله : من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن ..وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه ونسبته إلى التعطيل المحض وهو أيضا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع) الملل والنحل(٨٦/١) ويراجع أيضا الفرق بين الفرق(١٩٩/١).

٣المعتزلة:هي إحدى الفرق الكلامية وهم اتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري عندما سأله عن حكم مرتكب الكبيرة فجعلوه في منزلة بين الإيمان والكفر، قال الشهرستاني:(والقدرية ابتدءوا بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين فسمي هو وأصحابه معتزلة)الملل والنحل (١ /٢٠)، وسموا بالقدرية بسبب نفيهم للقدر،ولاينتسب أحد إلى المعتزلة حتى يلتقي معهم على أصولهم الخمس التي بنوا عليها مذهبهم وقد ذكرها الأشعري في خاتمة الحديث عنهم قائلا:((فهذه اصول المعتزلة الخمسة التى يبنون عليها امرهم فقد اخبرنا عن اختلافهم فيها وهى التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين واثبات الوعيد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر))مقالات الإسلاميين(٢٧٨/١).

ثالثًا: التعريف باليوم الآخر:

في اللغة:

"الآخِرُ: بعدَ الأول، وهو صفةٌ"[1].

"والآخِرُ : خِلافُ الأَوَّلِ ... والآخرَةُ والأُخْرَى: دارُ البَقاءِ"[2].

والمقصود باليوم الآخر:

هو اليوم الذي يقابل الحياة الدنيا بكل ما فيه من الموت والقبر ونعيمه أو عذابه ثم البعث والحشر والحساب والميزان والثواب والعقاب. وله أسماءٌ عدّة، منها: القيامة، والقارعة، ويوم الدّين، ويوم الحساب...إلخ.

وتسميتُه باليوم لا يعني أنه كأيّام الدنيا المعروفة والمعهودة، بل هو يوم له أول، وليس له آخر، قال الإمام البغوي[3] رحمه الله تعالى:"قال الحسن[4] أيضا: ... يوم القيامة له أول، وليس له آخر لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعًا"[5].

---

١ الصحاح في اللغة للجوهري (٢/٢٠٧).

٢ القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/٤٣٧). بتصرف.

٣ البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء،أو ابن الفراء، أبو محمد، (٤٣٦ - ٥١٠ هـ) ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (التهذيب) في فقه الشافعية، و (شرح السنة) في الحديث، و (لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و (مصابيح السنة) و (الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك. توفي بمرو الروذ. الأعلام للزركلي (٢/٢٥٩).

٤ الحسن: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١ - ١١٠ هـ): تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه.وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحمكة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة. وكتاب في (فضائل مكة) بالأزهرية. توفي بالبصرة. الأعلام للزركلي. (٢/٢٢٦).

٥ معالم التنزيل (٨/٢٢٠).

ومعنى الإيمان باليوم الآخر:" أن تُصدِّق بكلٍّ ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه وبالبعث بعد ذلك والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنّة والنار وبكلّ ما وصف الله به يوم القيامة،وسُمِّي باليوم الآخر لِتأخُرِه عن الدنيا"[1].

وعموم البحث في اليوم الآخر يتعلق بجانبين:

أحدهما: علاماته التي تسبِقه (أشراط الساعة).

الثاني: أهوال ذلك اليوم، وما يحصل فيه.

ولكن هذا البحث لن يعرض إلى كل التفاصيل المتعلقة بهذين الجانبين، وإنما سيكتفي منها بما هو في موضوع دراسته مما يتعلق بشبهات المخالفين.

ومما يجدر ذكره في الإيمان باليوم الآخر:أن مسائل اليوم الآخر من الأمور الغيّبِيّة التي عَلِمناها بالشرع، وفَهِم العقل مراد الشرع فيها، وصَدَّق بها، مع عجزه عن إدّراك كُنهها وحقائقها، فهي أمورٌ خارجة عن نطاق الحس يجب فيها التسليم لله ﷻ ، والتسليم لِرسولِه ﷺ، وهذه من القواعد المعتبرة عند أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالغيب من مسائل الاعتقاد.

ف"الغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله تعالى ولرسوله ﷺ فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها ، قال تعالى:﴿آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة١– ٣) والغيب لاُ تدركه العقول ولا تُحيط به، ومن هنا، فأهلّ السُّنة يقفون في أمر العقيدة على ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، بخلاف أهل البدع والكلام، فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب، وأنّى لهم أن يُحيطوا بعلم الغيب، فلا هم أراحوا عقولهم

---

١ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان (٢٦٢/١).

بالتسليم، ولا عقائدهم وذممهم بالاتباع، ولا تركوا عامّة أَتبَاعِهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها"[١] .

وقد بيّن الشيخ حافظ الحكمي[٢] في أُرجوزته سُلّم الوصول مجمل عقيدة أهل السُّنة والجماعة في اليوم الآخر،فقال:[٣]

وبالميعاد أَيْقِنْ بِلَا تَرَدُّدِ ... وَلَا ادَّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

لَكِنَّنَا نُؤْمِنْ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْيَ عَلَامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

وَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا

وَأَنَّ كُلًّا مُقْعَدٌ مَسْئُولُ: ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ ... بِأَنَّ مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ

وَباللِّقَا وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ

غُرْلًا حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ... جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ وَالسُّفْلِي

فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ ... وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ

---

١ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ناصر العقل (٢٥/١) ، وقال تعليقا على ذلك: ينبغي أن لا يُفهم من هذا أن الإسلام يحجر على العقل ويعطل وظيفته ويلغي موهبة التفكير لدى الإنسان ، بالعكس فالإسلام أتاح للعقل من مجالات العلم والنظر والتفكير والإبداع ما هو كفيل بإشباع هذه النزعة في خلق الله وشئون الحياة وآفاق الكون الواسعة وعجائب النفس الكثيرة ، إنما –كما قلت – قد أراح الله الناس من التفكير فيما لا سبيل له من أمور الغيب . وذلك إشفاقاً على العقل وحماية له من التيه والضياع في متاهات لايدرك غورها ، والله أعلم .

٢حافظ الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٤٢ – ١٣٧٧ هـ)، فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن. ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم وهو يواصل رعي غنمه. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله. من كتبه المطبوعة، وكلها رسائل: (الجوهرة الفريدة في العقيدة) و (اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون) و (النور الفائض في علم الفرائض) و (الأصول في نهج الرسول) و (سلم الوصول إلى علم الأصول أرجوزة، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة) الأعلام للزركلي (١٥٩/٢).

٣ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٣٨/١–٣٩–٤٠) .

وَأُحْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَاب ... وَانْقَطَعَتْ عَلَائِقُ الْأَنْسَابِ
وَارْتَكَمَتْ سَحائِبُ الْأَهْوَالِ ... وَانْعَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ
وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلْأَجْنَادِ ... وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالْأَشْهَادِ
وَشَهِدَتِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ ... وَبَدَتِ السَّوْءَآتُ وَالْفَضَائِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرْ ... وَانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرْ
وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ ... تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ
طُوبَى لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْيَمِينِ ... كِتَابَهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِينِ
وَالْوَيْلُ لِلْآخِذِ بِالشِّمَالِ ... وَرَاءَ ظَهْرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي
وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا ... يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلَا
فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ ... وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلَا امْتِرَاءِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَنْبَاءِ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ ... بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَى الْجِنَانِ ... وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ
وَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا ... مَوْجُودَتَانِ لَا فَنَاءَ لَهُمَا
وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ ... يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ
كذا له لواء حمد ينشر ... وتحته الرسل جميعا تحشر
كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكَرُّمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
يَشْفَعُ أَوَّلًا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى ... كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَلَا
وَثَانِيًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِيمِ لِأُولِي الْفَلَاحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلَا نُكْرَانِ
وَثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الْإِسْلَامِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الْآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْضِ ذِي الْإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي
وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرَانِ ... جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا ... فَحْمًا فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبِتُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ ... حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ

رابعًا: المقصود بالشبهات والأدلة،ومنزلة الأدلة النقليّة عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم.

أمّا بالنسبة لهذا المحور من التمهيد، فإنه قد أشبع من قبل الرسائل المشتركة مع هذه الرسالة في بيان شبهات المخالفين[1]، فلا داعي من إعادة بحثه هنا بالتفصيل، وإنما سيكتفى بالاستفادة بملخص ما ورد في تلك الرسائل:

بالنسبة للتعريفات:

"الشبهات لغةً جمع شبهةٍوالشُّبْهةُ الالتباسُ.

يقول الرّاغب الأصفهاني[2]:هي أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى .

وفي الاصطلاح: واردٌ يرد على القلب يَحُولُ بينه وبين انكشاف الحق.

وسُمّيت شبهة لاشتباه الحق فيها بالباطل، فتظهر للناظر على أنها حقٌ خالص.

وسبب وُرُودِ الشبهات على القلب أمران:

قلةٌ في العلم أو ضعفٌ في البصيرة.

وشبهات الأدلة النقلية ناشئة من أمرين:

---

١ يراجع رسالة الدكتور أنس بن سعيد بن مسفر في الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسألتي الإمامة والصحابة ، ورسالة الدكتورة هند القثامي في الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل القدر، وغيرها.

٢ الراغب الأصفهاني:الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب(٥٠٢هـ): أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.
من كتبه (محاضرات الأدباء)، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) ، و (المفردات في غريب القرآن) و (حل متشابهات القرآن) و (تفصيل النشأتين) في الحكمة وعلم النفس، و (تحقيق البيان) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد) و (أفانين البلاغة) . الأعلام للزركلي (٢/٢٥٥).

١.فَهمٌ فاسدٌ لمدلول النص، إمّا لغرضٍ وهوًى مُتّبع، أو أنّ الحقّ الثابت في نفس النص قد خَفِي على المستدلّ به.

٢.أو نقلٌ كاذبٌ، بوضع الأحاديث ثم الاستدلال بها.

والأدلة: جمع دليل، والدليل في اللغة ما يستدل به ، ودَلّه على الشيء يدُلّه دلًّا ودلالةً فَاندَل: سدَّدَه إليه.

والدليل أيضا المرشد، وما به الإرشاد.

أمّا في الاصطلاح فهو: ما يمكن أن يُتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم، وهو الذي يُنصَب من الأمارات ، و يُورد من الإشارات ما يمكن التوصل به إلى معرفة ما غاب عن الضرورة والحس . أمّا النقل، فالمقصود به: الوحي المعصوم من قرآنٍ وسُنّة"[١].

أمّا بالنّسبة لما يتعلق بمنزلة الأدلة النقليّة عند أهل السُنّة والجماعة وعند مخالفيهم فستنقل مُلخّصة عن رسالة الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة في مسألتي الإمامة والصحابة[٢]:

أولاً: منزلة الأدلة النقليّة عند أهل السُنّة والجماعة:

١.تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها.

٢.اهتمامهم بالسُنّة النّبوية واعتمادهم على الصحيح منها.

٣. صحة فهمهم للكتاب والسُنّة، ووضعوا أصولا لذلك:

أ.الاعتماد على منهج الصحابة ﷺ.

ب.معرفة اللغة العربية.

ج.الأخذ بجميع النصوص الصحيحة وعدم التفريق بينها.

---

١ رسالة الدكتورة هند القثامي الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسألة القدر ص ١٩.

٢ ينظر الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسألتي الإمامة والصحابة ص ١٩ بتصرف.

د.معرفة مقاصد التشريع الإسلامي .

ثانيا:منزلة الأدلة النقليّة عند مخالفيهم:

أ.عدم تعظيمهم للنصوص الشرعية ومحاولتهم العبث بها وتحريفها، ولذلك مظاهر:

١.رد النصوص الثابتة التي تخالف أهواءهم والجرأة في الاعتراض عليها.

٢. العبث بالنصوص الشرعية ، ومن أبرز معالم هذا العبث[١]:

*الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض.

* كتم النصوص.

*دعوى التصديق بالقرآن دون السنة.

*الكذب على رسول الله ﷺ وعدم الاعتناء بالسنة.

*رد حديث الآحاد.

*تحريف الأدلة عن مواضعها.

---

١ يحسن التنبيه إلى أنّ معالم العبث بالنصوص الشرعية التي ستذكر يتفاوت المخالفون والمبتدعة في الأخذ بها وتطبيقها بين مقلٍ ومكثر ، فليسوا هم في هذه المعالم على حدٍ سواء.

هذا بالنسبة لمنزلة الأدلة النقلية عند المخالفين، وحالهم في الاستهانة بها وعدم تعظيمها، وبالمقابل فإن لديهم منهجًا آخر اعتمدوه في الاستدلال، ومنه:

*اعتمادهم على الكشف والإلهام والذوق والرُؤى والحكايات.

*اعتمادهم على العقليات أكثر من الشرعيات.

*اعتمادهم على كتب الفلسفة والكلام ونحوها.

*تقليد الأئمة وتقديس الأشخاص.

الفصل الأول: المهدي المنتظر

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم المهدي المنتظر عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول:

المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول: المهدي المنتظر عند أهل السنّة والجماعة .

المهدي عند أهل السنة (اسمه ونسبه):

هو محمد بن عبد الله من ذُرّية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، يظهر في آخر الزمان، وهو أحد علامات الساعة .

جاء في كتاب إتحاف الجماعة بما ورد في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: "أنّه رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ، من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا"[1].

روى أبو داود عن عبد الله[2] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ». قال زائدة[3] فى حديثه « لَطوّل الله ذلك اليوم ». ثم اتفقوا « حتى يبعث فيه رجلًا مِنّى ». أو « مِن أهل بيتي يُواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبي ». زاد فى حديث فِطر[4] « يملأ الأرض

---

١ التويجري (٢/٣٠٥).

٢ عبد الله :هو ابن مسعود رضي الله عنه.

٣ زائدة: هو زائدة بن قدامة الثقفي (أبو الصلت) محدث ، توفي بالروم غازيا ، له من الكتب: السنن، القراءات، التفسير، الزهد، والمناقب. معجم المؤلفين (١٧٩/٤) ، عن أحمد بن حنبل: المتثبتون في الحديث أربعة: سفيان ، وشعبة، وزهير، وزائدة.وقال: إذا سمعت الحديث عن زائدة وزهير، فلا تبال أن لا تسمعه عن غيرهما، إلا حديث أبي إسحاق.مات سنة ستين، أو إحدى وستين ومئة . أنظرسير أعلام النبلاء (٣٧٥/٧).

٤ فطر: هو فطر بن خليفة، الشيخ العالم، المحدث الصدوق، أبو بكر الكوفي المخزومي، مولى عمرو بن حريث رضي الله عنه الحناط.قال أحمد العجلي: ثقة، حسن الحديث، فيه تشيع يسير. قال يحيى القطان: كان فطر يقول: سمعت سمعت، والمسعودي أحفظ منه.قال الذهبي:ليس بذاك المتقن مع ما فيه من بدعة، ومن أجل ذلك قرنه البخاري بآخر، وحديثه من قبيل الحسن.قال غير واحد: مات فطر بن خليفة سنة ثلاث وخمسين ومئة ، وقيل: مات سنة خمس وخمسين.يراجع سير أعلام النبلاء (٣٠/٧).

قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا ». وقال فى حديث سفيان[1] « لا تذهب أو لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتى يُواطئ اسمه اسمي »[2].

وفي رواية الترمذي: قال رسول الله ﷺ:(لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يُواطئ اسمه اسمي).[3]

وعن علي رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:(المهدي منّا أهل البيت يُصلحه الله في ليلة[4])[5].

وعن سعيد بن المسيِّب[6] قال كنّا عند أمّ سلمة، فتذاكرنا المهدي، فقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول:(المهدي من ولد فاطمة)[7].

---

١ سقيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في(الفرائض) وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته.ولابن الجوزي كتاب في مناقبه.توفي سنة ١٦١هـ . الأعلام للزركلي (١٠٤/٣) وأنظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧) .

٢ سنن أبي داوود ،كتاب المهدي ، (١٧٣/٤) ، قال صاحب عون المعبود:(قَالَ الْمُنْذِرِيُّ . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ حَسَن صَحِيح).

٣ سنن الترمذي ، باب ما جاء في المهدي ،برقم(٢٢٣٠)، (٥٠٥/٤) قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني : (حسن صحيح سنن الترمذي).

٤ يحتمل معنيين: أحدهما : أن يكون المراد بذلك أن الله يصلحه للخلافة؛ أي: يهيئه لها.

والثاني: أن يكون متلبسًا ببعض النقائص، فيصلحه الله ويتوب عليه . (انظر إتحاف الجماعة للتويجري٢/٢٧٧)

٥ سنن ابن ماجه، كتاب الفتن ،باب خروج المهدي ، رقم(٤٠٨٥)،(١٣٦٧/٢)قال الشيخ الألباني : حسن.

٦ سعيد بن المسيب: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي،(١٣- ٩٤ هـ) أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءا. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة. (الأعلام للزركلي ١٠٢/٣)، ويراجع(سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤).

٧سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي ،رقم(٤٠٨٦)،(١٣٦٨/٢) قال الشيخ الألباني : صحيح.

قال السفاريني[1] في شرح الدرّة المضيّة:"وقوله:(محمد المهدي) هذا اسمه وأشهر أوصافه فأمّا اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله"[2]

وقال ابن كثير[3]:"المهدي وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني[4] ﷺ، يُصلحه الله في ليلة أي يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك، ويُؤيّده بناسٍ من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه وتكون راياتهم سوداء أيضاً وهو زِيّ عليه الوقار ؛ لأنّ راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها العقاب"[5].

---

١ السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، النابلسي، الحنبلي (أبو العون، شمس الدين)،(١١١٤ – ١١٨٨ هـ) محدث، فقيه، أصولي صوفي، مؤرخ، مشارك في بعض العلوم. ولد بسفارين من قرى نابلس، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وتوفي بمدينة نابلس في شوال. من تصانيفه الكثيرة: البحور الزاخرة في علوم الآخرة، لوامع الأنوار الإلهية لشرح منظومة الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، معارج الانوار في سيرة النبي المختار في مجلدين،وغيرها (معجم المؤلفين٨/٢٦٢)،ويراجع(الأعلام للزركلي٦/١٤).

٢ لوامع الأنوار /السفاريني ج٢ ص٧١.

٣ ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، (٧٠١ – ٧٧٤ هـ) أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. ومن كتبه (البداية والنهاية ،و (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) و (الاجتهاد في طلب الجهاد و ((جامع المسانيد)،و(اختصار علوم الحديث)و(اختصار السيرة النبوية) وغيرها.(الأعلام للزركلي ٣١٩/١).

٤ النسبة إلى الحسني فيها نظر، وسيأتي التعليق عليها في آخر المبحث إن شاء الله تعالى ص ٢٧ .

٥ابن كثير /النهاية في الفتن والملاحم (٢٦/١).

صفته وعمله:

عن أبي سعيدٍ الخدريﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(المهدي مِنّي أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا يملك سبع سنين)[١] .

وقال صاحب عون المعبود:" واعلم أن المشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجلٍ من أهل البيت يُؤيّد الدّين ويُظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويُسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أَثَرِه ، وأنّ عيسى ﷺ ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويَأتمُّ بالمهدي في صلاته"[٢] .

مدة مكثه وخلافته :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ فقال:(إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا زيد[٣] الشاك. قال: قلنا:وما

---

١ سنن أبي داوود ، كتاب المهدي ، (١٧٥/٤) قال صاحب عون المعبود:قال المنذري : في إسناده عمران القطان وهو أبو العوام عمران ابن داور القطان البصري استشهد به البخاري ووثقه عفان بن مسلم وأحسن عليه الثناء يحيى بن سعيد القطان وضعفه يحيى بن معين والنسائي انتهى . وفي الخلاصة : وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث انتهى. عون المعبود (٣٧٥/١١).

٢ عون المعبود (٣٦١/١١).

٣ زيد: هو زيد بن الحواري أبو الحواري العمي البصري قاضى هراة روى عن أنس، مرسل، وعن معاوية بن قرة روى عنه الأعمش والثوري وشعبة وموسى الجهني سمعت أبي يقول ذلك.عن عبد الله بن أحمد قال قيل لأبي: زيد العمي ؟ قال: صالح، روى عنه سفيان وشعبة، وهو فوق يزيد الرقاشي وفوق فضل بن عيسى. وعن يحيى بن معين أنه قال: زيد العمى لا شيء.وعن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: زيد العمى ضعيف الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به، وكان شعبة لا يحمد حفظه.وعنه أيضا قال: سمعت أبا زرعة يقول: زيد العمى ليس بقوى. واهي الحديث، ضعيف. سمي زيد العمى لأنه كلما سئل عن شيء قال: حتى أسأل عمّي. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٥٦٠/٣ .

ذاك ؟ قال سنين قال فيجيء إليه رجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني قال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)[١].

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال :(يكون في أمتي المهدي . إن قصر فسبع . وإلا فتسع . فتنعم فيه أمتي نعمةً لم ينعموا مثلها قط ، تؤتى أُكُلها . ولا تدخر منهم شيئًا . والمال يومئذٍ كدوس[٢] . فيقوم الرجل فيقول يامهدي أعطني . فيقول خذ)[٣]

"وهذا يدل على أن أكبر مُدته تسع وأقلّها خمس أو سبع، ولعله هو الخليفة الذي يحثي المال حثيًا والله تعالى أعلم. وفي زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة والمال وافرًا والسلطان قاهرًا والدين قائمًا والعدو راغمًا والخير في أيامه دائمًا"[٤].

والأحاديث التي نُقلت إلينا عن رسول الله ﷺ وفيها ذكر المهدي ووصفه والأحوال التي ستكون مصاحبة لظهوره مستفيضة ومتواترة وعلى درجات متفاوتة من الصحة، وما سبق ليس إلا إشارة إلى شيء منها.

---

١ سنن الترمذي ج٤ص٥٠٦ رقم(٢٢٣٢) قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وقال الشارح:في إسناده زيد العمي وهو ضعيف ، تحفة الأحوذي (١٥/٦) ، وقال الشيخ الألباني :حسن.

٢ كدوس : أي مجموع كثير ، قاله السيوطي في شرح سنن ابن ماجه ٣٠٠/١ .

٣ سنن ابن ماجه ج٢ص١٣٦٦ رقم(٤٠٨٣) قال الشيخ الألباني : حسن.

٤ ابن كثير النهاية في الفتن والملاحم (٢٧/١).

وقد حكى هذا التواتر لنا جمع من العلماء ، منهم الإمام الكتاني[1] ، حيث عدد الصحابة الكرام اللذين رووا أحاديث المهدي وذكر أن عددهم قد بلغ حد التواتر ،وذكر كذلك مخارج هذه الأحاديث ، كما ذكر بعض الأئمة الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي[2].

وقال صاحب عون المعبود :" وخرّجوا أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود[3] والترمذي[4] وابن ماجه[5]

---

١ الكتاني: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، (١٢٧٤ - ١٣٤٥ هـ) أبو عبد الله: مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف.مولده ووفاته بفاس. رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة ١٣٣٢ هـ فأقام إلى سنة ١٣٣٨ وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة ١٣٤٥ وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده. له نحو ٦٠ كتابا، منها (نظم المتناثر في الحديث المتواتر)و(الدعامة في أحكام العمامة) و (الرسالة المستطرفة) و و(سلوة الانفاس) في تراجم علماء فاس وصلحائها .. وغيرها. انظر(الأعلام للزركلي٦/٧٣).

٢انظر: نظم المتناثر للكتاني ج١ ص ٢٢٥ .

٣ أبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) (أبو داود)، محدث، حافظ، فقيه، رحل وطوف، وجمع وصنف وخرج، وسمع الكثير عن مشايخ الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان، وتوفي بالبصرة في شوال من تصانيفه: كتاب السنن. معجم المؤلفين(٤/٢٥٥).

٤ الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى ابن الضحاك السلمي، الضرير، البوغي، الترمذي(٢١٠ - ٢٧٩ هـ) (أبو عيسى) محدث، حافظ ،مؤرخ، فقيه ، تتلمذ لمحمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه، مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر وابن بشار وغيرهم. وارتحل، وسمع بخراسان والعراق والحرمين وسمع منه شيخه البخاري، وتوفي بترمذ ١٣رجب.من تصانيفه: الجامع الصحيح، الشمائل في شمائل ﷺ العلل في الحديث، رسالة في الخلاف والجدل، والتاريخ.معجم المؤلفين(١١/١٠٥).

٥ ابن ماجه: محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) أحد الائمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجه ، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن) وكتاب في (تاريخ قزوين).الأعلام للزركلي(٧/١٤٤).

والبزّار[1] والحاكم[2]والطبراني[3] وأبو يَعلى الموصلي[4] ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان[5]وقرة بن إياس[6]

---

١ البزار:هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار: حافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة.حدّث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام، وتوفي في الرملة. له مسندان أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) والثاني صغير.توفي سنة ٢٩٢ هـ .الأعلام للزركلي (١٨٩/١).

٢ الحاكم: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي، الطهماني، النيسابوري، الحاكم، الشافعي، المعروف بابن البيع (أبو عبد الله) (٣٢١ – ٤٠٥ هـ) محدث، حافظ مؤرخ.ولد بنيسابور في ٣ ربيع الاول ورحل في طلب الحديث، وسمع على شيوخ يزيدون على ألفي شيخ، وحدث عن الاصم وعثمان بن السماك وطبقتهما، معجم المؤلفين(٢٣٨/١٠) وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه.صنف كتبا كثيرة جدا، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء.منها (تاريخ نيسابور)،و(المستدرك على الصحيحين)،و(الإكليل) و (المدخل) في أصول الحديث، و (تراجم الشيوخ) و(الصحيح) في الحديث، و (فضائل الشافعي)و(تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم)وغيرها. الأعلام للزركلي(٢٢٧/٦).

٣ الطبراني: هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (٢٦٠ – ٣٦٠ هـ) أبو القاسم: من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته. ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان. له ثلاثة (معاجم) في الحديث، منها (المعجم الصغير – ط) رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف. وله كتب في (التفسير) و (الاوائل) و (دلائل النبوة) وغير ذلك. الأعلام للزركلي ١٢١/٣ ،معجم المؤلفين ٢٥٣/٤

٤ أبو يعلى الموصلي: هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، (٣٠٧ هـ) أبو يعلى: حافظ، من علماء الحديث، ثقة مشهور، نعته الذهبي بمحدث الموصل. عمر طويلا حتى ناهز المئة.وتفرد ورحل الناس إليه وتوفي بالموصل. له كتب منها (المعجم)في الحديث،و(مسندان) كبير وصغير، (الأعلام للزركلي ١٧١/١)، (معجم المؤلفين ١٧/٢).

٥ ثوبان: ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة (في فلسطين) ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها دارا، وتوفي بها سنة٥٤هـ ، له ١٢٨ حديثا (الأعلام للزركلي١٠٢/٢) ويراجع(سير أعلام النبلاء١٥/٣).

٦ قرة بن إياس: هو قرة بن إياس بن رئاب المزني. سكن البصرة وداره بها بحضرة العوقة. لم يرو عنه غير ابنه معاوية بن قرة وهو جد إياس بن معاوية بن قرة الحكيم الذكي قاضي البصرة. ويقال له قرة بن الأعز.. وقرة هذا قتلته الأزارقة عام ٦٤ هـ . (الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٢٨٠/٣).

وعلي الهلالي[1] وعبد الله بن الحارث بن جزء[2]ﷺ.وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيحٍ وحسنٍ وضعيف ...)[3]

وقال الإمام السفاريني رحمه الله تعالى:"وقد كَثُرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدّ من معتقداتهم"[4] .

ملحوظة في ختام هذا المبحث:

المعروف عن أهل السنة في عقيدة المهدي هو أنه حسني أي أنه من ذرية الحسن بن علي ﷺ،وهذا ما يجده الباحث بالرجوع لكتب أهل السنة، وجعلت هذه نقطة اختلاف بين أهل السنة والشيعة إذ يرى الشيعة أنه حسيني أي من ذرُّية الحسين بن علي ﷺ.

وعند البحث وُجِد أن الحديث الذي استند عليه أهل السنة في ذلك هو حديث علي رضي الله عنه المخرج عند أبي داود بقوله:

---

١ علي الهلالي: قال عنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٩٧٥/٤):(علي أبو علي الهلالي ذكره سليمان بن أحمد في الصحابة). روى سفيان بن عيينة، عن علي بن علي الهلالي عن أبيه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه، فبكت حتى ارتفع صوتها: فرقع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: " حبيبتي فاطمة! ما يبكيك؟ " قالت أخشى الضيعة بعدك. قال: " يا حبيبتي أما علمت أن الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك، ثم اطلع إليها اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إليّ أن أنكحك إياه " ..ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (١٣٧/٤)، وقال أخرجه أبو نعيم وأبو موسى، وذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٥٧٣/٤ من طريق الطبراني في الأوسط. وذكر الألباني الحديث وقال:(علي بن علي الهلالي ؛ فإني لم أجد من ذكره. وأبوه نفسه غير معروف إلا في هذا الحديث؛ فقد أورده الحافظ في "الإصابة"لهذا الحديث من رواية الطبراني أيضًا، يعني:في"الكبير"، ثم قال : وأخرجه في "الأوسط" وقال : إنه لا يروى إلا بهذا الإسناد) السلسلة الضعيفة برقم(٤٨٩٨) ١٠ /٥٣٤

٢ عبد الله بن الحارث بن جزء: الزبيدي ، صحابي. سكن مصر، وعمي قبيل وفاته. وهو آخر من مات بمصر من الصحابة سنة ٨٦ هـ ، روى عنه المصريون أحاديث، الأعلام للزركلي (٧٧/٤)، (سير أعلام النبلاء(٣٨٧/٣).

٣عون المعبود شرح سنن أبي داود/ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي(٣٦١/١١).

٤لوامع الأنوار / للسفاريني ج٢ ص٨٤.

حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة[1] قال حدثنا عمرو بن أبي قيس[2] عن شعيب بن خالد[3] عن أبي إسحاق[4] قال: قال علي ﷺ، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلا[5].

---

١ هارون بن المغيرة: هارون بن المغيرة بن حكيم البجلي كنيته أبو حمزة من أهل الري يروى عن عمرو بن أبى قيس عن سماك روى عنه محمد بن حميد وأهل بلده، ربما أخطأ. (الثقات لابن حبان ٢٣٨/٩) وقال ابن حجر:(قال جرير لا أعلم لهذه البلدة أصح حديثا منه وقال النسائي كتب عنه يحيى بن معين وقال صدوق وقال الآجري عن أبي داود ليس به بأس هو من الشيعة وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ. قلت: وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن يحيى بن معين شيخ صدوق ثقة وقال السليماني فيه نظر.(تهذيب التهذيب ١٢/١١).

٢ عمرو بن أبي قيس: عمرو بن ابى قيس الرازي الكوفى نزل الرى روى عنه عبد الله بن الجهم وأهل بلده، قال عبد الصمد المقري:دخل الرازيون على الثوري فسألوه الحديث فقال أليس عندكم الأزرق ؟ يعنى عمرو بن أبي قيس، قال عبد الصمد: وكان أزرق. انظر:الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٢٥٥/٦، الثقات لابن حبان ٢٢٠/٧

٣ شعيب بن خالد: شعيب بن خالد البجلى الرازي عم يحيى بن العلاء كان قاضى الرى على أهل الذمة عن أبي المغيرة بن دينار قال: اتيت سفيان الثوري فسألته عن شئ، فأجابني، ثم قال لي: من أين أنت ؟ قلت من أهل الري. قال تسألني عن شيء وشعيب بن خالد عندكم. قال يحيى ابن المغيرة:رأيت شعيب بن خالد وكان قاضى المجوس والدهاقين ، وكان عنبسة قاضى المسلمين.الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي٣٤٣/٤ ، وذكره ابن حبان في الثقات ٤٣٩/٦.

٤ أبو إسحاق: عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي أبو إسحاق الكوفي أحد أعلام التابعين عن جرير البجلي وعدي بن حاتم وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وطائفة وعنه ابنه يونس وحفيده إسرائيل وقتادة وسليمان التيمي وخلق قال أبو حاتم ثقة يشبه الزهري في الكثرة قال محمد بن فضيل عن أبيه كان أبو إسحاق يقرأ في ثلاث وقال حميد الرؤاسي سمع منه ابن عيينة بعدما اختلط قال الواقدي مات سنة ١٢٧هـ . خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ الفقيه صفي الدين الخزرجي الأنصاري اليمني ٢٩١/١ .

٥ سنن أبي داوود ١٧٧/٤.

الحكم على الحديث:

قال المنذري[1] :"هذا منقطع ، أبو إسحاق السبيعي رأى عليًا عليه السلام رؤية"[2]،فهذا انقطاع في أعلى السند .

وقال عنه الألباني[3]: وإسناد الحديث ضعيف.[4]

وقد بيّن الألباني أن الانقطاع أيضًا في أسفل السند من جهة شيخ أبي داود، فقال: "وقال فيه أبو داود: حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة .قلت: يعني أن شيخ أبي داود فيه لم يُسمَّ؛ فهو مجهول .وأيضاً ؛ فأبو إسحاق كان اختلط ، وشعيب بن خالد ليس مذكورًا فيمن روىعنه قبل الاختلاط"[5].

فهذا هو الحديث الذي استند إليه أهل السنة، وجد بالرجوع إليه أنه حديث معلول بالانقطاع من جهتين.

---

١ المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري، الشامي الاصل، المصري، الشافعي (زكي الدين، أبو محمد) (٥٨١ - ٦٥٦ ه) محدث، حافظ، فقيه، مشارك في القراءات واللغة والتاريخ. ولد في غرة شعبان، وسمع من خلق لقيهم بالحرمين ومصر والشام والجزيزة، وكتب وصنف وخرج وأفتى وحدث بالكثير وتخرج به جماعة، وتوفي في ٤ ذي القعدة. من مؤلفاته: شرح التنبيه للشيرازي ، معجم الشيوخ، مختصر سنن ابي داود وسماه المجتبى،الترغيب والترهيب، ذيل على ذيل ابن المفضل المقدسي في وفيات النقلة في ثلاث مجلدات سماه التكملة لوفيات النقلة، وكفاية المتعبد وتحفة المتزهد. معجم المؤلفين ٢٦٤/٥ ، انظر الأعلام للزركلي ٣٠/٤.

٢ عون المعبود (٣٨٢/١١).

٣ الألباني: العلامة الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني(١٣٣٣ هـ - ١٤٢٠هـ) أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني منعلماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، وفيمصطلح الحديث .ولد في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا ، وهاجر إلى الشام(دمشق) وتوفي بعمّان . وله مؤلفات كثيرة جدا،منها: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، وصفة صلاةالنبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها وغيرها. أنظر موقع الشيخ الألباني على الشبكة العنكبوتية: http://www.alalbany.net/albany_serah.php

٤ أنظر: مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (١٥٠٣/٣) رقم الحديث (٥٤٦٢) .

٥السلسلة الضعيفة تحت الحديثرقم(٦٤٨٥) ١٠٩٧/١٣ .

ثم نجد أن سائر ما ذكر بعد هذا الحديث في إثبات كون المهدي من ولد الحسن بن علي ﷺ هو عبارة عن استنباطات و استحسانات لا تَسّلَم لأصحابها ما لم تستند على دليل صحيح،ومن أمثال هذه الاستحسانات:

أن المهدوية في ذرية الحسن مكافأةً له من الله ﷻ إذ ترك الخلافة . أي تركها لمعاوية . وذلك من باب أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه[1] .

وكذلك قياسًا لحال الحسن والحسين على حال إسماعيل و إسحاق ابني إبراهيم ، إذ جُعلت خاتمة النبوة في ذُرّية إسماعيل رغم كون جلّ الأنبياء من بعد إبراهيم من ذرية إسحاق، فكذلك لما كان ذرية الحسين يكثر فيهم الأفاضل والأخيار كان المهدي الذي هو خاتمهم من ذرية الحسن رضي الله عن الجميع[2] .

والحقيقة أنّ الركاكة ظاهرة في مثل هذا الكلام ؛فلا يصلح كونه أصلا يستند عليه في بناء الأحكام .

والخلاصة:

١. أنّ نسبة مثل هذا الأمر لعقيدة أهل السنة بدون الاستناد على دليل صحيح أمر غير مقبول، كما أنه مخالف لما هو معتاد عن أهل السنة من الدقة والتحري لاسيما في مسائل العقيدة.
٢. عدم وجود كبير فائدة من تخصيص أحد السبطين ليكون أبا للمهدي ما لم تخصُّه سنة صحيحة بذلك،إذ إنّ كليهما ذو فضل وشرف ويكفي كونهما سيّدا شباب أهل الجنّة.

[1] انظر المنار المنيف لابن القيّم ص١٥١.

[2] انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي ١١/٣٧٠ .

فحصولالتنازع بين السنة والشيعة على أحدهما ليكون المهدي من ذريته هو نزاع لا مبرر له، إذ هو تخصيص لأحدهما بلا مخصص صحيح.

٣.كما أن التشبث بمثل هذه القضية وحكايتها على أنّها من مذهب أهل السنة بدون تحرٍّ يفتح بابًا للقدح في أهل السنة ، قد يتعدى هذه المسألة إلى غيرها من المسائل.والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني:

المهدي المنتظر عند المخالفين لأهل السنّة والجماعة

المبحث الثاني: المهدي المنتظر عند المخالفين لأهل السنّة.

الفرقة التي خالفت أهل السنة والجماعة في مسألة المهدي هي فرقة الشيعة، وكانت مخالفتهم في ذلك بأنهم ادّعوا مهديًّا خاصًّا بهم غير المهدي المعروف الذي أخبرت عنه نصوص السنة النبوية.

وتفصيل ذلك عندهم مع الشبهات التي استندوا إليها سيتم تناوله في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث :

شبه المخالفين في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المطلب الأول: المهدي المنتظر عند الشيعة وشبههم فيه.

تؤمن الشيعة وتعتقد بحقيقة المهدي الذي دلت عليها الأحاديث، وأنّه لابد من ظهور هذا الرجل في آخر الزمان كأحد أشراط الساعة، لِيُصلِح الظلم والفساد الذي يعم أرجاء الأرض.

وهذا هو القدر المشترك بين الشيعة وأهل السنة في مسألة المهدي، ثم بعد ذلك تختلف الشيعة مع أهل السنة في حقيقة هذه الشخصية.

فالمهدي عند الشيعة:هو" الحجة الخلف الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص عليه السلام وهو الإمام الثاني عشر "[1]، وهو "أبو القاسم محمد الحجة ابن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين"[2].

فالشيعة تعتقد بأن المهدي: من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، وليس من ذرية الحسن. عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[3] يقول:" والله لا يكون المهدي أبداً إلا من ولد الحسين عليه السلام"[4].

---

١ الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج٢ ص ١٠٩٥.

٢ نفسه ج٢ ص١١٠٢.

٣ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: هو محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى يسار الانصاري، الكوفي. (٧٤ - ١٤٨ هـ)، فقيه، فرضي، قارئ، محدث. روى عن الشعبي وعطاء ووكيع وغيرهم، وولي القضاء لبني أمية وولد العباس، وأفتى بالرأي قبل ابي حنيفة.مات بالكوفة. من آثاره: الفرائض. معجم المؤلفين (١٠/١٥٠) و الأعلام للزركلي (١٨٩/٦).

٤ الغيبة للطوسي ص١٨٩ ، ملاحظة:محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يكن شيعيا كما ظهر في ترجمته ، ولكن الشيعة تستدل بقوله السابق في كتبها.

أمّا أبوه: فهو "الحسن الخالص بن علي العسكري عليه السلام وهو الإمام الحادي عشر[1]"[2].

وأمّا أمّه حسبما جاء في كتاب حياة الإمام المهدي هي:" بنت يشوع الذي ينتهي نسبه إلى قيصر ملك الروم، كما أن أمّها ينتهي نسبها إلى شمعون الذي هو أحد أوصياء السيّد المسيح ومن حواريه.

واسمها:نقلالرواة أسماء كريمة لهذه السيدة الزكية المعظمة كانت تسمى بها، وهي:سوسن،ريحانه، نرجس، صقيل، خمط"[3].

وقد امتلأت كتب الشيعة بذكر المهدي وتفاصيل حياته منذ ولادته وتسميته وصفاته ثم غيبته والحكمة من هذه الغيبة ثم ظهوره آخر الزمان ورجعته، والأعمال التي سيقوم بها.

وقد خصص علّامتهم المجلسي[4] المجلد الثالث عشر من كتابه بحار الأنوار في الإمام المهدي فقال في مقدّمته[5]:" أمّا بعد: فهذا هو المجلد الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار في تاريخ الإمام الثاني عشر، والهادي المنتظر، والمظفر، ونور الأنوار، وكاشف الأحزان، وخليفة

---

١ الحسن العسكري: هو الحسن بن علي بن محمد العسكري، العلوي(٢٣١ - ٢٦٠ هـ).من أئمة الشيعة.قطن بسامراء، وتوفي بسر من رأى في ربيع الاول. من آثاره: كشف الحجب في التفسير. معجم المؤلفين (٢٦١/٣).

٢ الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج٢ ص ١٠٧٧.

٣ باقر شريف القرشي ص١٢.

٤ المجلسي:هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (١٠٣٧ - ١١١١ هـ) ، علامة إمامي. ولي مشيخة الإسلام في أصفهان. وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الاحاديث. له (بحار الانوار ٢٥ جزءا في مباحث مختلفة، و (كتاب العقل والعلم والجهل) و (كتاب التوحيد) و (مرآة العقول و (جوامع العلوم) و (السيرة النبوية) و (الإمامة) و (الفتن والمحن) و (أمير المؤمنين، علي ابن أبي طالب، وفضائله وأحواله) و (تاريخ فاطمة والحسنين) وعدة (تواريخ) للأئمة و (السماء والعالم) كبير جدا، طبع منه المجلد الرابع عشر، و (الأحكام) و (الرسالة الوجيزة)...إلخ. الأعلام للزركلي(٤٨/٦).

٥ ج٥١ ص١.

الرحمن، الحجة بن الحسن إمام الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه المعصومين، ما توالت الأزمان من مؤلفات خادم أخبار الأئمة الأخيار، وتراب أعتاب جملة الآثار: محمد باقر بن محمد تقي حشرهما الله تعالى مع مواليهما الأطهار وجعلهما في دولتهم الأعوان الأنصار ".

فالمهدي عند الشيعة: مولود حي موجود، ولكنه في حال غيبته الآن . أي غائبٌ عن الأبصار. وله في حال غيبته سفراءُ وحرّاس ينقلون عنه توقيعاته وفتاواه ومن هؤلاء السفراء[1]:

* عثمان بن سعيد أبو عمرو[2] . محمد بن عثمان بن سعيد[3].

* الحسين بن روح[4] . علي بن محمد السمري[5].

---

١ الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال/محمد باقر القيرواني ص٤١.

٢ عثمان بن سعيد أبو عمرو: عده الشيخ في رجاله (تارة) في أصحاب الهادي عليه السلام قائلا:(عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمان ، ويقال له الزيات ، خدمه(الهادي) عليه السلام ، وله إحدى عشرة سنة ، وله إليه عهد معروف " ، و (أخرى) في أصحاب العسكري عليه السلام ، قائلا:(عثمان بن سعيد العمري الزيات ، ويقال له: السمان، يكنى أبا عمرو ، جليل القدر ، ثقة ، وكيله (العسكري) عليه السلام" . وقال أن (عثمان ابن سعيد) وكيل من جهة صاحب الزمان عليه السلام ، وله منزلة جليلة عند الطائفة.وذكره الشيخ في السفراء الممدوحين وأثنى عليه ،معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (١٢/ ١٢٤.١٢٢). لعله يقصد بالشيخ الطوسي لأنه نسب إليه كتاب العدة ضمن الكلام في نفس كتابه(٢٤/١) والطوسي هو صاحب كتاب عدة الأصول.

٣ محمد بن عثمان بن سعيد: العمري ، يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، وكيلان من جهة صاحب الزمان، ولهما منزلة عظيمة جليلة عند الطائفة، توفي ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ . انظر:رجال ابن داود ، لابن داود الحلي ص ١٧٨.

٤ الحسين بن روح: هو بن أبي بحر النوبختي. من علماء ورؤساء الشيعة في خلافة المقتدر. له وقائع مع الوزراء، وقبض عليه وسجن، وتوفي ببغداد في شعبان سنة ٣٢٦ هـ. له كتاب التأديب. معجم المؤلفين٤/٨.

٥ علي بن محمد السمري: ذكره الشيخ – قدس سره – في كتاب الغيبة : فصل في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة ، في أواخر أحوال السفراء الممدوحين عند ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري ، توفي سنة٣٢٩هـ ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٣ ص١٨٤.١٨٢ .

أمّا كونه غائبًا في سرداب سامراء[1] أو غيره، فهذا عند البحث والتفتيش في كتب الشيعة ظهر أنّ علماءهم ينكرونه، وإنّما ينسبون ذلك إلى عامّتهم، وكذلك إلى مخالفيهم حيث يذكرون أنّ مخالفيهم يتهمونهم بذلك وهم عنه بريئون.

وقد جاء في أحد كتبهم بيان لعقيدتهم في السرداب، وفيه:

"عقيدتنا في السرداب:أقول[2]: ليس هذا الرجل أول من نسب هذا الاعتقاد وهو الاعتقاد بغيبة الإمام عليه السلام في السرداب في مدينة سامراء إلى الشيعة الإمامية، بل قد سبقه في ذلك جماعة من علماء طائفته، كابن حجر[3]،وابن طولون[4]،

١ سامراء: سامراء لغة في سر من رأى مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت... وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه وقد ينسبون إليها بالسر مري، وقيل إنها مدينة بنيت لسام فنسبت إليه بالفارسية سام راه، وقيل بل هو موضع عليه الخراج قالوا بالفارسية ساء مره أي هو موضع الحساب . أنظر معجم البلدان٣/١٧٣.

٢القائل هو:علي الحسيني الميلاني، وأراد بقوله (ليس هذا الرجل) أي: محمد أمين البغدادي صاحب سبائك الذهب.

٣ ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره،. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، و (لسان الميزان)، و (الاحكام لبيان ما في القرآن من الاحكام) و (تقريب التهذيب و (الاصابة في تمييز أسماء الصحابة) و (تهذيب التهذيب)، و(بلوغ المرام من أدلة الاحكام) و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)،،،إلخ الأعلام للزركلي١/١٧٨.

٤ ابن طولون: أحمد بن طولون، أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركي مستعرب (٢٢٠ - ٢٧٠ هـ).كان شجاعاً جوادا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفاً بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه. بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. ووقعت له مع الموفق العباسي أمور. يؤخذ عليه أنه كان حاد الخلق، سفك كثيرا من الدماء في مصر والشام. ومن الكتب الممتعة . أنظر:الأعلام للزركلي١/١٤٠.

وابن الوردي[1]... ولقد زاد بعضهم على هذا بقوله: إنّ الشيعة يعتقدون ببقائه عليه السلام في السرداب فينتظرون خروجه منه، ومن هؤلاءابنتيمية[2] في (منهاج السنة)، ومن هؤلاء أيضًا ابن خلدون[3] حيث قال في (المقدمة ص ٣٥٢) عن الاثني عشرية ما نصّه: (يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم. وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي . دخل السرداب بدارهم بالحلة ، وتغيّب حين اعتقل مع أمّه وغاب هناك، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلًا، ويشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي، وهم الآن ينتظرونه ويسمّونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب

وقد قَدِموا مركبًا، فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد)

---

١ ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر ب محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي(٦٩١ - ٧٤٩ هـ):شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب. من كتبه " ديوان شعر فيه بعض نظمه ونثره، و " تتمة المختصر " تاريخ، يعرف بتاريخ ابن الوردي، جعله ذيلا لتاريخ أبي الفداء وخلاصة له، و " تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة " نثر فيه ألفية ابن مالك في النحو، و"بهجة الحاوي"نظم بها الحاوي الصغير في فقه الشافعية. الأعلام للزركلي ٦٧/٥ .

٢ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. مات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. من تصانيفه (السياسة الشرعية) و (الفتاوى)، و(الايمان) و(الجمع بين النقل والعقل) و (منهاج السنة) و (الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان) و (الواسطة بين الحق والخلق) و (الصارم المسلول على شاتم الرسول) و (الفتاوي)... إلخ. أنظر الأعلام للزركلي ١٤٤/١ .

٣ ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر(٧٣٢-٨٠٨ هـ) الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة.. كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع. ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل).الأعلام للزركلي ٣٣٠/٣ .

ولا يخفى ما فيه من أغلاط وافتراءات، وقد أخذ هذا آخرون ممن تقدّم وتأخّر منهم حتى أن قائلهم قال: (أما آن للسرداب أن يلد الذي...[1]

هذا ومن العجيب أنّهم لم يذكروا، أو ينوّهوا عن حديثٍ واحدٍ جاء من طرق الشيعة مفيدًا لهذا المعنى المدّعى، أو اسم كتابٍ لعالمٍ من علمائهم نقلوا عنه ذلك! على أنّ هذا الاعتقاد لم يأتِ في أيّ كتاب للشيعة في أيّ موضوع كان، وهذه كتبهم منتشرة بفضل المطابع متوفرة لكل أحد.

أضف إلى ذلك أن علماء هذه الطائفة ينفون هذه النسبة، ويعدّونها من حملة المفتريات التي لا أصل لها والموجهة إلى الشيعة الإمامية"[2]. انتهى كلامه.

ثمّ ساق كلامًا لعلماء الشيعة يثبت فيه تبرئتهم من مثل هذه التهمة، ووضّح في آخر كلامه أن كلَّ ما ذكره لا يتنافى مع احترامهم للسرداب وتقديسهم له.

وبعد ذكر أقوالهم في السرداب، نعلم أن المهم عندهم في القضية هو كون المهدي موجودًا لكنه غائب عن الأبصار وهو ما يسمونه عندهم بعقيدة الغيبة.

ويقولون إن هناك غيبتين: الغيبة الصغرى بعد وفاة أبيه[3]، والغيبة الكبرى بعد وفاة آخر واحد من سفرائه (علي ابن محمد السمري)[4].

وأخيرًا:فإنّ الإيمان بالمهدي وغيبته شرطاً لصحة الإيمان عند الشيعة، ومن لم يعرف المهدي وحاله أثناء غيبته فإنّ إيمانه غيرُ صحيح.

---

١ هذا الاجتزاء في الكلام من نفس الكتاب المنقول عنه ، وليس من عمل البحث.

٢ الكلام لعلي الحسيني الميلاني في حاشية كتاب الإمام الثاني عشر/للسيد محمد سعيد الموسوي ص٢٢ ، وينظر: كتاب حياة الإمام المهدي لباقر شريف القرشي ص١٦ .

٣ حياة الإمام المهدي /باقر شريف القرشي ص١١٤.

٤ نفس المرجع ص١٣٠ .

قال الشيخ الصدوق[1]:"ولا يكون الإيمان صحيحًا من مؤمنٍ إلا بعد علمه بحال من يؤمن به كما قال الله تبارك وتعالى:﴿إِلَّامَنشَهِدَبِالْحَقِّوَهُمْيَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف٨٦)فلم يوجب لهم صحة ما يشهدون به إلّا من بعد علمهم، ثمّ كذلك لن ينفعَ إيمانُ من آمن بالمهدي القائم عليه السلامحتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته ؛ وذلك أن الأئمة عليهم السلامقد أخبروا بغيبته عليه السلامووصفوا كونها لشيعتهم فيما نُقِل عنهم واستُحفِظَ في الصحف ودُوِّنَ في الكتب المؤلّفة من قبل أن تقع الغيبةُ بمائتي سنة أو أقل أو أكثر فليس أحدٌ من أتباع الأئمة عليهم السلامإلّا وقد ذَكر ذلك في كثيرٍ من كتبه وروायاته ودوّنه في مصنفاته ..."[2].

الخلاصة:

من مجمل ما ذُكر في هذا المبحث يتلخص أنّ نقاط اختلاف الشيعة عن السنّة في مسألة المهدي هي على النحو التالي:

١. لا يكون إيمان المرء صحيحاً عند الشيعة إلّا بعد أن يَعرِف تفاصيلَ عقيدة المهدي،بينما عند أهل السنّة فإنّه يكفي المعرفة المجملة بالمهدي لصحة الإيمان خصوصًا من (العامّة) غير أهل الاختصاص.
٢. أن المهدي عند الشيعة ليس وصفاً لشخصٍ سيكون آخر الزمان كما هو عند أهل السنة ، بل هو معيّنٌ معروفٌ موجودٌ حيٌّ مولودٌ ، وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم.
٣. أنّ المهدي عند الشيعة هو من ذُرِّيّة الحسين بن علي ، وليس من ذريّة الحسن كما ذهب إليه أهل السنّة.
٤. المهدي عند الشيعة رغم كونهموجودًا ، إلّا أنّه الآن غائبٌ عن الأبصار.

أمّا بالنسبة لشبهات الشيعة في المهدي فسيتم تناولها إن شاء الله تعالى في مسألتين.

---

١ الصدوق:هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمي، ويعرف بالشيخ الصدوق (٣٠٦ – ٣٨١ هـ)، محدث إمامي كبير، لم ير في القميين مثله. له نحو ٣٠٠ مصنف، منها (الاعتقادات)و(الأمالي) ، الأعلام (٢/٦

٢ كمال الدين وتمام النعمة /للشيخ الصدوق ص٦٤٩ .

المسألة الأولى:

شبه الشيعة النقليّة من القرآن في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال.

في الحقيقة أنّه لما أُرِيد جمع الآيات التي اشتبهت على الشيعة في موضوع المهدي وأوّلُوها بخروجه، كانت المفاجأة بوجود كمٍّ هائلٍ من نصوص القرآن قد استشهدوا بها على خروج المهدي وظنُّوا أنّها تدلُّ عليه ،فكان من الصعوبة بمكان أن تُحصَرَ جميع هذه الآيات والنصوص القرآنية هنا، ولعلّ هذا يتناسب مع بحثٍ متخصصٍ في مسألة المهدي ،لذلك فإنه سيُكتَفَى هنا بالإشارة إلى بعض الآيات التي اشتبهت على الشيعة وفسّروها بالمهدي.ومن ذلك:

١)قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم ٥).

تأويلُهم:جاء في تفسير علي بن إبراهيم[١] قال:أيّام الله ثلاثة: يوم القائم صلوات الله عليه، ويوم الموت، ويوم القيامة[٢].

<u>الرد عليهم:</u>

١علي بن إبراهيم:هو علي بن إبراهيم بن هاشم ،قال النجاشي : " علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي ، ثقة في الحديث ، ثبت ، معتمد ، صحيح المذهب ، سمع فأكثر ، وصنف كتبا وأضر في وسط عمره . وله كتاب التفسير ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب قرب الإسناد ، كتاب الشرايع ، كتاب الحيض ، كتاب التوحيد والشرك ، كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب المغازي ، كتاب الأنبياء ، رسالة في معنى هشام ويونس ،جوابات مسائل سأله عنها محمد بن بلال ، كتاب يعرف بالمشذر ، الله أعلم أنه مضاف إليه .أخبرنا محمد بن محمد وغيره ، عن الحسن بن حمزة بن علي بن عبيد الله ، قال : كتب إلي علي بن إبراهيم بإجازة سائر حديثه وكتبه " .انظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٢ ص٢١٢. ٢٢٩ .

٢ بحار الأنوار /للمجلسي ج٥١ص٤٥ .

نلحظ هنا أن تفسيرهم لأيَّام الله في الآية أنّها عبارة عن أيامٍ مخصوصةٍ، وهي التي حدّودها بأنها يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة.

وهذا التخصيص لم يدل عليه دليلٌ صحيحٌ، ولم يرد عن السلف الصالح ما يثبته.

وإنّما الذي ورد عن السلف هو أنّ أيَّام الله ﷻ الواردة في الآية الكريمة المراد بها :

نعمه وأياديه – ووقائعه في الأمم السالفة، كما سيظهر ذلك من خلال التفاسير الآتية.

وهذا المعنى هو الذي يتوافق مع سياق الآية توافقًا ظاهرًا،حيث إنّ الآية فيها إخبارٌ بإرسال موسى عليه السلام لقومه بالآيات،وأمره بدعوتهم-إخراجهم من الظلمات إلى النور- وتذكيرهم بأيَّام الله فيهم أي:بالأيّام التي أنعم الله فيها عليهم. وقد ورد في التفاسير ما يؤيّد ذلك:

. جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

"{ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ } أي: بأياديه ونعَمه عليهم، في إخراجه إيَّاهم من أسر فرعون،وقهره، وظلمه وغشمه، وإنجائه إيَّاهم من عدوِّهم، وفَلَقِه لهم البحر، وتظليله إيَّاهم بالغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسّلوى، إلى غير ذلك من النعم. قال ذلك مجاهد[١]، وقتادة[٢]، وغير واحد"[٣].

. وعند البغويّ:"{ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ } قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة: بنعم

---

١ مجاهد: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، (٢١ - ١٠٤ هـ)،مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس. وتنقل في الاسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: إنه مات وهو ساجد ، أنظر:(الأعلام للزركلي٥/٢٧٨) .

٢ قتادة: قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري (أبو الخطاب) (٦٠ - ١١٧ هـ) مفسر.من آثاره: تفسير القرآن. (معجم المؤلفين٨/١٢٧) .

٣تفسير القرآن العظيم/لابن كثير ٤/٤٧٨.

الله . وقال مقاتل[1]: بوقائع الله في الأمم السالفة. يُقال: فلانٌ عالمٌ بأيَّام العرب، أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة، فاجتزأ بذكر الأيَّام عنها ؛ لأنها كانت معلومةً عندهم "[2] .

٢)وقوله تعالى:﴿ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء١٠٥).

تأويلُهم:جاء في تفسير علي بن إبراهيم قال:الكتب كلُّها ذِكر ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال القائم عليه السلام وأصحابه.

توضيح : قوله الكتب كلُّها ذِكر أي بعد أن كتبنا في الكتب الأخرى المنزلة.

. وقال المفسرون:المراد به التوراة ،وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ.[3]

١ مقاتل: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، الخراساني، المروزي (أبو الحسن) مفسر، متكلم، مشارك في القراءات واللغة. وتوفي بالبصرة، سنة(١٥٠هـ). من آثاره: التفسير الكبير، الرد على القدرية، الوجوه والنظائر في القراءات، الاقسام واللغات، والآيات والمتشابهات.معجم المؤلفين (٣١٧/١).

٢ معالم التنزيل/للبغوي (٣٣٥/٤) ، وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن/للطبري (٥١٩/١٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل/للخازن(٢٩/٣) .

٣ بحار الأنوار ٤٧/٥١ .

الرد عليهم:

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد المراد بكلٍ من الزبور، و الذكر. وسأكتفي هنا بذكر القول الذي رجّحه الإمام الطبري[1] حيث قال:"وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير[2] ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك ، من أنّ معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه: زبرت الكتاب وذَبرته : إذا كتبته ، وأنّ كلّ كتابٍ أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه ، فهو ذِكْر . فإذا كان ذلك كذلك ، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البيّنة أنه معنيّ به ذكرٌ بعينه معلومٌ عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أمِّ الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأوّلى من أن تكون المعنيّة بذلك من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زَبور داود"[3].

وأمّا الشاهد في قوله تعالى:﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هو أنّهم قد فسّروا العباد الصالحين بقومٍ معلومين مخصوصين ألا وهم القائم وأصحابه.

والقاعدة الأصولية تنص على أنّه: لا يجوز التخصيص للعام من غير وجود مخصص.

---

[1] الطبري:هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر(٢٢٤ - ٣١٠ هـ): المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك)يعرف بتاريخ الطبري،و (جامع البيان في تفسير القرآن)، و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد) و (القراءات) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، (الأعلام للزركلي٦/٦٩).

٢ سعيد بن جبير: الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله (٤٥ - ٩٥ هـ): تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. الأعلام للزركلي ٩٣/٣ ، وانظر (سير أعلام النبلاء ٩٠/٧).

٣ جامع البيان في تأويل القرآن ٥٤٩/١٨ .

فلفظ العباد الصالحين الوارد في الآية عامٌ ، ولا يجوز تخصيصه بقوم معينين من غير ورود دليل مخصص .

وعند مراجعة التفاسير وأقوال أهل العلم وجد أن المقصود بالعباد الصالحين هم سائر المؤمنين من أمة محمدﷺ المتبعين للأوامر والمجتنبين للنواهي ، ولم يرد في أقوالهم ما يشير إلى هذا التخصيص أو يوحي به لا من قريب ولا من بعيد.

. جاء في تفسير الطبري:"ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته)[1] .

. وجاء في تفسير القرطبي[2]:"... وأكثر المفسرين على أن المراد بالعباد الصالحين أمّة محمد ﷺ. "[3].

وعلى كل حال فإنّالمفسرينلم يختلفوا في أنّ العباد الصالحين هم عموم المؤمنين من أمة محمدﷺ بدون تخصيصٍ لأحدٍ بعينه.

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٥٤٩/١٨ .

٢ القرطبي:محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة(٦٧١ هـ). من كتبه (الجامع لأحكام القرآن)، يعرف بتفسير القرطبي، و(قمع الحرص بالزهد والقناعة) و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) و (التذكار في أفضل الاذكار)و (التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة)، و(التقريب لكتاب التمهيد) وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥ .

٣ الجامع لأحكام القرآن ٣٤٩/١١ ، وانظر: معالم التنزيل للبغوي٣٥٩/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٨٤/٥)وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي٥٣١/١ .

٣)وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر ١)

تأويلُهم:جاء في تفسير علي بن إبراهيم روي في قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يعني خروج القائم عليه السلام[١].

ففسروا الساعة واقترابها باقتراب خروج القائم عليه السلام .

الرد عليهم:

وَرَدَ لفظ الساعة في الكتاب والسنة وأريد به يوم القيامة،وهي ساعة فناء الحياة الدنيا وإقبال الآخرة بأهوالها.

ومن هنا يعلم أن تفسير الساعة بأنها هي ساعة خروج القائم مخالف لما ورد في الكتاب والسنة.

كما أنّ تأويل الساعة بأنّها ساعة خروج القائم ليس بأولى من أن تأوّل بساعة خروج نبي الله عيسى عليه السلام الذي هو أفضل وأشرف بلا ريب من القائم،ولكن المعوّل كلُّه على التزام الكتاب والسنة و الوقوف عند حدودهما .

وما ورد عن أهل العلم في تفسير هذه الآية يتفق مع ما ذُكر من كون الساعة هي القيامة،ومن ذلك :

. ما ذكره الإمام الطبري في تفسيره قائلًا:"يعني تعالى ذكره بقوله(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) : دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله(اقْتَرَبَتِ) افتعلت من القُرب، وهذا من الله تعالى

١ بحار الأنوار (٥١/٤٩).

ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون". [١]

. وقال الإمام القرطبي:"(اقْتَرَبَتِ) أي قربت مثل أزفت الآزفة (على ما بيّناه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة، لأنّه قد مضى أكثر الدنيا كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى) وما نرى من الشمس إلا يسيرًا[٢]"[٣].

. وقال الإمام البغوي:" ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ دنت القيامة ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ "[٤].

وقال الإمام السعدي[٥]:" يخبر تعالى أنّ الساعة وهي القيامة اقتربت وآن أوانها، وحان وقت مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدّين لنزولها، ويريهم الله من الآيات العظيمة الدّالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر"[٦].

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن (٥٦٥/٢٢).

٢أخرجه البزار في مسنده برقم(٧٢٤٢) ، (٤٦٢/١٣) ، ولفظه:(أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلاَّ شئ يسير فقال : والذي نفسي بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلاَّ كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلاَّ يسيرا).

٣ الجامع لأحكام القرآن (١٢٥/١٧).

٤معالم التنزيل (٤٢٥/٧).

٥السعدي: هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي(١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ. ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، درس ووعظ وأفتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي فيها ، من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن في ثماني مجلدات، تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول، والحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين. (معجم المؤلفين٣٩٦/١٣).

٦ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٢٣/١).

٤)وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت ٥٣)

تأويلُهم:جاء في الكافي :عن أبي عبد الله عليه السلام قال:سألته عن قول الله تبارك وتعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ قال : خروج القائم هو الحق من عند الله عز وجل يراه الخلق لابد منه.[1]

فهم قد ادّعوا أن خروج القائم هو الحق الذي أراد الله بيانه.

الرد عليهم:

تعددت أقوال المفسرين في معنى (الآيات) الواردة في قوله تعالى﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ سأكتفي بقول الإمام البغوي في ذلك لكونه مختصرًا وجامعًا لهذه المعاني حيث قال رحمه الله تعالى:" ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منازل الأمم الخالية.{ وَفِي أَنْفُسِهِمْ } بالبلاء والأمراض.

وقال قتادة: في الآفاق يعني: وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر[2].

وقال مجاهد، والحسن، والسدي[3]: "في الآفاق": ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين،

١ بحار الأنوار (٦٢/٥١).

٢ يوم بدر: هي المعركة التي حصلت بين المسلمين بقيادة الرسول ﷺ و بين المشركين بقيادة (أبي جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ،عند بدر وهو بئر قريب من المدينة، في رمضان من السنة ٢هـ ، وكان عدد المسلمين ٣١٤ مقاتل ، والمشركين ١٠٠٠ مقاتل ، وانتصر فيها المسلمون نصرا مؤزرا، ولم يقتل منهم إلا ١٤ رجل ، بينما قتل ٧٠ من المشركين ، وأسر منهم ٧٠. أنظر تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢٠/٢).

٣ السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الاصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس) توفي سنة ١٢٨ هـ. (الأعلام للزركلي ٣١٧/١).وانظر سير أعلام النبلاء٥/٢٦٤.

"وفي أنفسهم": فتح مكة[1]...وقال عطاء[2]وابن زيد[3]: "في الآفاق" يعني: أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، "وفي أنفسهم" من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق"[4].

أمّا موضع الشاهد هنا فهو في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أنّ الضمير في (أنّه)- والذي وُصِف بكونه هو الحق - لا يخرج عن أحد أربعة أوجه ألا وهي:

القرآن الكريم أو دين الإسلام أو نبوة نبينا محمد ﷺ أو هو ذات ما يفعله الله ﷻ ويريهم إيّاه من آيات،ولا مانع من أن يكون كل ذلك من الحق الذي يراد بيانه، وهذا ما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، حيث قال:﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فيه أربعة أوجه :

[أحدها] أنه القرآن. [الثاني] الإسلام جاءهم به الرسول ودعاهم إليه. [الثالث] أن ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق. [الرابع] أن محمدا ﷺ هو الرسول الحق." [5]

ومثل ذلك فيما ذكره الإمام الطبري قائلا:" حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يقول جلّ ثناؤه: أُرِيَ هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه

---

١ فتح مكة: فتح مكة: كان في شهر رمضان من السنة ٨هـ ، حيث دخل النبي ﷺ مكة، وفتحها عنوة دون قتال، ومعه ١٠ آلاف من المسلمين، وقام الناس إليه يبايعونه فأسلم أهل مكة وأقام النبي ﷺ عندهم نصف شهر .تاريخ الطبري - الطبري ١٥٢/٢.

٢ عطاء: هو بن أبي رباح، عطاء بن اسلم بن صفوان الجندي (ابن أبي رباح) (٢٧ - ١١٤ هـ).فقيه، مفسر، من التابعين.ولد في جند باليمن، ونشأ بمكة، فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي بها. من آثاره: تفسير. معجم المؤلفين ٢٨٣/٦.

٣ ابن زيد: هو عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم العمري المدني، أخو أسامة، وعبد الله، وفيهم لين. وكان عبدالرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ. وحدث عن أبيه، وابن المنكدر. روى عنه أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. توفي سنة ١٨٢هـ. (سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨).

٤ معالم التنزيل ١٧٩/٧ .

٥ الجامع لأحكام القرآن ٣٧٤/١٥ .

من الوعد له بأنّا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلِّها، ولو كره المشركون"[1].

ونحو منه ما ذكره الإمام ابن كثير قائلا:" أي:سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله ﷻ، على رسوله ﷺ بدلائل خارجية { فِي الآفَاقِ } ، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بَدْر ، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حَلّت بهم، نَصَرَ الله فيها محمدًا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مُرَكّبٌ منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوطٌ في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبولٌ عليه من الأخلاق المتباينة، من حسنٍ وقبيحٍ وبين ذلك، وما هو مُتَصَرِّفٌ فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها"[2]

ولعل سياق الآية هو الذي يحدد مرجع الضمير،وهذا ما فهمه الإمام السعدي الذي فسر الحق الوارد في الآية بأنّه القرآن رابطا بين هذه الآية وبين سابقتها فقال:" أي { قُلْ } لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ } هذا القرآن { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } من غير شكٍ ولا ارتياب، { ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} أي: معاندةٍ للّه ولرسوله، لأنّه تبيّن لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حقٍ، بل إلى باطلٍ وجهل، فإذًا تكونون أضلَّ الناس وأظلمهم.

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٤٩٤/٢١ .

٢ تفسير القرآن العظيم ١٨٧/٧.

فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم اللّه لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يُحدِثُه اللّه تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

{ وَفِي أَنْفُسِهِمْ } مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات اللّه وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ } من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك { أَنَّهُ الْحَقُّ } وما اشتمل عليه حق.

وقد فعل تعالى، فإنّه أَرَى عباده من الآيات، ما به تبيّن لهم أنّه الحق، ولكنّ اللّه هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء.

{ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة اللّه تعالى، فإنّه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيّده، ونصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها"[١].

وبعد هذا العرض نجد أن الحق الذي أراد الله ﷻ بيانه لخلقه وجنّد له آيات الكون والأنفس هو أمر عظيم وخطب جلل عليه مدار الإيمان وهو أصل كلّيٌّ في المعتقد تبنى عليه الجزئيات ألا وهو :الإسلام والقرآن ونبوة نبينا محمد ﷺ .

فإذا عُلِم هذا، فليُعلَم أنّه ليس من الصواب أن يُعدَل عن مثل هذه القضايا الأساسية إلى قضية فرعية ـ خروج المهدي ـ ويُدّعى أنّ الآيات كلها جُنّدَت لأجل إثباتها.

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٥٢/١ .

٥)قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾(العنكبوت١٠)

تأويلُهم:جاء في تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾يعني القائم ﴿ﷺلَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾[١].

الرد عليهم:

في الآية إخبارٌعن حال صنفٍ من النّاس – المنافقين –ادَّعوا بألسنتهم الدخول في زمرة المؤمنين، فإذا أصابتهم فتنة تزعزعوا عن دينهم وارتدوا، وإذا فُتِح على المؤمنين بالخير والنصر عادوا لدعواهم.

وهذا الصنف موجودٌ في كل الأزمان والأحيان منذ بداية الإسلام ،فإذا فُسِّر النصر بأنّه هو خروج القائم فكيف يستقيم معنى الآية في حق من هم قبل زمن القائم،والقائم زمانه متأخِّرٌ إذ هو الإمام الثاني عشر ،فماذا يكون معنى النصر فيمن قبله؟ خصوصًا وأنّ أهل التفسير ذكروا أن هذه الآية نزلت في أناس وأقوام بأعيانهم[٢] كانوا قبل زمان القائم ،ومن ذلك :

. ما رواه الإمام القرطبي في تفسيره للآية: "قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) الآية نزلت في المنافقين كانوا يقولن آمنّا بالله (فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أي أذاهم (كَعَذابِ اللَّهِ) في الآخرة، فارتدّ عن إيمانه. وقيل: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله.

١ بحار الأنوار ٤٨/٥١ .

٢ ملاحظة :كون الآية نزلت في أقوام بأعيانهم لا يتعارض مع ما ذُكِر من كون هذا الصنف موجود في كل زمان ومكان ، لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقرره الأصوليّون.

(وَلَئِنْ جاءَ) المؤمنين (نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدون (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) وهم كاذبون، فقال الله لهم (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ) يعني الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم. وقال مجاهد: نزلت في ناسٍ كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاءٌ من الله أومصيبةٌ في أنفسهم افتتنوا. وقال الضحاك[1]: نزلت في ناسٍ من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك وقال عكرمة[2]: كان قومٌ قد أسلموا فأكرههم المشركون على الخروج معهم إلى بدرٍ فقتل بعضهم، فأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ) فكتب بها المسلمون من المدينة إلى المسلمين بمكة، فخرجوا فلحقهم المشركون، فافتتن بعضهم، فنزلت هذه الآية فيهم.

---

١ الضحاك:هو الضحاك بن مزاحم البلخي، الهلالي،الخراساني (أبو القاسم) مفسر، محدّث، حدّث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك وغيرهم، وكان يؤدب الأطفال. له كتاب في التفسير. مات سنة ١٠٥ هـ معجم المؤلفين ٢٧/٥.

٢ عكرمة: هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (٢٥ – ١٠٥ هـ): تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عند ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة. وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي " الصفرية " وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة هو و " كثير عزة " في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. الأعلام للزركلي ٢٤٤/٤.

وقيل: نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة[1]، أسلم وهاجر، ثم أُوذِيَ وضُرِبَ فارتد. وإنّما عذّبه أبو جهل والحرث وكانا أخويه لأمه. قال ابن عباس: ثم عاش بعد ذلك بدهرٍ وحَسُنَ إسلامه. (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ) قال قتادة: نزلت في القوم الذين ردّهم المشركون إلى مكّة"[2].

وبهذا يتضح أن النصر في الآية المقصود به جنس الخير والفتح والمغانم التي تصيب المؤمنين، وهذا هو التفسير الذي ذكره الإمام ابن كثير حيث قال:"أي: ولئن جاء نصر قريب من ربك -يا محمد -وفتحٌ ومغانم"[3].

وكذلك ما جاء عن الإمام البغوي:" وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ } أي: فتح ودولة للمؤمنين"[4].

١ عياش بن أبي ربيعة: اسم أبي ربيعة: عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله. وهو أخو أبي جهل لأمه، وابن عمه، وهو أخو عبد الله بن أبي ربيعة. كان إسلامه قديماً أول الإسلام، قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة، وولد له بها ابنه عبد الله، ثم عاد إلى مكة، وهاجر إلى المدينة هو وعمر بن الخطاب. وقتل عياش يوم اليرموك، وقيل: مات بمكة، قاله الطبري. أنظر: أسد الغابة (٣٤٢/٤).
٢ الجامع لأحكام القرآن ٣٢٩/١٣ .
٣ تفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٦ .
٤ معالم التنزيل ٢٣٤/٦ .

المسألة الثانية:

شبه الشيعة النقلية من السنة في المهدي المنتظر مع بيان وجه الاستدلال.

من المعلوم أنّ مصادر الحديث عند الشيعة تختلف عنها عند أهل السنّة ،فلكل فريقٍ مصادره الحديثية التي يعتمد عليها ويرجع إليها ،وليس الحال كما هو في القرآن الكريم حيث إنّ المرجع فيه واحدٌ عند الفريقين وهو كتاب الله ﷻ .

ومن هنا فعند مناقشة الأحاديث التي اشتبه فيها الفهم عند الشيعة في مسألة المهدي من المستحسن أن تكون هذه الأحاديث مشتركة بين الفريقين، فتكون هذه النصوص نقطة التقاء بينهما ، فيمكن حينها أن يتبين الفهم الصحيح للنص من الفهم الذي اشتبه على أصحابه وهو غير مراد للشارع .

وقد جاء في أحد كتبهم . الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال[١] . ذكر للأحاديث المشتركة بين الفريقين[٢]، والتي زعموا أنّها مسلّمة الدلالة على ولادة المهدي،وستكون هذه الأحاديث هي منطلق النقاش هنا في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

١.الحديث الأول:

---

١ محمد باقر الإيرواني ص٢٣.

٢ دعوى الاشتراك المطلق في هذه الأحاديث بين السنة والشيعة فيه نظر،إذ أنّ أحد الأحاديث التي ادّعوا فيها الاشتراك ليس له وجود في كتب السنة بنفس اللفظ الذي ذكروه ، وسيأتي تفصل ذلك عند ذكر الحديث الثالث ص ٦٩.

عن أبي سعيد الخدري ﷺقال: قال رسول الله :ﷺ(إنّي تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[1].

تأويلُهم :

قالوا:"حديث الثقلين أو الثقلين[2]،الذي هو حديث متواتر بين الإمامية والأخوة العامة،ولا مجال للمناقشة في سنده،قاله النبيﷺ في مواطن متعددة: في حجة الوداع، في حجرته المباركة،في مرضه،وفي...فإذا رأينا اختلافا في بعض ألفاظ الحديث فهو ناشئ من اختلاف مواطن تعدد ذكر النبيﷺ لهذا الحديث:((إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله،وعترتي أهل بيتي،أحدُهما أكبرُ من الآخر،ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) لاحظوا: (ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) يعني أنّ الكتاب مع العترةمن البدايةمن زمان النبيﷺ إلى أن يردا عليه الحوض.وهذا يدل على أنّ العترة الطاهرة مستمرة مع الكتاب الكريم،وهذا الاستمرار لا يمكن توجيهه إلّا بافتراض أنّ الإمام المهديعليه السلام قد وُلِد ولكنّه غائبٌ عن الأعين،إذ لو لم يكن مولودًا وسوف يُولَد في المستقبل لافترق الكتاب عن العترة الطاهرة،وهذا تكذيب ـاستغفر الله ـ للنبي،فهو يقول: ((ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) هذا لازمه أنّ العترة لها استمرار وبقاء مع الكتاب إلى أن يردا على النبيﷺ،وهذا لا يمكن توجيهه إلّا بما قلت:إنّ الإمام المهدي سلام الله عليه قد وُلِد ولكنّه غائبٌ ،وإلّا يلزم الإخبار على خلاف الواقع.وهذا حديث واضح الدلالة،يدل على ولادة الإمام سلام الله عليه،لكن كما قلت هذا الحديث لن

---

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم(١١١١٩) ج٣ ص١٤، تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح بشواهده دون قوله " فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " وهذا إسناد ضعيف.

أما بالنسبة لدواوين الشيعة:المسترشد لمحمد بن جرير الطبري(الشيعي)ص٥٥٩الباب العاشر/حديث الثقلين وصية رسول اللهﷺبالإمامة والولاية.و بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٤٣٢ باب:في قول رسول اللهﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي. وبحار الأنوار للمجلسي وقد أورد الحديث في مواضع كثيرة ومتفرقة من كتابه

٢هكذا في كتابه بدون ضبط للكلمتين ولعله يريد (الثَقَلَين أو الثُقلَين) .

يرد ابتداءً في الإمام المهدي، وإنّما هو منصبٌ على قضيةٍ ثانية:(وإنّهما لن يفترقا)،لكن نستفيد منه ولادة الإمام بالدلالة الالتزامية. وقد يقول قائل:لنفترض أنّ الإمام عليه السلام لم يُولد،ولكن في فترة الرجعة التي ستقع في المستقبل يرجع الإمام العسكري عليه السلام،ويتولّد آنذاك الإمام المهدي عليه السلام،إنّ هذه فريضة ممكنة وعلى أساسها يتم التلاؤم بين صدق الحديث وافتراض عدم ولادة الإمام عليه السلام. وجوابنا أنّ لازم هذه الفريضة تحقق الافتراق بين العترة الطاهرة والكتاب الكريم في الفترة السابقة على فترة الرجعة، ففي هذه الفترة لا وجود للإمام المهدي عليه السلام ولا وجود للعترة وقد تحقق فيها افتراق الكتاب الكريم عن العترة الطاهرة"[1].

الرد عليهم:

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على المكانة الرفيعة والشرف العظيم الذي منحه الله عز وجل لآل بيت نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ،إذ جعلوا أحد الثقلين اللذين تركا في الأمة؛ وسبب كونهم مع كتاب الله عز وجل ثقلين:" لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل . ويقال لكل خطير [نفيس]: ثُقل. فسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما"[2].

وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأطهار الذين وردت تسميتهم بالعترة في بعض روايات الحديث هم:" أصحاب الكساء[3] الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وقيل من

حرمت عليه الزكاة ورجحه القرطبي"[1].

١الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال لمحمد باقر الأيرواني ص٢٣.

٢ النهاية في غريب الحديث والأثر /لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (١/٢١٦).

٣ أصحاب الكساء: هم الذين ورد ذكرهم في الحديث التالي:عن أم سلمة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن و الحسين وعلى فاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال إنك إلى خير . رواه الترمذي برقم(٣٨٧١)٥/٦٩٩ وقال هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب. وقال الشيخ الألباني : صحيح.

وفي النهاية:"عترة الرجل : أخص أقاربه . وعترة النبي ﷺ : بنو عبد المطلب[2] . وقيل : أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده. وقيل: عترته: الأقربون والأبعدون منهم. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه:(نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنهم) لأنهم كلهم من قريش ومنه حديثه الآخر (قال للنبي ﷺ حين شاور أصحابه في أسارى بدر: عترتك وقومك)، أراد بعترته: العباس ومن كان فيهم من بني هاشم[3] وبقومه قريشا[4] . والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة"[5] .

ونخلص مما سبق إلى :

---

١ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٩/٣).

٢ بنو عبد المطلب: بطن من هاشم، واسم عبد المطلب عامر فيما قال ابن قتيبة، وابن إسحاق وغيرهما، وإنما سمي عبد المطلب لأنه كان صغيراً بالمدينة عند أمه سلمى بنت عمرو من بني النجار بن الخزرج فأخذه منها عمه عبد المطلب بن عبد مناف، وأتى به مكة وهو راكب خلفه على بعير، فقالت قريش حينئذ هذا عبد المطلب، فقال ويحكم إنما هو ابن أخي فغلب عليه هذا الاسم، وكان يلقب بشيبة لأنه ولد وفي ذؤابته شيبة ظاهرة، كان له من الولد اثني عشر على عمود النسب عبد الله أبو النبي ﷺ، أنظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندي ص ٣٤١.

٣ بنو هاشم: بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، كان له خمسة أولاد منهم على عمود النسب عبد المطلب، وخارجا عن عمود النسب، حنظله وأسد وصيفي وأبو صيفي. واسم هاشم عمرو وسمي هاشما لهشمه الثريد لقومه في شدة المحل، وذلك انه كان إليه الرفادة والسقاية بمكة، أنظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندى ص ٤٣٥ .

٤ قريش: قبيلة من كنانة، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قريش على ما ذهب إليه جمهور النسابين، وذهب آخرون إلى أن قريشاً هو فهر بن مالك بن النظر فلا يقال قريش إلا لمن كان من ولد فهر، ورجحه جماعة. بل قد قيل أن قريشا اسم لفهر، وأن فهر لقب عليه، وقريش على قسمين، قريش البطاح، وقريش الظواهر، فقريش البطاح ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لوي، وقريش الزاهر من سواهم. أنظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندي ص ٣٩٧.

٥ النهاية في غريب الحديث والأثر /لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (١٧٧/٣).

أن المقصود بالعترة :إما خاصة رسول اللهﷺ وأهل بيته الأقربون فقط،أو هم أهل بيته الأقربون والأبعدون حسب بعض الأقوال.

ومعنى الحديث:

الدعوة إلى التمسك بكتاب اللهﷻ، وبهدي آل بيت رسول الله ﷺ ،وأنهما بمثابة ثقلين في الأمة يحميانها من الطيش والميلان.

قال المناوي[1] رحمه الله تعالى:"يعني إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا، قال القرطبي: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله، وإبرارهم، وتوقيرهم، ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها. هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ ،وبأنهم جزء منه، فإنهم أصوله التي نشأ عنها، وفروعه التي نشأوا عنه، كما قال: "فاطمة بضعة مني" ...أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينية، والأسرار والحكم الشرعية، وكنوز الحقائق، وخفاياالدقائق، وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين، فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق، ومحاسنها تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته"[2].

أما كونهما ((لا يفترقان حتى يردا الحوض)):

---

١ المناوي: هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين(٩٥٢ - ١٠٣١ هـ): من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه(كنوز الحقائق) في الحديث، و (التيسير) في شرح الجامع الصغير، مجلدان، اختصره من شرحه الكبير (فيض القدير) و (شرح الشمائل للترمذي) و (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) و (شرح قصيدة النفس، العينية لابن سينا) و...إلخ. الأعلام للزركلي ٢٠٤/٦.

٢ فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢٠/٣) .

هذه هي العبارة التي تعد موضع الاشتباه عند الشيعة،فإنهم فهموا من عدم الافتراق الوارد في الحديث أنه لابد من بقاء أحد بعينه من بيت رسول اللهﷺ إلى قيام الساعة؛ حتى يتم الاقتران بينهم(العترة) وبين كتاب الله ﷻ ،وإلا بطل معنى الحديث،ومن هنا قدّروا ولادة المهدي وبقاءه حتى قيام الساعة مقترنا بالكتاب، وقالوا إن الحديث يدل على ذلك.

فيقال لهم :

بادئ ذي بدء إن هذه العبارة زيادة في الحديث مطعون في صحتها وقد أشير إلى ذلك عند تخريج الحديث[1] ،قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"وقد رواه الترمذي، وزاد فيه: (وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة وقال إنها ليست من الحديث، والذين اعتقدوا صحتها قالوا: إنما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة، وهذا قاله طائفة من أهل السنة، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلى[2] وغيره"[3].

ثمّ على فرض صحة العبارة فإن في تفسيرها بولادة المهدي تعسف و تحميل للحديث مالا يحتمله، حيث إنّه يمكن تفسير الاقتران الوارد في الحديث بغير هذا التقدير من وجهين:

أحدهما :إن فسرت العترة بأهل البيت الأقربين فقط وقد علم موتهم أجمعين ،فيكون عدم الافتراق بين الكتاب الكريم والعترة الأطهار مقصود به في الآخرة ،فيجازى من تمسك بهذين الثقلين في الدنيا بأنهما لا يفارقانه في مواقف الآخرة حتى يرد الحوض.

١أنظر ص ٥٧ من نفس البحث .

٢ القاضي أبو يعلى:هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى (٣٨٠ - ٤٥٨ هـ): عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون.من أهل بغداد.ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان. له تصانيف كثيرة، منها (الإيمان) و(الأحكام السلطانية) و (الكفاية في أصول الفقه) و (أحكام القرآن)و (عيون المسائل)...إلخ. وكان شيخ الحنابلة. . الأعلام للزركلي (٦/٩٩).

٣ منهاج السنة النبوية (٣١٨/٧).

ويدل عليه ما ذكره الطيبي[1] حيث قَالَ:" لعل السر في هذه التوصية واقتران العترة بالقرآن أن إيجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى:﴿قُللَّآأَسْأَلُكُمْعَلَيْهِأَجْراًإِلَّاالْمَوَدَّةَفِيالْقُرْبَى﴾ (الشورى ٢٣)فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر، فكأنه ﷺ يوصي الأمة بقيام الشكر . وقيل تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا، فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يرد الحوض فشكرا صنيعه عند رسول الله ﷺ ، فحينئذ هو بنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الأوفى. ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس ، وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله " فانظروا كيف تخلفوني فيهما " ، والنظر بمعنى التأمل والتفكر أي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي إياكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء"[2].

الثاني :إن فسرت العترة بأنهم أهل البيت الأقربون والأبعدون فلا مانع حينها أن يكون في كل زمان ناس من أهل بيت رسول الله ﷺ ـ الأشراف ـ يتحقق بهم الحديث في الدنيا مع ما هو منتظر في الآخرة مما ذكر في الوجه الأول،على أن يكون هؤلاء ـ العترة ـ من الصالحين الذين تمسكوا بكتاب الله ﷻ وحكّموه وعملوا به.

وهذا ما نقله المناوي عن الحكيم الترمذي[3] أنهقال:"والمراد بعترته هنا العلماء العاملون إذ هم الذين لا يفارقون القرآن، أما نحو جاهل وعالم مخلط فأجنبي من هذا المقام، وإنما ينظر

---

١ الطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان.من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر.من كتبه (التبيان في المعاني والبيان)و (الخلاصة في معرفة الحديث) و (شرح الكشاف) أربعة مجلدات ضخمة، في التفسير، سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)و (شرح مشكاة المصابيح) في الحديث توفي سنة (٧٤٣ هـ) الأعلام للزركلي ٢/٢٥٦.

٢ تحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/١٩٧) .

٣ الحكيم الترمذي:هو محمد بن علي بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي (أبو عبد الله) محدث، حافظ، صوفي. سمع الكثير بخراسان والعراق، وقدم نيسابور وحدث بها، وسمع منه الحديث سنة ٣١٨ هـ. من تصانيفه: الأكياس والمغترين،

للأصل والعنصر عند التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فإذا كان العلم النافع في غير عنصرهم لزمنا اتباعه"[1]

٢.الحديث الثاني:عن جابر بن سمرة[2] قال دخلت مع أبي على النبيﷺ فسمعته يقول (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ». قال ثم تكلم بكلام خفي علي – قال – فقلت لأبي ما قال:قال « كلهم من قريش »[3].

تأويلهم:

قالوا:"وهذا الحديث من المسلمات أيضا،وليس له تطبيق معقول ومقبول إلا الأئمة الاثني عشرعليهم السلام. وجاء البعض وحاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين واثنين أو ثلاثة من بني

رياضة النفس، الكسب وكلها في التصوف، نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ، وعلل العبودية. توفي سنة(٣٢٠هـ) معجم المؤلفين ٣١٥/١٠، وانظر الأعلام للزركلي٢٧٢/٦.

١ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢٠/٣).

٢ جابر بن سمرة بن جنادة السوائي: صحابي،كان حليف بني زهرة. له ولابيه صحبة. نزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي في ولاية بشر على العراق. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٤٦ حديثا توفي سنة (٧٤ هـ) الأعلام للزركلي ١٠٤/٢، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٦/٣.

٣ رواه مسلم ، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (٣/٦).

أمّا بالنسبة لدواوين الشيعة:كمال الدين وتمام النعمة ص٢٧٢، باب:نص النبي ﷺ على القائم عليه السلام، والغيبة للطوسي ص١٢٨ ، وبحار الأنوار للمجلسي ص٢٦٥ ، باب:فيما قاله النبي ﷺ في عدد الأئمة عليهم السلام.

العباس[1].

إن هذا التطبيق غير مقبول، وكل شخص يلاحظ هذا الحديث يجده إخبارا غيبيًا من النبيﷺ عن قضية ليس لها مصداق وجيه ومقبول سوى الأئمة صلوات الله عليهم الاثني عشر. وهذا الحديث بالملازمة يدل على ولادة المهديعليه السلام،إذ لو لم يكن مولودًا الآن، والمفروض أن الإمام العسكري توفي ولم يحتمل أحد أنه موجود، إذن كيف يولد الإمام المهدي من أب هومتوفى. فلابد وأن نفترض أن ولادة الإمام عليه السلام قد تحققت،وإلا هذا الحديث يعود تطبيقه غير وجيه.فهذا الحديث بالدلالة الالتزامية يدل على ولادة الإمام عليه السلام"[2].

الرد عليهم:

هذا الحديث رغم صحته إلا أنه تعددت فيه الروايات، واختلفت فيه الألفاظ بين الرواة، مما سبب بعض إشكال في فهم الحديث.

---

١ بنو العباس: العباسيون بطن من بني عبد المطلب بن هاشم بن العدنانية، وهم بنو العباس بن عبد المطلب، وفضل العباس رضي الله عنه أشهر من أن يذكر، وكان له من الولد تسعة أولاد وهم الفضل وبه يكنى، وعبد الله حبر الأمة، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن، ومعبد، وتمام، وكبير، والحارث، والستة الأولون أمهم لبابة بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن صعصعة، ويقال ما رؤي قبور أخوة أشد تباعداً من أربعة من بنيه، عبد الله بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، وقثم بسمرقند، ومعبد بأفريقية، والخلافة باقية في بنيه إلى ان انتقلت عن بين أمية المقدم ذكرهم...نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص ١٤٣.

٢الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال لمحمد باقر الإيراواني ص٢٥.

وقد أشار الحافظ ابن الجوزي[1] إلى ذلك فقال:"هذا الحديث قد أطلت البحث عنه وطلبته مظانه وسألت عنه فما رأيت أحدا وقع على المقصود به وألفاظه مختلفة لا أشك أن التخليط فيها من الرواة وبقيت مدة لا يقع لي فيه شيء ثم وقع لي فيه شيء فسطرته ثم رأيت أبا سليمان الخطابي[2] قد أشار إلى ما وقع لي، ثم وقع إلي كلاملأبي الحسين بن المنادي[3] على هذا الحديث على وجه آخر ثم وقع لي حديث يدل على وجه ثالث..."[4].

وقد ذكر صاحب تحفة الأحوذي بعض الروايات الواردة فيه فقال:" وفي رواية لمسلم : إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ، وفي رواية أخرى له . " لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا " ، وفي أخرى له : " لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة " ، وفي أخرى له : " لا يزال الدين قائما . . حتى تقوم الساعة أو يكون

---

١ الحافظ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف بابن الجوزي (جمال الدين، أبو الفرج) (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع أخرى من العلوم.ولد ببغداد سنة،وتوفي بها، ودفن بباب حرب. من مؤلفاته الكثيرة المغني في علوم القرآن،تذكرة الأريب في اللغة، جامع المسانيد في سبع مجلدات، المنتظم في تاريخ الأمم، وبستان الواعظين ورياض السامعين. معجم المؤلفين٥/١٥٧.

٢ أبو سليمان الخطابي:حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي، البستي (أبو سليمان) (٣١٩ - ٣٨٨ هـ):محدث، فقيه، أديب، لغوي، شاعر.ولد بمدينة بست من بلاد كابل ، وسمع الحديث بمكة وبالبصرة وببغداد، وتوفي ببست.من تصانيفه: غريب الحديث، أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، معالم السنن في شرح سنن أبي داود، كتاب العزلة، كتاب الغنية عن الكلام وأهله، وإصلاح غلط المحدثين. معجم المؤلفين٤/٧٤.

٣ أبو الحسين ابن المنادي:هو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين ابن المنادي(٢٥٦ - ٣٣٦ هـ): عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد. من كتبه (اختلاف العدد) و (دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات) و (القطيعيات) خمسة أجزاء في الحديث، و (مسند العشرة) . الأعلام للزركلي ١/١٠٧ .

٤ كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/٤٤٩).

عليكم اثنا عشر خليفة " ووقع في حديث أبي جحيفة[1] عند البزار والطبراني نحو حديث جابر بن سمرة بلفظ : " لا يزال أمر أمتي صالحا " وأخرجه أبو داود من طريق الأسود بن سعيد[2] عن جابر بن سمرة نحوه قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا ؟ قال " الهرج " . وأخرجه من طريق إسماعيل بن أبي خالد[3] عن أبيه بلفظ : " لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة "[4].

ونتج عن هذا الاختلاف في الروايات أن اختلفت آراء العلماء في فهم الحديث وتطبيقه، وتباينت أقوالهم في تحديد الاثني عشر خليفة، كل حسب اجتهاده وفهمه.

ويمكن تلخيص أقوال العلماء في تحديد الاثني عشر خليفة على الأوجه التالية[5] :

١.أنهم الخلفاء الأربعة الراشدون، ومعهم ثمانية من خلفاء بني أمية[6].

٢.أنهم الخلفاء الأربعة، ولابد من تمام العدد قبل قيام الساعة .

---

١ أبو جحيفة:هو وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة السوائي، أبو جحيفة: صحابي. توفي النبي ﷺوهو مراهق. وسكن الكوفة وولي بيت المال والشرطة لعلي، فكان يدعوه " وهب الخير " ومات في ولاية بشر بن مروان على العراق. وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة توفي سنة (٦٤هـ). الأعلام للزركلي ١٢٥/٨.

٢ الأسود بن سعيد: الهمداني.روى عن جابر بن سمرة وابن عمر. وعنه زياد بن خيثمة ومعن بن يزيد وأبو إسرائيل الملائي.روى له أبو داود حديثا واحدا في خلفاء قريش.وخرجه ابن حبان في صحيحه من طريقه وذكره في الثقات، وقال ابن القطان مجهول الحال. تهذيب التهذيب ابن حجر ٢٩٦/١.

٣ إسماعيل بن أبي خالد:هو الحافظ، الإمام الكبير، أبو عبد الله البجلي، الأحمسي، مولاهم الكوفي.واسم أبيه هرمز، وقيل سعد، وقيل: كثير.كان محدث الكوفة في زمانه مع الأعمش، بل هو أسند من الأعمش...وعداده في صغار التابعين،...وكان من أوعية العلم...ولم ينبز بتشيع ولا بدعة،مات سنة ١٤٦هـ . أنظر سير أعلام النبلاء ١٧٦/٦.

٤ تحفة الأحوذي /للمباركفوري (٣٩١/٦) .

٥ ينظر:(فتح الباري/ابن حجر (٢١٢/١٣)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/لأبي حفص عمر بن إبراهيم القرطبي (٨/٤)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/للمباركفوري (٣٩١/٦)، كشف المشكل من حديث الصحيحين/لابن الجوزي (٤٤٩/١)، عون المعبود شرح سنن أبي داود/للعظيم أبادي (٣٦٤/١١)).

٦ بنو أمية بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو أمية الأكبر بن عبد شمس بن مناف، وبنو أمية هؤلاء المراد ببني أمية عند الإطلاق وكان له عشرة أولاد أربعة منهم يسمون الأعياص، وستة يسمون العنابس ، ومن عقبه عثمان ابن عفان . ومنهم أيضاً معاوية ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية أنظر نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندي ٣٠/١ .

٣.أنهم خلفاء بني أمية.

٤.أنهم خلفاء يجتمعون في زمن واحد يفترق الناس عليهم، قال الحافظ بن حجر :" وقد وقع في المائة الخامسة في الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعى الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج قال ويعضد هذا التأويل قوله في حديث آخر في مسلم ستكون خلفاء فيكثرون)[1].

٥.أنهم الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس والمهدي المبشر به آخر الزمان، وهذا القول ذكره ابن كثير[2].

هذا ملخص ما ذكره العلماء في الاثني عشر خليفة الوارد ذكرهم في الحديث السابق.

أمّا ما ذهب إليه الشيعة من كون أئمتهم الاثني عشر هم المقصودون بالحديث،وأنّه لا تطبيق للحديث غيره فهذا قول خاص بهم، وقد ردّه العلماء عليهم.

وقد نقل العظيم أبادي[3] الرد عليهم من وجوه، فقال رحمه الله تعالى:" وقال الشيخ

الأجل ولي الله المحدث[1] في قرة العينين في تفضيل الشيخين: وقد استشكل في حديث " لا يزال هذا الدين ظاهرا إلى أن يبعث الله اثني عشر خليفة كلهم من قريش " . ووجه

---

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٣ ص٢١٢ ،وأراد بحديث مسلم ما رواه أبو هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال:(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى وستكون خلفاء فتكثر). قالوا فما تأمرنا قال:(فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم). رواه مسلم ١٧/٦ .

٢ تفسير القرآن العظيم/ابن كثير سورة المائدة (آية ١٢) ٦٥/٣ .

٣ العظيم آبادي: هو محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: علامة بالحديث، هندي. من تصانيفه (التعليق المغني على سنن الدارقطني)، و (عون المعبود على سنن أبي داود)، و (المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف) و (عقود الجمان) في تعليم المرأة، و (القول المحقق) في الحديث. و كانت وفاته بعد ١٣١٠ هـ . الأعلام للزركلي ٣٩/٦ .

الاستشكال أن هذا الحديث ناظر إلى مذهب الاثنا عشرية الذين أثبتوا اثني عشر إماما،..
..وأما ما فهم هذا المستشكل فلا يستقيم أصلا بوجوه .

الأول: أن المذكور ها هنا الخلافة لا الإمامة ولم يكن أكثر من هؤلاء اثني عشر خليفة بالاتفاق بين الفريقين .

الثاني: أن نسبتهم إلى قريش تدل على أن كلهم ليسوا من بني هاشم ، فإن العادة قد جرت على أن الجماعة لما فعلوا أمرا وكلهم من بطن واحد يسمونهم بذلك البطن ، ولما كانوا من بطون شتى يسمونهم بالقبيلة الفوقانية التي تجمعهم .

الثالث: أن القائلين باثني عشر أئمة لم يقولوا بظهور الدين بهم بل يزعمون أن الدين قد اختفى بعد وفاته ﷺ، والأئمة كانوا يعملون بالتقية وما استطاعوا على أن يظهروه حتى إن عليا ﵁ لم يقدر على إظهار مذهبه ومشربه.

الرابع: أن المفهوم من حرف إلى أن تقع فترة بعد ما ينقضي عصر اثني عشر خليفة وهم قائلون بظهور عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وكمال الدين بعدهم فلا يستقيم معنى الغاية والمغيَّا كما لا يخفى"[٢].

هذا الكلام فيه إنكار دلالة الحديث على أئمة الشيعة الاثني عشرية بشكل عام.

---

١ ولي الله المحدث:هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله(١١١٠ - ١١٧٦ هـ): فقيه حنفي من المحدثين.من أهل دهلي بالهند. وقيل في وفاته: سنة ١١٧٩ هـ من كتبه (فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير) و (حجة الله البالغة) ، و (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) و(البدور البازغة) في التصوف والحكمة، و (القول الجميل في بيان سواء السبيل) تصوف وترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة النظم العربي، وسمى كتابه(فتح الرحمن في ترجمة القرآن). الأعلام للزركلي (١٤٩/١).

٢ عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣٦٤/١١).

أمّا فيما يتعلق بالمهدي بشكل خاص:فإن ما زعمه الشيعة من دلالة الحديث على ولادة المهدي هو فهم مردود عليهم من باب الأولى؛ لأن الحديث ليس فيه دلالة على آبائه ابتداء،إذ استدلوا هم بذلك على ولادته ضمنا.

ثمّ يقال لهم:حتى لو كان المهدي المبشر به في آخر الزمان هو أحد الخلفاء الاثني عشر الذين ستتم بهم الحسبة الواردة في الحديث السابق، إلا أنه ليس هو مهدي الشيعة قطعا؛ إذ كيف يكون الغائب المختبئ عن الأنظار خليفة ينصر الدين ويعز أمره على يديه،قال العظيم أبادي:" وأنت خبير بأن اختفاء الإمام وعدمه سواء في عدم حصول الأغراض المطلوبة من وجود الإمام وإن خوفه من الأعداء لا يوجب الاختفاء بحيث لا يوجد منه إلا الاسم ، بل غاية الأمر أن يوجب اختفاء دعوى الإمامة كما في حق آبائه الذين كانوا ظاهرين على الناس ولا يدّعون الإمامة ، وأيضا فعند فساد الزمان واختلاف الآراء واستيلاء الظلمة احتياج الناس إلى الإمام وانقيادهم له أسهل كذا في شرح العقائد"[1].

إذن فالحديث لا يدل على أئمة الشيعة الاثني عشر، فضلا عن أن يدل على مهديهم وإمامهم الثاني عشر . والله تعالى أعلم.

٣. الحديث الثالث:

قال رسول الله ﷺ:(من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية)[2]

تأويلهم:

---

١ عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/٣٦٧).

٢ بالنسبة لدواوين الشيعة:(أخرجه الكليني في الكافي ج١ ص٣٧٧ باب/من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، الشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة باب ما أخبر به العسكري عليه السلام من وقوع الغيبة ص٤٠٩، كفاية الأثر المؤلف : الخزاز القمي ص٢٩٦/باب ما جاء عن زيد بن علي في النص على الأئمة.
أمّا بالنسبة لتخريجه في كتب أهل السنة فسيأتي عند الرد في الصفحة التالية ص ٧٠ .

قالوا:"فإذا لم يكن الإمام المهدي‌عليه السلام مولودًا الآن،فهذا معناه نحن لا نعرف إمام زماننا، فميتتنا ميتة جاهلية، فالحديث يدل على أن كل زمان لابد فيه من إمام، وكل شخص مكلف بمعرفة ذلك الإمام ومكلف بأن لا يموت ميتة جاهلية، فلو لم يكن الإمام مولودا إذن كيف نعرف إمام زماننا؟"[1].

الرد عليهم:

أمّا بالنسبة لهذا الحديث فقد زعمت الشيعة أن أهل السنة يوافقونهم عليه. والصواب: أن أهل السنة ينكرون أن يكون في دواوينهم حديث بهذا اللفظ.

قال الشيخ الألباني :" (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) لا أصل له بهذا اللفظ"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" قوله فقال رسول الله ﷺ(من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) يقال له أولا من روى هذا الحديث بهذا اللفظ ؟ وأين إسناده؟ وكيف يجوز أن يحتج بنقل عن النبي ﷺ من غير بيان الطريق الذي به يثبت أن النبي ﷺ قاله ؟ وهذا لو كان مجهول الحال عند أهل العلم بالحديث فكيف وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف"[3].

فثبت بهذا الكلام أن هذا الحديث لا يوجد عند أهل السنة بلفظه، ثم إن سنده مطعون فيه بجهالة رواته.

قال الشيخ الألباني:" ثم رأيت الحديث في كتاب " الأصول من الكافي " للكليني من علماء الشيعة رواه (١ / ٣٧٧) عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن الفضيل عن الحارث بن

١الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال لمحمد باقر الإيرواني ص٢٦ .

٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة برقم(٣٥٠) ، ٥٢٥/١ .

٣ منهاج السنة النبوية (١١٠/١).

المغيرة[1] عن أبي عبد الله مرفوعا ، وأبو عبد الله هو الحسين بن علي رضي الله عنهما .لكن الفضيل هذا وهو الأعور أوردهالطوسي[2]الشيعي في " الفهرست " (ص ١٢٦) ثم أبو جعفر السروي في " معالم العلماء " (ص ٨١) ، ولم يذكرا في ترجمته غير أن له كتابا ! وأما محمد بن عبد الجبار فلم يورداه مطلقا ، وكذلك ليس له ذكر في شيء من كتبنا ، فهذا حال هذا الإسناد الوارد في كتابهم " الكافي " الذي هو أحسن كتبهم"[3].

ولكن الحديث المعروف عند أهل السنة ما رواه مسلم في صحيحه مما أشار إليه شيخ الإسلام، قال:"إنما الحديث المعروف مثل ما روى مسلم في صحيحه عن نافع[4] قال جاء عبدالله ابن عمر إلى عبد الله بن مطيع[5]

حين كان من أمر الحرة[1] ما كان زمن يزيد ابن معاوية[2] فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن[3] وسادة وسادة فقال إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعته

---

١ الحارث بن المغيرة: النضري بالنون البصري بالموحدة روى عن الباقر وأخيه زيد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ذكره الطوسي وابن النجاشي في رجال الشيعة ووثقاه وقال علي بن الحكم كان من أورع الناس. لسان الميزان لابن حجر (١٦٠/٢).

٢الطوسي: هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي (أبو جعفر) (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ): فقيه، اصولي، مجتهد، متكلم، محدث، مفسر. من تصانيفه: التبيان في تفسير القرآن، تهذيب الاحكام، والعدة في الاصول. معجم المؤلفين ٢٠٢/٩.

٣ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة برقم(٣٥٠) ٥٢٥/١ ، وهؤلاء الرجال الذين أوردهم الشيخ رحمه الله في قوله وأخبر بكونهم مجهولين، فإني لم أجد ترجمة لأحد منهم غير الحارث بن المغيرة المذكور.

٤ نافع المدني، أبو عبد الله: من أئمة التابعين بالمدينة. كان علامة في فقه الدين، متفقا على رياسته، كثير الرواية للحديث، ثقة، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه. وهو ديلمي الأصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيرا في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة. وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن.توفي سنة (١٧ هـ). الأعلام للزركلي ٥/٨ .

٥ عبد الله بن مطيع:هو بن الأسود الكعبي القرشي العدوي: من رجال قريش جلدا وشجاعة. ولد في حياة النبي ﷺوكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة، ثم سكن مكة. واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار ابن أبي عبيد منها، فعاد إلى مكة، فلم يزل فيها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له. وأرسل رأسه إلى الشام مع رأسي ابن الزبير وصفوان، وتفي سنة(٧٣ هـ). الأعلام للزركلي ١٣٩/٤ .

يقول:(من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[٤]، وهذا حدث به عبد الله بن عمر لعبد الله بن مطيع بن الأسود لما خلعوا طاعة أمير وقتهم يزيد، مع أنه كان فيه من الظلم ما كان، ثم إنه اقتتل هو وهم ، وفعل بأهل الحرة أمورا منكرة ، فعلم أن هذا الحديث دل على ما دل عليه سائر الأحاديث الآتية من أنه لا يخرج على ولاة أمور المسلمين بالسيف وأن من لم يكن مطيعا لولاة الأمور مات ميتة جاهلية، وهذا ضد قول الرافضة فإنهم أعظم الناس مخالفة لولاة الأمور، وأبعد الناس عن طاعتهم إلا كرها، ونحن نطالبهم أولا: بصحة النقل، ثم بتقدير أن يكون ناقله واحدا ، فكيف يجوز أن يثبت أصل الإيمان بخبر مثل هذا الذي لا يعرف له ناقل؟ وإن عرف له ناقل أمكن خطؤه وكذبه، وهل يثبت أصل الإيمان إلا بطريق علمي"[٥].

---

١ أمر الحرة: يقصد به ما كان من أهل المدينة من خلع يزيد بن معاوية سنة٦٣هـ ، قال ابن حجر:(زمن الحرة أي الوقعة التي كانت بالمدينة في زمن يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين) الفتح ١١٨/٦ .

٢ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ – ٦٤ هـ):ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق. وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٠ هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي. وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد " الحسين بن علي" سنة ٦١ هـ وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير " عقبة بن نافع " وفتح " سلم بن زياد " بخارى وخوارزم. ويقال إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني. ومدته في الخلافة ٣ سنين ٩ أشهر إلا أياما. " الأعلام للزركلي ١٨٩/٨

٣ أبو عبد الرحمن :هو عبد الله بن عمر ﷺ.

٤ رواه مسلم ،باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٢٢/٦).

٥ منهاج السنة النبوية (١١٠/١) .

ومع البحث في كتب أهل السنة وجد أن هناك حديثًا آخر قد يتوهم منه أنه هو الذي عناه الشيعة وهو ما رواه معاوية ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال :(من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)[1].

فيجاب عليه بأن:هذا الحديث ليس فيه دلالة على معنى حديثكم.

بل إنّه يؤيد الحديث الوارد في صحيح مسلم، وبيانه: كيف يصير الإنسان بغير إمام؟

الجواب: إن خلع يده من الطاعة ،فإنه سيكون حينها بغير إمام ،كأن الحديث الوارد عند

الإمام أحمد[2] نتيجة مترتبة على الحديث الوارد عند الإمام مسلم، أي إن خلعت يدك عن الطاعة صرت بدون إمام، فيكون مآلك وأنت بهذا الحال أنك تموت ميتة جاهلية، فكأن هذين الحديثين من باب تفسير السنة بالسنة،فهما يتحدثان عن إمام قائم، معلوم، معروف، يحكم بين الناس، ويرجع إليه أمرهم ثم يحصل انشقاق عنه وخروج عن طاعته.

أمّا الحديث الذي زعم الشيعة أن السنة يوافقونهم عليه— وليس الأمر كذلك – فإن المطالبة والمنازعة فيه على أصل المعرفة ، فهم – أي الشيعة – قد زعمواأن من عرف الإمام نجا ومن

---

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص٩٦ برقم ١٦٩٢٢من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل عاصم – وهو ابن بهدلة – وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن أبا بكر – وهو ابن عياش – إنما روى له مسلم في المقدمة وهو صدوق حسن الحديث

٢ الإمام أحمد:هو أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي (١٦٤ – ٢٤١ هـ): إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة. وصنف (المسند)فيه٣٠ألف حديث. وله كتب في (التاريخ) و (الناسخ والمنسوخ) و (الرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن) و (التفسير) و (فضائل الصحابة) و (المناسك) و (الزهد) و (الأشربة) و (المسائل) و (العلل والرجال) في أياصوفية . وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء. وفي أيامه كانت المحنة بخلق القرآن. أنظر:الأعلام للزركلي ٢٠٣/١. وللتوسع:انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/١٧٧–٣٥٨ .

جهل به ولم يعرفه هلك، وليس المنازعة فيه على الطاعة والاتباع من بعد المعرفة والبيعة كما هو الحال في حديث أهل السنة.

وأخيرا قد يُعتَرَض باعتراض: بأنه لا يشترط أن يكون المرء قد خلع يده عن الطاعة ليكون بغير إمام؛ بل يجوز أن يكون كذلك من لا يعرف إمام زمانه يكون بغير إمام، فتكون رواية الإمام أحمد مؤيدة لقولهم.

والجواب عليه:

أن عدم معرفة الإمام جهل ، والجاهل قد يعذر ويعفى عنه لجهله، فكيف نلوم عليه ونرتب عليه الوعيد الوارد في الحديث ونقول له :إنك صرت بغير إمام وتستحق أن تموت ميتة جاهلية وهو جاهل به أصلا،صحيح أنه صار بغير إمام لكن لا عن عمد منه،وإنما عن جهلوعدم معرفة له،فعندئذ تكون الملامة منصبة على من عرف الإمام ثم انشق.

الفصل الثاني: المسيح الدجال.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المسيح الدجال عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم المسيح الدجال عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول:

المسيح الدّجال عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: المسيح الدّجال عند أهل السنّة والجماعة.

معنى الدّجال في اللغة:

قال ابن فارس:" (دجل) الدال والجيم واللام أصلٌ واحدٌ منقاسٌ، يدلُّ على التغطية والسَّتْر. قال أهلُ اللغة: الدَّجْل: تموِيهُ الشَّيء، وسُمّي الكذّابُ دجّالاً...الدَّجّال المموِّه... الدّجال: الكذَّاب، وإنَّما دَجَلُه كِذْبه؛ لأنَّه يدجِّل الحقَّ بالباطل"[1].

والدّجال الوارد في الأحاديث النبوية:

هو رجلٌ كذّاب يخرج في آخر الزمان مدّعيًا الربوبية . وكونه مسيحًا :لأنّ أحد عينيه ممسوحةٌ أي: عوراء ، وقيل لأنّه يمسح الأرض في أربعين يومًا، قال الإمام النووي[2] رحمه الله تعالى:"وأمّا الدجّال فقيل سمي بذلك لأنه ممسوح العين، وقيل لأنّه أعور، والأعور يسمى مسيحا، وقيل لمسحه الأرض حين خروجه، وقيل غير ذلك. قال القاضي[3]:ولا خلاف عند أحد من الرواة في اسم عيسى أنه بفتح الميم وكسر السين مخففة، واختلف في الدّجال،

---

١ مقاييس اللغة (٣٢٩/٢) بتصرف.

٢النووي:هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي، الدمشقي، الشافعي (محيي الدين، ابوزكرياء) (٦٣١ – ٦٧٧ هـ) فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مشارك في بعض العلوم.ولد بنوى من أعمال حوران في العشر الأول من المحرم، وقرأ القرآن بها، وقدم دمشق، فسكن المدرسة الرواحية، وتوفي بنوى في١٤ رجب، ودفن بها. من تصانيفه:الأربعون النووية في الحديث، روضة الطالبين وعمدة المفتين في فروع الفقه الشافعي، تهذيب الأسماء واللغات، التبيان في آداب حملة القرآن، ورياض الصالحين.معجم المؤلفين٢٠٢/١٣ .

٣القاضي:هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل(٤٧٦ – ٥٤٤ هـ): عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما.من تصانيفه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)و (الغنية) في ذكر مشيخته، و(الإمام مالك)، و(شرح صحيح مسلم)و(مشارق الأنوار)في الحديث، و (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع)في)الأعلام للزركلي ٩٩/٥.

فأكثرهم يقوله مثله،ولا فرق بينهما في اللفظ ، ولكن عيسى عليه السلام مسيح هدى والدّجال مسيح ضلالة"[1].

وتحصل بخروجه فتنة عظيمة وبلاء عريض، بل هو أعظم فتنة تمر على البشرية منذ بداية الخلق إلى قيام الساعة،فعن عمران بن حصين[2] رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:(ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال)[3].

وما من نبي إلا وأنذر أمته من فتنته فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال:(إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإن الله ليس بأعور)[4].

وكان الرسول الكريمﷺ يستعيذ من فتنته في صلاته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[5].

وأمر أمته كذلك بالاستعاذة من فتنته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[6].

---

١ شرح صحيح مسلم للنووي ٢٣٤/٢.

٢عمران بن الحصين:هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر(سنة ٧هـ)وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة. وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفي بها سنة(٥٢ هـ) وهو ممن اعتزل حرب صفين.له في كتب الحديث ١٣٠ حديثا . الأعلام للزركلي٧٠/٥.

٣ رواه مسلم ،باب فى بقية من أحاديث الدجال (٢٠٧/٨).

٤ رواه البخاري ، باب ذكر الدجال ٧٥/٩.

٥ رواه البخاري ، باب ذكر الدجال ٧٥/٩.

٦ رواه مسلم برقم ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٩٣/٢ .

وأرشدنا ﷺ إلى حفظ غرّة سورة الكهف، وأنّ فيها عصمة من فتنته،فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النبيّ ﷺ قَالَ:(مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)[١].

وعلى رغم عظيم فتنته إلا أنه ليس له قدر عند الله ﷻ ،بل هو هيّن عنده سبحانه وتعالى، فعن المغيرة بن شعبة[٢] قال:ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته وإنه قال لي:(ما يضرك منه؟).قلت:لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء.قال:(هو أهون على الله من ذلك)[٣].

ومن الأحاديث التي بينت صفات الدجال مارواه عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺقال:(بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف ، أو يهراق – رأسه ماء قلت:من هذا؟ قالوا:ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت،فإذا رجل جسيم أحمر، جعد الرأس،أعور العين،كأن عينه عنبة طافية، قالوا: هذا الدجال،أقرب الناس به شبها:ابن قطن،رجل من خزاعة)[٤].

---

١ رواه مسلم ، باب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ ١٩٩/٢.

٢المغيرة بن شعبة: بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله(٢٠ ق هـ – ٥٠ هـ): أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم.صحابي. يقال له (مغيرة الرأي). دخل الإسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله.. وللمغيرة ١٣٦ حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالإمرة في الإسلام . الأعلام للزركلي ٢٧١/٧.

٣ رواه البخاري ، باب ذكر الدجال ٧٤/٩، واللفظ له، ورواه مسلم باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل ٢٠٠/٨ .

٤ صحيح البخاري باب ذكر الدجال ، ٧٥/٩. وبيّن ابن حجر من هو ابن قطن، فقال:(قوله وأقرب الناس به شبها بن قطن قال الزهري أي بالإسناد المذكور رجل أي بن قطن من خزاعة هلك في الجاهلية قلت اسمه عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائد بن مالك بن المصطلق وأمه هالة بنت خويلد أفاده الدمياطي، قال: وقال ذلك أيضا عن أكثم بن أبي الجون،وأنه قال: يا رسول الله هل يضرني شبهه؟ قال: لا أنت مسلم وهو كافر. حكاه عن بن سعد والمعروف في الذي شبه به ﷺ أكثم بن عمرو بن لحي جد خزاعة، لا الدجال كذلك أخرجه أحمد وغيره)فتح الباري ٤٨٨/٦.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ قال:(الدجال مكتوب بين عينيه ك ف ر، أي: كافر)[1].

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الدجال أعور العين اليمنى[2]، وفي بعضها أنه أعور العين اليسرى[3].

وقد بيّن القاضي عياض رحمه الله تعالى وجه الجمع بين نسبة العور للعين اليمنى تارة،وللعين اليسرى تارة أخرى، فقال:"... وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء،فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيّما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء، إحداهما بذهابها،والأخرى بعيبها"[4].

وبهذا فإن الرسول الكريم ﷺ قد بيّن لنا من أوصاف الدّجال ما لا يدع مجالا للشك أو الإنكار، قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:"وصف النبي ﷺ الدجال وصفا لم يبق معه لذي لب إشكال، وتلك الأوصاف كلها ذميمة، تبين لكل ذي حاسة سليمة، لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدّجال فيما يدعيه من الكذب و الغباوة، و حرم اتباع الحق و نور التلاوة، "[5].

أمّا بالنسبة لما معه فعن حذيفة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما:رأى العين ماء أبيض، والآخر: رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وإنّ

---

١ رواه مسلم ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ١٩٥/٨.

٢ رواه البخاري ، باب ذكر الدجال ، ٩/(٧٤-٧٥).ورواه مسلم واللفظ له، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ١٩٤/٨.

٣رواه مسلم ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ،١٩٥/٨، والجفال:الكثير .

٤ شرح صحيح مسلم للنووي ٢٣٥/٢.

٥التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص١٢٧٩.

الدّجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)[1] .

فهو يفتن الناس بهذين النهرين ، بل ويدعي أنه الإله الذي يحيي ويميت كما ورد في قصة الشاب المؤمن الذي يكشف أمره فينشره الدجال بالمنشار،ثم لا يسلط على أحد بعده، عن أبي سعيد ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال:(يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس ، أو من خيار الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)[2].

ويمكث الدّجال في الأرض على هذا الحال أربعين يوما، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول:إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا!. فقال سبحان الله!!أو لا إله إلا الله!! أو كلمة نحوهما – لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا،إنّما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت، ويكون ويكون، ثم قال:قال رسول الله ﷺ:(يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما ...)[3]

---

١ رواه مسلم باب ذكر الدجال وصفته وما معه ١٩٤/٨، الظفرة : لحمة تنبت عند المآقي وقد تمتد إلى السواد فتغشيه.

٢ رواه البخاري ، واللفظ له، باب ذكر الدجال ٧٦/٩ ، ورواه مسلم ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه ١٩٩/٨.

٣ رواه مسلم ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ٢٠١/٨ .

. أمّا رواية النواس بن سمعان[1] ﷺ فقد حددت المدّة بالدقة وأنّها أربعون يوما متفاوتة فيما بينها في الطول، وكيف يكون حال المسلم وعبادته في تلك الأيام،وهي رواية طويلة جاء فيها الكثير من أخبار الدجال ، ومكان خروجه، حتى نهاية فتنته وقتله على يد نبي الله عيسى عليه السلام .

فعنه ﷺ قَالَ:ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ:(مَا شَأْنُكُمْ؟). قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَالدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ:(غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ؟ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خليفتي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[2] ،عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى قَطَنٍ[3]، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً[4] بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ[5] يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا ». قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ:(أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ،وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ،وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ). قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ:(لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ). قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ:(كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ[6] أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[7]، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ

---

١ النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبة ، له سبعة عشر حديثا، انفرد له مسلم بثلاثة. سكن الشام وروى عنه أهلها . قال ابن عبد البر يقال أباه وفد على النبي ﷺ فدعا له ، وتزوج أخته فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابية. أنظر خلاصة تذهيب تهذيب للحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ٤٠٦/١ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٢٩/١٠، الثقات لابن حبان ٤١١/٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٧٨/٦.

٢القطط : شديد جعودة شعر الرأس .

٣سبق ترجمته، ص ٧٩ .

٤خلة : طريق.

٥عاث : أفسد.

٦السارحة : الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى.

٧الذرى : جمع الذروة وهى أعلى الشيء والمراد السنام.

فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[1] . لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ . مِنْ أَمْوَالِهِمْ ،وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[2]، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ[3]، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[4] وَاضِعًا وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ[5] فَيَقْتُلُهُ)[6] .

والدّجال يجوب الأرض كما مرّ في الحديث السابق كالغيث إذا استدبرته الريح ،يتبعه يهود أصبهان، وكل كافر ومنافق، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺقال « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة)[7] .

وعنه ﷺ قال:قال النبي ﷺيجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق)[8] .

غير أنه يمنع من دخول مكة والمدينة، فعن أنس بن مالكﷺقال: قال رسول اللهﷺ:(ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين

١الممحل : المجدب المقحط.

٢اليعاسيب : جمع يعسوب وهو ذكر النحل.

٣رمية الغرض: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

٤المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس والزعفران.

٥ باب لد:هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس.

٦ رواه مسلم ، باب ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ ١٩٧/٨.

٧ رواه مسلم ،باب في بقية من أحاديث الدجال ،٢٠٧/٨ ، الطيالسة : جمع طيلسان وهو نوع من الأوشحة يلبس على الكتف كالشال.

٨ رواه البخاري ، باب ذكر الدجال ، ٩/ (٧٤-٧٥) .

تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[1].

قال القاضي عياض تعليقا على أحاديث الدّجال:"هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من: إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، و اتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ. ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين، والفقهاء، والنظار"[2].

فالدجال هو أحد علامات الساعة الكبرى التي يجب الإيمان بها ضمن عقيدة المؤمن، قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:"الإيمان بالدجال و خروجه حق، و هذا مذهب أهل السنة و عامة أهل الفقه و الحديث"[3].

. وفي ختام هذا المبحث وتتميما للفائدة: لابد من التعريج على كل من قصتي تميم الداري[4]، وابن صيّاد:

فأمّا قصة تميم الداري: ففيها أنه رأى الدّجال رجلا مسلسلا في كهف، فقد جاء في

١ رواه مسلم ، باب قصة الجساسة ، ٢٠٦/٨ .

٢ شرح صحيح مسلم للنووي ٥٨/١٨ .

٣التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٢٨٢.

٤ تميم الداري:هو تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، نسبته إلى الدار بن هانئ، من لخم.أسلم سنة ٩هـ. وهو أول من أسرج السراج بالمسجد. وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين. روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثا. مات في فلسطين سنة(٤٠ هـ). أنظر: الأعلام للزركلي٨٧/٢ .

الحديث الذي روته فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ[1] رضي الله عنها قالت:(...سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِى . مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِى . الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ،فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ:(لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ). ثُمَّ قَالَ:(أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ). قَالُوا:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ:(إِنِّى وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ[2] وَجُذَامَ[3]،فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا[4] إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ[5] كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا

---

١ فاطمة بنت قيس الفهرية، إحدى المهاجرات.وأخت الضحاك. كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، فطلقها، فخطبها معاوية بن أبي سفيان، وأبو جهم، فنصحها رسول الله ﷺ وأشار عليها بأسامة بن زيد، فتزوجت به.وهي التي روت حديث السكنى والنفقة للمطلقة بتة.وهي التي روت قصة الجساسة.توفيت في خلافة معاوية. وحديثها في الدواوين كلها. سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢ .

٢ بنو لخم:قبيلة من كهلان، ولخم هذا أخو جذام عم كندة، وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق، وكان لبقاياهم ملك باشبيلية من الأندلس، وهي دولة بني عباد، وأول من ملك منهم القاضي محمد بن إسماعيل ابن قريش بن عباد، وقد ذكر القضاعي في خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر واختطوا بها ومن خالطهم من جذام. قال الحمداني. وبصعيد مصر، منهم قوم مساكنهم بالبر الشرقي. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص٤١١ .

٣ بنو جذام:بضم الجيم وبالذال المعجمة، بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وجذام أخو لخم وعم كندة، والجذام في أصل اللغة اسم للداء المعروف فيحتمل أن اسم الرجل منقول عنه، ويحتمل أنه مأخوذ من الجذم وهو القطع، وكان لجذام من الولد حرام، وجشم،. قال الحمداني: وجذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا إلى الفتح مع عمرو بن العاص، واقطعوا فيها بلادا بعضها بأيدي بنيهم إلى الآن. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص ٢٠٥ .

٤أرفأ : قرَّب السفينة من الشط .

٥الأهلب : غليظ الشعر كثيره .

إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا[1] مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً – قَالَ – فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا:وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا:نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ[2]،فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا،فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ.

قُلْنَا:وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً،فَقَالَ:أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[3] ؟ قُلْنَا:عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ:أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ. قَالَ :أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ[4] ؟ قُلْنَا:عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ:هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا:هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ:أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ:أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[5] ؟ قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ:هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ:نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ :أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا:قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ: أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ: لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا:نَعَمْ. قَالَ:أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ،وَإِنِّي أُوشِكُ

١فرقنا : خشينا .

٢اغتلم : هاج واضطربت أمواجه.

٣ نخل بيسان: بفتح موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام قريبة من الأردن ذكره ابن الملك .

٤ بحيرة الطبرية:تصغير البحر وفي رواية مسلم : عن بحيرة طبرية . قال في القاموس : الطبرية محركة قصبة بالأردن والنسبة إليها طبراني .

٥ عين زغر:بزاى معجمة مضمومة ثم غين معجمة مفتوحة ثم راء وهى بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام .

أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ . فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا[1] يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا.قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ:(هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ). يَعْنِي الْمَدِينَةَ (أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟). فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ.(فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ،مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ[2]. قَالَتْ فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[3].

وقد رجّح الإمام ابن كثير . رحمه الله تعالى . أنّ الدّجال الأكبر الذي هو أحد علامات الساعة هو هذا المذكور في قصة تميم الداري من حديث فاطمة بنت قيس، فقال:"وأمّا الدّجال الأكبر فهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداري وفيه قصة الجساسة، ثم يؤذن له في الخروج في آخر الزمان بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسماة بقسطنطينية... "[4].

١)وأمّا ابن صياد . فهو الشاب اليهودي الذي كان في عهد النبي ﷺ . واسمه صاف،وقد اشتبه في أمره هل هو الدجال أم لا؟

فقد وردت فيه أحاديث كثيرة قد يفهم منها أنه هو الدّجال، وقد استشكل في أمره، هل هو الدّجال الأكبر أم هو غيره، وسبب الإشكال:أنّ الرسول ﷺ كان يشك في كونه الدّجال

١الصلت : المجرد من غمده .

٢ : قال القرطبي هو : شك أو ظن منه ﷺ أو قصد الإبهام على السامع ثم نفى ذلك وأضرب عنه بالتحقيق فقال لا بل من قبل المشرق ثم أكد ذلك بما الزائدة والتكرار اللفظي ، فما زائدة لا نافية فاعلم ذلك. التذكرة ص ١٣٤٤.

٣ رواه مسلم برقم(٧٥٧٣) باب قصة الجساسة ٢٠٣/٨.

٤النهاية في الفتن ٨٨/١ .

لشبهه منه، ولم يقطع في أمره بقاطع، ولعله ﷺ لم يوحى إليه بشيء في أمر ابن صيّاد؛ ولذلك كان الصحابة منهم من يجزم بكونه هو، ومنهم من يقول هو غيره .

والظّاهر ـ والله تعالى أعلم ـ أنّه أحد الدّجاجلة الكذّابين الذين فيهم أوصاف تشبه أوصاف المسيح الدجّال، كما رجّح ذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في خبر ابن صيّاد كلاما مفيدا،جامعا لاختلاف العلماء، فقال:" باب ذكر بن صياد ، يقال له بن صياد وبن صائد وسمي بهما في هذه الأحاديث، واسمه صاف قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة. قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبى ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في بن صياد قرائن محتملة؛ فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه:(إن يكن هو فلن تستطيع قتله). وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر،وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو، وأن لا يدخل مكة والمدينة، وأن بن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة، فلا دلالة له فيه؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض، ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبي ﷺ:(أتشهد أني رسول الله)،ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه، وقوله:إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن، وانتفاخه حتى ملأ السكة، وأما إظهاره الإسلام، وحجه، وجهاده، وإقلاعه عما كان عليه،فليس بصريح في أنه غير الدجال. قال الخطابي[١]: واختلف السلف في أمره بعد كبره، فروى عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس،وقيل لهم:اشهدوا. قال:وكان بن عمر وجابر فيما روى عنهما يحلفان

١ سبقت ترجمته، ص ٦٥.

أن بن صياد هو الدجال،لا يشكان فيه. فقيل لجابر: إنه أسلم، فقال: وأن أسلم .فقيل: إنه دخل مكة وكان في المدينة. فقال: وإن دخل"[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في ابن صيّاد:" وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صيّاد، وأن ابن صيّاد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته، وأما الدجّال الأكبر فهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداري وفيه قصة الجساسة ثم يؤذن له في الخروج في آخر الزمان ..."[2].

١ شرح صحيح مسلم ٤٦/١٨ .

٢النهاية في الفتن ٨٨/١ .

المبحث الثاني:

المسيح الدّجال عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: المسيح الدّجال عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

خالفت بعض الفرق أهل السنة والجماعة في مسألة الدّجال، فمنهم من قال بإنكاره بالكليّة كفرقة الخوارج،والجهمية. ومنهم من قال بخروجه آخر الزمان ولكن أنكر ما يكون معه من الأمور التي أخبر بها الرسول الكريم ﷺ وهؤلاء هم المعتزلة.

وهذه الفرق المنكرة هي التي تضمّن الأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإخبار عنها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما:قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:(أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعن عنه فإن رسول الله قد رجم،وكذلك أبو بكر، ورجمنا بعدهما، وسيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم، وبالدجال، وبطلوع الشمس من مغربها، وبعذاب القبر، وبالشفاعة، وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا). قال أبو عمر[1]: الخوارج والمعتزلة يكذبون بهذا كله عصمنا الله من الضلال برحمته[2].

وقد حكى عددا من الأئمة هذه المخالفة عن تلك الفرق[3] .

وفيما سيأتي من المباحث إن شاء الله مزيد بيان وبسط لقول كل فرقة.

---

١ أبو عمر: هو ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر(٣٦٨ – ٤٦٣ هـ): من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة. من كتبه " الدرر في اختصار المغازي والسير" و " العقل والعقلاء " و " الاستيعاب" في تراجم الصحابة، و " جامع بيان العلم وفضله" و " بهجة المجالس وأنس المجالس" في المحاضرات، و " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " و " الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار" . الأعلام للزركلي ٢٤٠/٨.

٢ الاستذكار لابن عبد البر ٤٨٠/٧ .

٣انظر:التذكرة للقرطبيص ١٢٨٢ ، وفتح الباري ١٠٥/١٣ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٨٩/١ ،والنهاية في الفتن ص٨٤ .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: شبه الجهمية في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في المسيح الدجال مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: المسيح الدجال عند الجهمية.

ذكر سابقا أن فرقة الجهمية قد خالفت أهل السنة والجماعة في مسألة الدّجال، فأنكرت خروجه، بل أنكرت وجوده أصلا.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:"وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئاً وخرجوا بذلك عن حيز العلماء؛ لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم"[1].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:" وقال القاضي عياض في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال وانه شخص معين يبتلي الله به العباد ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله، وظهور الخصب والأنهار والجنة والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر ،والأرض فتنبت ،وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره ،ويقتله عيسى بن مريم، وقد خالف في ذلك بعض الخوارج والمعتزلة والجهمية فأنكروا وجوده وردوا الأحاديث الصحيحة"[2].

وهؤلاء الجهمية ـ الذين أنكروا خروج الدّجال بالكلية ـ لم تنقل عنهم حجة فيما ذهبوا إليه من هذا الإنكار.

١النهاية في الفتن ٨٤/١ .

٢ فتح الباري ١٠٥/١٣ .

والظّاهر والله تعالى أعلم أنّ الدّافع لهم وراء هذا الإنكار إنّما هو اتباع عقولهم المنحرفة، التي لا توقن بهذه الحقائق الغيبية ، وإلاّ فماذا عسى أن يقف أمام الكمّ الهائل من النصوص التي جاء فيها ذكر الدّجال، ووصفه، وحاله، وزمان خروجه،ومدّة مكثه،وما يكون معه،ومن هم اتباعه، حتى نهايته على يد المسيح عيسى عليه السلام ؟!!

إن هو إلاّ الهوى الذي اتخذوه إلها مطاعا فحكموا عقولهم من خلاله . نسأل الله العافية . قال تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(الجاثية٢٣).

المطلب الثاني: المسيح الدجال عند الخوارج وشبههم فيه.

خالفت فرقة الخوارج في مسألة الدّجال فأنكرت خروجه، ووجوده مطلقا.

وقد سبق ذكر الأثر[1]المروي عن عمر بن الخطابﷺ فيما سيقع من تكذيب قوم من الخوارج والمعتزلة لبعض شعائر الدين سواء كانت عملية أو اعتقادية، ومن ذلك تكذيبهم بالدجال.

وقد حكى ابن حزم[2] رحمه الله تعالى ذلك الإنكار عن فرقة الخوارج ، فقال:" إن المسلمين فيه ـ أي الدّجال ـ على أقسام فأمّا ضرار ابن عمر[3]وسائر الخوارج فإنهم ينفون أن يكون الدّجال جملة، فكيف أن يكون له آية، وأمّا سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك..."[4].

١انظر: ص٩١ .

٢ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد(٣٨٤ - ٤٥٦ هـ): عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة. ، انصرف إلى العلم والتأليف، فكان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة.وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالئوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته.أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والاهواء والنحل" وله " المحلى"، فقه، و " جمهرة الأنساب" و " الناسخ والمنسوخ" و " جوامع السيرة " ومعه خمس رسائل له، و " التقريب لحد المنطق والمدخل إليه" و " مراتب العلوم" و" فضائل الأندلس"و " الإحكام لأصول الأحكام"و " طوق الحمامة" أدب ، وغير ذلك . الأعلام للزركلي ٢٥٤/٤

[3]ضرار بن عمرو الغطفاني: قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها. فخالفهم، فكفروه وطردوه. صنف نحو ثلاثين كتابا، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة. وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه، فهرب.قال الجشمي: ومن عده من المعتزلة فقد أخطأ، لأنا نتبرأ منه فهو من المجبرة ، وتوفي في نحو ١٩٠ هـ . الأعلام للزركلي٢١٥/٣.

٤ الفصل لابن حزم ٨٩/١ .

. أمّا فرقة الإباضية[1] فإنها قد انقسمت في أمر الدجال بين مثبت ومنكر ومتوقف، وقد جاء في كتاب بيان الشرع تفصيل لمذهبهم في ذلك، وفيه:(مسألة: وعن القول في الدجال أحقّ أم باطل؟ قال: لم يجئ في كتاب الله له شيءٌ يعرف به، وأمّا الأحاديث والروايات فقد جاءت به، وذلك ما لم يتعبّدنا الله فيه بشيءٍ يجب علينا علمه والعمل به؛ إلاّ البراءة من كلّ ظالمٍ سمعنا به، ونحن دائنون لله بالبراءة من أهل تلك الصفةِ، والدجّال ممّا يسعنا جهله إلى أن نعلم أنّه حقٌّ أم باطلٌ، وقولنا فيه قول المسلمين، والدجّال من الجبابرة الظالمين إن كان حقاًّ، وهؤلاء الجبابرة الدجاجلة، والمفارَقَةُ لهم واجبةٌ، ولا ندري ما يأتي الله به في عصرنا ولا بعدنا، وذلك إلى الله، والناس مختلفون فيهم، فأنكره قومٌ وأثبته آخرون)[2] .

فبان من خلال هذا النقل أنّ منهم المثبت ، والمنكر ، والمتوقف فيه.

وتنطع المنكرون[3] منهم فلم يكتفوا بمجرد انكار أن يكون هناك شيء يسمى بالمسيحالدّجال، بل إنهم عدّوه من الأساطير، وحقّروا النصوص الواردة في ذلك، وشبهوها بحكايات سندباد[4]؛ إمعانًا في الاستهانة والازدراء بها، وأتوا بالنقض على الروايات الصحيحة التي فيها ذكر للدجال، مدّعين أنها متعارضة، وخيالية، وغير مطابقة للواقع.

وفيما يأتي سوقٌلبعض عباراتهم في ذلك من أحد كتبهم ليظهر للقارئ مدى ما هم عليه من إنكار واستبعاد.

١الإباضية: هي إحدى فرق الخوارج ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد . أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن أباض وافترقت فيما بينها فرقا: حفصية، وحارثية،ويزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها، يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها ، وقالوا في مرتكبي الكبائر : إنهم موحدون لا مؤمنون ،وأنهم كفّار كفر النعمة لا كفر الملة. أنظر الملل والنحل للشهرستاني ١٣٤/١ ، و التنبيه والرد للملطي ٥٢/١ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ١/(٨٢،١٨).

٢ بيان الشرع للكندي ١٨٨/٦ .

٣ ومن هؤلاء المنكرين:ابن أبي نبهان ، وزكريا المحرمي، وخالد الوهيبي .

٤سندباد: هي شخصية خيالية خرافية، نسجت حولها قصص وحكايات،قال المسعودي:(كتاب ألف ليلة وليلة وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خُرَافات مصنوعة، نظمها مَنْ تقرب للملوك برواياتها... ومثل كتاب السندباد، وغيرها من الكتب في هذا المعنى). مروج الذهب ٢٧٥/٢ .

قال أحد كتّابهم[1]:"الجساسة وابن صياد والدجال:وهي ثلاثية غاية في الغرابة تتداخل أحيانا وتفترق أحيانا أخرى بحسب الروايات وما تشتمل عليه ، وكلها تفترض وجود كائنات أسطورية لا وجود لها في الحياة قادمة من عالم المجهول تثير الرعب والفزع وتحدث أهوالا كونية ..."

...ثم سرد رواية فاطمة بنت قيس[2]،وعلّق عليها قائلا:"هذه الرواية الممعنة في الغرابة تصوّر لنا مغامرات رهيبة أشبه بحكايات السندباد، في البدء كان هناك لقاء بين تميم الداري وهو نصراني أسلم وبين دابة اسمها الجساسة في جزيرة نائية وهذه الدابة دابة متكلمة كعادة روايات الفتن والملاحم التي تسحق فيها كل سنن الحياة ثم تمضي الرواية فتحدثنا عن لقاء آخر بينه وبين الدجال وهو أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد".

ثم أخذ ينقض هذه الرواية، ويدعم ذلك بنقل أقوال من شابهه في هذا النقض، ومن ذلك ما نقله عن الشيخ محمد الغزالي[3] رحمه الله تعالىحيث قال:(وفي عصرنا هذا طُرق كل شبر في البر والبحر ، والتُقِطَت صورًا لأعماق المحيطات عن طريق الأقمار الصناعية، فأين تقع هذه الجزيرة ؟ وأخيرا تذكرت كلمة عمر بن الخطاب وهو يرد حديث فاطمة بنت قيس في نفقة

١ خالد الوهيبي في كتابه أشراط الساعة ص٣٠٠ .

٢سبق إيرادها في المبحث الأول من هذا الفصل،انظر:ص ٨٥.

٣ محمد الغزالي:من دعاة مصر وعلماء الأزهر المعروفين(١٣٣٥هـ. ١٤١٦هـ) من مؤلفاته: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث،ومنه أخذ النقل السابق، وقد ردّ العلماء على هذا الكتاب ردودا عديدة،ومن كتبه أيضا: فقه السيرة، وخلق المسلم، وعقيدة المسلم، وجدد حياتك.أنظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين كتاب إلكتروني على الشبكة: http://www.kl28.net/knol3/print.php?post=55396

ملاحظة: كون الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى قد وافق هذا الخارجي في هذا الرأي لا يفهم منه أن الشيخ الغزالي كان يقول بكل قول الخوارج أو يذهب مذهبهم ، وإنّما قيدت موافقته لهذا الخارجي هنا في هذا الرأي على وجه الخصوص.

المطلقة ثلاثا ، قال: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لحديث امرأة لا ندري حفظت أم نسيت ؟). انتهى كلام الغزالي.

ثم قال مصدقا له:ونحن لا نعرض كتاب ربنا وسنة نبينا للتكذيب من أجل حديث السيدة نفسها في قضية أخرى)

وقال بعده:"والمدقق في أصول هذه الرواية يجدها كالعادة من نبوءات سفر الرؤيا...) وساق نصوصا من التوراة، ثم قال:"الأمر لا يمكن هضمه بهذه البساطة إلا بسحق العقل ووضعه تحت الحذاء ، ولم يكلفنا الله تعالى في ديننا باعتقاد وتصديق مثل هذه الأشياء ، ولم يأتنا عن النبي ﷺ خبر نثق في صدقه من جهة نقله ودلالته في ذلك ، فيحق لنا أن نقول كما قال عمر بن الخطاب في خبر فاطمة بنت قيس في النفقة والسكنى(لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت".

ثم ذكر في آخر تلك الرواية كلامًا لابن حجر فيه:"ولشدة التباس الأمر في ذلك سلك البخاري مسلك الترجيح فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد، ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم".

ثم انتقل بعد ذلك لنقض حديث ابن صياد، فقال:"ابن صيّاد الظهور الثاني (للدجال): وهو شخصية أسطورية أخرى يعتقد أنها الدجال المنتظر، وصوّرت الروايات الرسول ﷺ والصحابة وهم يقومون بأدوار التحري للكشف عن الشخصية الغامضة للدجال التي يظن أنها متخفية تحت غطاء ابن صياد.

ثمّ ذكر الرواية،ثمّ بين أنها:تعارض الرواية الأولى في قصة تميم، ثم استدرك بأنه لو أجيب بأن رواية تميم كانت متأخرة عن رواية ابن صياد، فما الداعي للشك في ابن صياد ـ الشاب المراهق ـ ؟

ثم اعترض على الرواية بأنها تتنافى مع الخلق النبوي السامي إذ إنها تصوره كعميل سري في التجسس ومراقبة ابن صياد.

وطعن في الرواية بكثرة شكوك العلماء في خبر ابن صياد هل هو الدجال أم غيره؟ وكذلك بمعارضتها لخبر خروج الدجال آخر الزمان.

ثم انتقل للحديث عن خروج الدجال آخر الزمان، فقال:"الدجال في آخر الزمان: الظهور الثالث للدجال:

بعد الظهور الأول والثاني للدجال في شخصيتي المخلوق الموثق بالأغلال في الجزيرة النائية وابن صياد، تُرَحّل الروايات أمر ظهور الدجال آخر الزمان.

ثم سرد رواية النواس بن سمعان التي سبق إيرادها[١]، وروايات أخرى، ثم قال نخرج من هذا الزخم من الروايات بالتالي:

١.أنه شخص تنبأ بظهوره النبي ﷺ وكان يتوقع ظهوره آخر الزمان خاصة، وظهوره من أشراط الساعة الكبرى.

٢.أن ظهوره يكون بعد فتح القسطنطينية.

٣.هو شخص أوتي من الخوارق والمعجزات والتصرف بمقاليد الكون كإحياء الموتى وإنزال المطر وإمساكه.

٤.نهايته كما تقرر الروايات عند عموم المحدثين السنيين تكون على يد عيسى بن مريم عليه السلام عند مجيئه الثاني.

ثم أجمل نقاط الاعتراض على هذه التفاصيل وأنّها غير مسلم بها من خلال:

---

[١] انظر: ص ٨٢.

١. رجع أصول المسألة للقرآن الكريم أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب من أمر الساعة فكل هذه التفصيلات تخالف دلالات القرآن الكريم.

٢. تأييد الدجال بكل تلك الخوارق لفتنة الناس يتنافى مع حكمة الله في إرسال الرسل لهداية الخلق.

٣. ارتباط ظهور الدجال بفتح القسطنطينية ، وقد فتحت عام ١٤٥٣م على يد العثمانيين[١] ولم يظهر الدجال.

٤. نهاية الدجال عند أهل السنة على يد عيسى عليه السلام، وهي تتعارض مع نهايته عند الشيعة على يد المهدي المنتظر.

قال وهذا يعكس بوضوح عمق وتجذر الصراع التاريخي في البنية التحتية لهذه القضايا،

وتدل على أنها تولدت في أتون صراع سياسي استثمر الموروث المثيولوجي[٢] للملل والنحل الأخرى في تأييد اطروحاته السياسية ، وهو ما يدعونا إلى رفض دعاوى التواتر والإجماع لمثل هذه الروايات ، وضرورة مراجعتها على ضوء الثابت المستقر من تعاليم الإسلام،والتي تشمل نصوص الكتاب والسنة وسنن الحياة ونواميسها"[٣].

فهذا ملخص لكلامهم يظهر به مدى إنكارهم لقضية الدجال، ويمكن صياغته في عدد من النقاط تحوي أهم الشبه في الروايات التي ساقوها في هذا النقل ؛ ليتسنى الرد عليهم بحول الله تبارك و تعالى.

---

١ العثمانيون:بطن من بني أمية الأكبر من قريش من العدنانية، وهم بنو أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الأكبر. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص ١٤٥.

٢الميثولوجيا:هي كلمة يونانية، تعني الحكايات والقصص الأسطورية،قال د/عبد المنعم الحفني:(وعلم الأساطير mythologie من العلوم الحديثة نسبيا ولم يكن معروفا قبل القرن ١٩، والأصل اليوناني للأسطورة methos يربط الأساطير بالفكر الميتافيزيقي ومدارها مغامرات الأبطال وأفعال الآلهة معهم). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ٥٩.

٣ أشراط الساعة النص والتاريخ لخالد الوهيبي ص٣٠٠ وما بعدها بتصرف يسير.

ابتداءً شبهتهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم:

فقد أنكروا قضية الدجال بحجة عدم ورودها في القرآن، وأنّها من أمور الغيب التي لا يعلم بها الرسول ﷺ،حتى يتمكن من الإخبار عنها ، وأن دلالات القرآن تتنافى معها.

والجواب عن ذلك:

صحيح أن الدجال لم يصرح بذكره في القرآن الكريم، إلا أنه قد ذكر ضمنا في بعض الآيات لا صراحة، وذلك في مثل قوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام١٥٨)، وغير هذه الآية مما سيأتي .

ولعل هذا والله تعالى أعلم من باب أن الجزاء من جنس العمل، فإنه لما تكبّر هذا المخلوق الهيّن الحقير ـ الدجال ـ وتجبر وادّعى الألوهية، عامله الله ﷻ بالتحقير من شأنه، والاستهانة به، فعطّل ذكره في القرآن الكريم.

وقد أجاب العلماء بعدد من الأجوبة على من احتج بعدم ذكر الدجال في القرآن الكريم على إنكاره ، من ذلك قول ابن حجر رحمه الله تعالى:"تنبيه اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر وعِظَمِ الفتنة به وتحذير الأنبياء منه والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأجيب بأجوبة: أحدها:أنه ذكر في قوله﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا﴾(الأنعام١٥٨) فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه:«ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل:الدجال،والدابة، وطلوع الشمس من مغربها».

الثاني:قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قوله تعالى:﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ (النساء١٥٩)وفي قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ (الزخرف٦١) وصحَّ أنَّه الذي يقتل الدجال فاكتفى بذكر أحد

الضدين عن الآخر،ولكونه يلقب المسيح كعيسى،لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى.

الثالث:أنه ترك ذكره احتقارا، وتعقَّب بذكر يأجوج ومأجوج[1]، وليست الفتنة بهم بدون الفتنة بالدجال والذي قبله، وتُعُقِّب بأنّ السؤال باقٍ، وهو ما الحكمة في ترك التنصيص عليه؟ وأجاب شيخنا الإمام البلقيني[2]:بأنه اعتبر كل من ذكر في القرآن من المفسدين، فوجد كل من ذكر إنما هم ممن مضى وانقضى أمره، وأما من لم يجئ بعد فلم يذكر منهم أحدا، انتهى. وهذا ينتقض بيأجوج ومأجوج،وقد وقع في تفسير البغوي:أن الدجال مذكور في القرآن في قوله تعالى:﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر٥٧) وأن المراد بالناس هنا الدجال، من إطلاق الكل على البعض، وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة، فيكون من جملة ما تكفل النبي ﷺ ببيانه والعلم عند الله تعالى"[3].

وأمّا دعواهم أن هذا من الأمور الغيبية التي لا يعلمها الرسولﷺ:

فيقال لهم إن هذا خطأ فادح منكم مفاده تجهيل الرسول ﷺ، نعم لا أحد يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى، بدليل قوله سبحانه:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(الأنعام٥٩)، ولا يمكن لأحد من الخلق أن يطلع على شيء من

---

١ ياجوج وماجوج:غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أجيج النار وهو صوتها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم واضطرابهم بعضهم في بعض. قال وهب بن منبه ومقاتل بن سليمان: هم من ولد يافث بن نوح. وقال الضحاك: هم جيل من الترك. وقال كعب: هم بادرة من ولد آدم من غير حواء حواء قال وذلك أن آدم ﷺاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج وماجوج والله أعلم . شرح صحيح مسلم للنووي ٩٨/٣ .

٢ البلقيني:هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين(٧٢٤ - ٨٠٥ هـ): مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ وتوفي بالقاهرة. من كتبه " التدريب" في فقه الشافعية، لم يتمه، و " تصحيح المنهاج" و " الملمات برد المهمات" و " محاسن الاصطلاح "في الحديث، و " حواش على الروضة "و " مناسبات تراجم أبواب البخاري" . الأعلام للزركلي ٤٦/٥ .

٣ فتح الباري ٩١/١٣ .

أمور الغيب إلا أن يطلعه ربه على ما يشاء،قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً*عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾(الجن٢٥-٢٨)

وقد أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه على الدجال وخبره، بل وأطلعه على ما هو في منزلة من العلو بحيث لا يقارن بالدجال بأي حال من الأحوال، وذلك كالذي حصل معه ليلة عرج به إلى السماء وما أطلعه عليه ربه ﷻ،فلا يقال بعد ذلك أن أمر الدّجال الهين الحقير هو من الغيب الذي لا يجوز أن يعلمه رسول الله ﷺ.

وأمّا بالنسبة لما يتعلق بشبهاتهم في الأحاديث التي أوردوها:

أولا:رواية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها التي ذكرت فيها قصة تميم الداري مع الجساسة قد طعنوا فيها بالآتي:

١.كون الرواية قول لامرأة لا يوثق بمدى تثبتها منها، وقد ردّها عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢.كون الإمام البخاري[١] رحمه الله تعالى ترك تخريجها في صحيحه.

٣.كون الرواية مستوحاة من نصوص أهل الكتاب.

٤.كونها مخالفة للواقع إذ إن البحوث مع تطورها لم تكشف عن هذه الجزيرة.

والجواب على هذه الشبه والمطاعن في الرواية:

الظاهر لمن يتأمل كلام هؤلاء القوم أنه لا إشكال عندهم في صحة إسناد الروايات السابقة ، حتى تشكيكهم في رواية فاطمة بنت قيس ليس إلا من قبيل الظن والتخرص الذي لا يبنى عليه حكم ، إذ إن قولهم بعدم قبول روايتها لعدم معرفتهم بتثبتها حفظت أم نسيت ؟ هذا لا يمكن التسليم له ، إذ مؤدّاه أن لا يقبل قول لأحد كائنًا من كان ، فالجميع ممكن أن يرمى بمثل هذه التهمة ـ النسيان وعدم التثبت ـ .

١ البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله(١٩٤ - ٢٥٦ هـ): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ) أجزاء منه، و (الضعفاء) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد) و (الأدب المفرد). ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات فيها. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. الأعلام للزركلي ٣٤/٦ .

واحتجاجهم بقول عمر ﷺعلى رد حديثها مطلقا هو احتجاج باطل، لأن عمر بن الخطاب ﷺ ما أراد أن يطعن في كل ما حدثت به فاطمة بنت قيس، إنّما أراد قدرا محددا فيما يتعلق بنفقة المطلقة البائن فقط ،. وهذا القدر للعلماء فيه كلام وتفصيل مبسوط في محله من شروح الحديث . فلا يعد قوله طعنا في كل حديثها، قال صاحب عون المعبود:" فإن قلت: إن ذلك القول من عمر يتضمن الطعن على رواية فاطمة ، قلت : هذا مطعن باطل بإجماع المسلمين للقطع بأنه لم ينقل عن أحد من العلماء أنه رد خبر المرأة لكونها امرأة فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول عن امرأة واحدة من الصحابة ، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة ، ولم ينقل أيضا عن أحد من المسلمين أنه يرد الخبر بمجرد تجويز نسيان ناقله ، ولو كان ذلك مما يقدح به لم يبق حديث من الأحاديث النبوية إلا وكان مقدوحا فيه ؛ لأن تجويز النسيان لا يسلم منه أحد فيكون ذلك مفضيا إلى تعطيل السنن بأسرها، مع كون فاطمة المذكورة من المشهورات بالحفظ ، كما يدل على ذلك حديثها الطويل في شأن الدجال، ولم تسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة يخطب به على المنبر فوعته جميعه، فكيف يظن بها أن تحفظ مثل هذا وتنسى أمرا متعلقا بها مقترنا بفراق زوجها وخروجها من بيته. كذا في النيل[١]"[٢].

ثم يقال لهم: لو سلمنا لكم جدلا بأن حديث فاطمة بنت قيس مطعون به،وغير مقبول، فكيف تفعلون برواية الصحابة الآخرين لنفس القصة،وقد ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى أنّ عددا من الصحابة قد رووا الحديث غير فاطمة بنت قيس ﷺ،فقال:" وقد توهم بعضهم أنه غريب فرد، وليس كذلك.فقد رواه مع فاطمة بنت قيس:أبو هريرة،

---

١ النيل :يقصد به كتاب نيل الأوطار للشوكاني .

٢العظيم أبادي ٦/٣٩١ .

وعائشة، وجابر ،أما أبو هريرة فأخرجه أحمد من رواية عامر الشعبي[1]

عن المحرز بن أبي هريرة[2] عن أبيه بطوله، وأخرجه أبو داود مختصرا، وبن ماجة عقب رواية الشعبي عن فاطمة، قال الشعبي:فلقيت المحرز فذكره، وأخرجه أبو يعلى[3] من وجه آخر عن أبي هريرة قال: استوى النبي ﷺ على المنبر، فقال:(حدثني تميم)، فرأى تميما في ناحية المسجد،فقال: (يا تميم حدث الناس بما حدثني)، فذكر الحديث وفيه فإذا أحد منخريه ممدود وإحدى عينيه مطموسة الحديث، وفيه لأطأن الأرض بقدمي هاتين إلى مكة وطابا، وأما حديث عائشة فهو في الرواية المذكورة عن الشعبي، قال: ثم لقيت القاسم بن محمد[4] فقال أشهد على عائشة حدثتني كما حدثتك فاطمة بنت قيس . وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند حسن من رواية أبي سلمة[5] عن جابر قال:قال رسول الله ﷺ ذات يوم

---

١ الشعبي:هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري (أبو عمرو) (١٩ – ١٠٣ هـ) محدث، راوية، فقيه، شاعر.ولد، ونشأ بالكوفة، واتصل بعبد الملك بن مروان، واستقضاه عمر بن عبد العزيز، وتوفي فجأة بالكوفة. له الكفاية في العبادة والطاعة.(معجم المؤلفين٥/٥٤).

٢ محرز بن أبي هريرة:ابن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد . توفي بالمدينة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد روى عن أبيه ،وعمر ابن الخطاب فقال مرسل، وابن عمر ورجل من الأنصار، وجماعة. وعنه ابنه مسلم، والزهري، والشعبي، وابن عقيل، وعطاء، وعكرمة بن مصعب، وعبد الله ابن محيرز، وثعلبة بن مسلم، والمثنى بن الصباح، وغيرهم. وكان قليل الحديث. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٢٥٤ ، تهذيب التهذيب ١٠/٥٠ ، الثقات لابن حبان ٥/٤٦٠ .

٣سبقت ترجمته، انظر: ص ٢٦ .

٤ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد(٣٧ – ١٠٧ هـ): أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها، وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجا أو معتمرا. وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. الأعلام٥/١٨١ .

٥ أبو سلمة: هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري المدني. قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل وقيل اسمه كنيته. وقال علي بن المديني وأحمد وابن معين وأبو حاتم ويعقوب بن شيبة وأبو داود حديثه عن أبيه مرسل. ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المدنيين وقال: كان ثقة فقيها كثير الحديث. مات سنة ٩٤هـ وقال الواقدي: سنة ١٠٤هـ وهو ابن ٧٢ سنة . وقال عقيل عن الزهري قال لي إبراهيم بن عبد الله بن قارظ وأنا بمصر: لقد تركت رجلين من قومك لا أعلم أكثر حديثا منهما عروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. وقال أبو زرعة: ثقة إمام. وقال ابن حبان في الثقات: كان من سادات قريش .يراجع تهذيب التهذيب ١٢/١٠٣ .

علىالمنبر:(أنه بينما أناس يسيرون في البحر فنفد طعامهم فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبر فلقيتهم الجساسة فذكر الحديث وفيه سؤالهم عن نخل بيسان) "[1].

أمّا احتجاجهم بعدم إيراد البخاري لحديث فاطمة بنت قيس فليس دليلا على كون تلك الرواية مردودة أو غير مقبولة، فليس الحديث الصحيح حكرا على كتاب الإمام البخاري، ولم يقل أحد بأن الإمام البخاري رحمه الله تعالى قد استوعب كل الصحيح،وأن ما هو خارج كتابه من الأحاديث غير صحيح، لم يقل بذلك أحد، ولا قال به الإمامان البخاري و مسلم[2] نفسيهما،بل إنهما رحمهما الله تعالى قد صرّحا بأنهما قد تركا ذكر الكثير من الأحاديث الصحيحة خشية الإطالة، قال السيوطي[3] رحمه الله تعالى:"(ولم يستوعبا الصحيح) في كتابيهما (ولا التزماه) أي استيعابه فقد قال البخاري:(ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح مخافة الطول)، وقال مسلم:(ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا،إنّما وضعت ما أجمعوا عليه). يريد ما وُجِدَ عنده فيها شرائط الصحيح المجمع

---

١ فتح الباري ٣٢٩/١٣ .

٢ الإمام مسلم:هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري، النيسابوري (أبو الحسين) (٢٠٦– ٢٦١ هـ) محدث، حافظ. رحل إلى الحجاز والعراق والشام، وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، و عبد الله بن مسلمة وغيرهم، وقدم بغداد غير مرة، فروى عنه أهلها، وروى عنه الترمذي، وتوفي بنيسابور لخمس بقين من رجب.من تصانيفه:الجامع الصحيح، الكنى والأسماء، أوهام المحدثين، طبقات التابعين، وكتاب التمييز في الحديث. معجم المؤلفين٢٣٢/١٢ .

٣ السيوطي:هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين(٨٤٩ – ٩١١ هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (إليه هدايا فردها. من كتبه (الإتقان في علوم القرآن) و (إتمام الدراية لقراء النقاية) كلاهما له، في علوم مختلفة، و (الأحاديث المنيفة)، و (الأرج في الفرج) و (إسعاف المبطأ في رجال الموطأ) و(التحبير لعلم التفسير) و (تدريب الراوي) في شرح تقريب النواوي، و(تفسير الجلالين) و (الجامع الصغير – ط) في الحدي . الأعلام للزركلي٣٠١/٣ .

عليه وإن لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم،قاله ابن الصلاح[1]، ورجّح المصنف في شرح مسلم أن المراد ما لم تختلف ".[2]

فعدم إيراد البخاري للحديث في صحيحه ليس حجة تسوّغ ترك الحديث،قال ابن حجر ناقلا لقول ابن المنير[3]:" وتعقّب بأن الاقتصار في بعض طرق الحديث على بعضه لا يمنع قبول بعض آخر إذا صح طريقة"[4].

ثمّ إنّ الحديث وإن لم يرد في صحيح البخاري،فإنه وارد في صحيح مسلم كما سبق تخريجه[5]، وصحيح مسلم قد تلقته الأمة بالقبول، وأجمعت على كونه مع صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ.

وأمّا إنكارهم للدجال بعلة كونه من عقائد النصارى،واستشهادهم ببعض النصوص التي تدل على أنها مستوحاة من كتبهم التي يقدسونها.

---

١ ابن الصلاح:هو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو(٥٧٧ - ٦٤٣ هـ): تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه واسم الرجال. له كتاب " معرفة أنواع علم الحديث" يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و " الأمالي" و " الفتاوى" جمعه بعض أصحابه، و " شرح الوسيط" في فقه الشافعية، وغيرها . الأعلام للزركلي٤/٢٠٧.

٢تدريب الراوي ٩٨/١ .

٣ ابن المنير: وصفه ابن حجر بعالم الديار المصرية ، وقال عنه السيوطي:(هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذامي الإسكندراني المالكي القاضي ناصر الدين أبو العباس بن المنير(٦٢٠هـ - ٦٨٣هـ):كان إماما في النحو والأدب والأصول والتفسير ، وله يد طولى في علم البيان والإنشاء ، بالجامع الجيوشي وغيره ، وناب في الحكم بها ، ثم اشتغل بالقضاء ، ثم صرف وصودر ، ثم أعيد إليه . صنف التفسير ، الانتصاف من صاحب الكشاف ، مناسبات تراجم البخاري ، وغير ذلك . وأراد أن يصنف في الرد على الأحياء فخاصمته أمه ، وقالت له : فرغت من مضاربة الأحياء ، وشرعت في مضاربة الأموات ! فتركه).أنظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي ٣٨٤/١ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١٣٢٥/٤ .

٤فتح الباري ٤٧٩/٩ .

٥انظر: ص ٨٧.

فيقال لهم: لا غضاضة في ذلك، وليس لكم به مطعن؛ وذلك لأن عقيدة الدجال ليست هي العقيدة الوحيدة التي اتفق فيها المسلمون مع غيرهم من أصحاب الديانات السماوية،بل من المعلوم أن الدين الإسلامي قد اتفق مع غيره منالأديان السماوية على جملة من الأصول والعقائد: كعقيدة التوحيد والإيمان بالله ﷻ، والإيمان باليوم الأخر، ومبدأ الثواب والعقاب، والحث على مكارم الأخلاق والأعمال الصالحة،والنهي عن الفواحش والرذائل ، حتى في بعض أصول العبادات ،كالصلاة والصوم والزكاة و... إلخ.

وليس في هذا التوافق استغراب أو نكارة ،لأن الجميع مصدره رب واحد، وخالق واحد، وإله واحد،ومشرع واحد، وهو الله ﷻ الواحد الأحد.

هذا مع التسليم بالاختلاف الحاصل بين الشرائع، ومعرفة أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل أمة من الأمم ما يتناسب معها من الشرائع، قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾(المائدة٤٨).

إذن فإن اتفاق المسلمين مع النصارى في عقيدة الدجال ليس مسوّغا لرد هذه العقيدة وإنكارها، وإلا فلو جعل هذا مسوّغًا للإنكار لأتى ذلك على جملة الأصول التي سبق ذكرها، مما شأنه نقض الدين كله.

*__وأمّا آخر شبههم في هذه الرواية__: بأنّ الجزيرة الوارد ذكرها في الحديث لم يتم الكشف عنها والعثور عليها رغم الاكتشافات الباهرة التي حصلت في هذا الزمن.

فيقال لهم:وهل عدم العثور على الجزيرة يدل على عدم وجودها؟ إنّ هذا والله لأمر عجيب!

لمَ لا يقال أن الله ﷻ قد أخفى أمرها عن الخلق مع وجودها بينهم كحال جملة من أمور الآخرة، مثل يأجوج ومأجوج والردم الذي ما يزالون يهدمونه، ومع ذلك فلا أحد يعرف موضعهم أو اهتدى إلى مكانهم،وكذلك الجبل الذي ينحسر عن الكنز في آخر الزمان فيقتتل

عليه الناس ومع ذلك فلم يتمكن أحد من التنقيب والكشف عن هذا الكنز ، ونظائر هذه الأمور مما هي موجودة بيننا ولكن الله ﷻ قد أخفاها عنّا لحين يأذن سبحانه بظهورها، وإن كان قد أظهر بعضها لمن شاء من خلقه لحكمة يريدها كما هو الحال في قصة تميم الداري. وإخفاء هذه الأمور عنّا مع وجودها بيننا ليس بمستبعد عن قدرة الله ﷻ الذي أبقى بني إسرائيل[1] في التيه أربعين عاما،أخفى عنهم طريقهم لا يهتدون إليه رغم كونهم يدورون حوله.ثم يقال لهم:إن الله ﷻ قد امتدح أمة محمد ﷺ بأنهم يؤمنون بما أُخبِرُوا به من الغيب الذي خرج عن دائرة حسّهم،قال تعالى:﴿ الم*ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة١-٣). فهم ليسوا كبني إسرائيل المعاندين الذين لم يكونوا ليؤمنوا و لا لتؤخذ عليهم المواثيق إلا بأمر حسي كرفع جبل الطور[2] فوق رؤوسهم، ثم هم لا يؤمنون بعد ذلك،قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة٩٣).

فعدم التصديق بخبر الجزيرة الوارد في الحديث لعدم رؤيتها ليس إلا ضربًا من المشابهة لبني إسرائيل.

---

١ بني إسرائيل: إسرائيل هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ،ووالد النبي يوسف عليه السلام، وأولاد يعقوب(إسرائيل) الاثني عشرة هم بنو إسرائيل. قال ابن كثير:(يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو اسرائيل) البداية والنهاية ٢٢٣/١ .

٢الطور: اسم للجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه فيه التوراة دون غيره. تفسير القرطبي٤٣٦/١ .

ثانيا: رواية ابن صيّاد وقد طعن فيها بالمطاعن التالية:

١.أنها تتعارض مع الرواية الأولى قصة تميم، ثم استدرك بأنه لو أجيب بأن رواية تميم كانت متأخرة عن رواية ابن صياد، فما الداعي للشك في ابن صياد ـ الشاب المراهق ـ ؟

٢.أنها تتنافى مع الخلق النبوي السامي إذ إنها تصوره كعميل سري في التجسس ومراقبة ابن صياد.

٣.كثرة شكوك العلماء في خبر ابن صياد هل هو الدجال أم غيره؟ وكذلك بمعارضتها لخبر خروج الدجال آخر الزمان.

والجواب عن ذلك:

أمّا بالنسبة لدعوى معارضة رواية ابن صيّاد لقصة تميم الداري،فقد أجابوا هم أنفسهم عن ذلك:بأن قصة ابن صيّاد والشك في كونه الدجال كانت متقدمة وسابقة لخبر تميم الداري، فإن قصة تميم الداري كانت في أواخر العهد النبوي،فهو لم يقدم على النبي ﷺ إلا في العام التاسع من الهجرة. وبهذا التقدم والتأخر الحاصل بين الروايتين يزول التعارض.

وأمّا قولهم ما الداعي للشك في أن يكون الدجال هو ابن صياد ؟

فالجواب:أن ابن صيّاد كان يمتلك من الصفات التي تشابه صفات الدجال ما يجعله مجالا للشك فيه:هل هو الدجال أم هو غيره ؟

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" باب ذكر بن صياد يقال له بن صياد وبن صائد وسمي بهما في هذه الأحاديث واسمه صاف، قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة. قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه

بصفات الدجال وكان في بن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر ﷺ:(إن يكن هو فلن تستطيع قتله)... ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبي ﷺ(أتشهد أنى رسول الله)، ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه، وقوله: إني لأعرفه،وأعرف مولده،وأين هو الآن، وانتفاخه حتى ملأ السكة"[1].

فهذا هو السبب في الشك في ابن صيّاد هل هو الدجال أم غيره ؟

ولكن هذا الشك قد زال ولله الحمد عند من بلغه قصة تميم الداري، وأمّا من لازمه الشك واستمر معه من الأفاضل فربما لعدم بلوغ حديث تميم الداري إليه،وقد بيّن الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى ذلك،فقال:" قال البيهقي[2]:ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ كان متوقفا في أمره، ثم جاءه الثبت من الله تعالى بأنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري، وبه تمسك من جزم بأن الدجال غير بن صياد، وطريقه أصح. وتكون الصفة التي في بن صياد وافقت ما في الدجال"[3].

ثم أورد ابن حجر قصة تميم الداري وتعقبها بقول البيهقي،فقال:" قال البيهقي: فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير بن صياد، وكان بن صياد أحد الدجالين

---

١ شرح صحيح مسلم ٤٦/١٨ .

٢ البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر(٣٨٤ - ٤٥٨ هـ): من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى)، و (السنن الصغرى) و (المعارف) و (الأسماء والصفات) و (ودلائل النبوة) و (الآداب) في الحديث، و (الترغيب والترهيب) و (المبسوط) و (الجامع المصنف في شعب الايمان)و (مناقب الإمام الشافعي)، و (معرفة السنن والآثار)...إلخ.الأعلام للزركلي ١١٦/١.

٣ فتح الباري ٣٢٦/١٣ .

الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم، وكان الذين يجزمون بابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدا ! إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله، أن يكون في آخرها شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا ؟!! فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع. أما عمر فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور، وأما جابر فشهد حلفه عند النبي ﷺ فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر بحضرة النبي ﷺ"[1].

وأمّا دعواهم بأن رواية قصّة ابن صيّاد تتنافى مع الخلق النبوي السامي إذ إنها تصوّر الرسول ﷺ كعميل سري في التجسس ومراقبة ابن صياد.

فالجواب عليهم أن هذا فهم سقيم منهم، إذ كان الأولى بهم أن يقولوا:أنّ هذه الرواية تتفق مع الخلق النبوي السامي الذي من آحاده الشجاعة والإقدام، فالنبي الكريم ﷺ لما شك في أن يكون هذا الرجل مصدرًا للخطر والفتنة على أمته تقدّم واختبر أمر الرجل في غير ما موضع؛قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"قال العلماء استكشف النبي ﷺ أمره ليبين لأصحابه تمويهه لئلا يلتبس حاله على ضعيف لم يتمكن في الإسلام. ومحصّل ما أجاب به النبي ﷺ أنه قال له على طريق الفرض والتنزّل:إن كنت صادقا في دعواك الرسالة ولم يختلط عليك الأمر آمنت بك وإن كنت كاذبا وخلط عليك الأمر فلا وقد ظهر كذبك والتباس الأمر عليك فلا تعدو قدرك"[2].

فكان اختبار نبينا ﷺ له ليتثبت من حاله، حتى لا يرميه جزافا بتهمة هو منها براء،فإن ثبت له شيء في أمره فإنه سيتولاه بنفسه،وأكبر دليل على ذلك تصريحه ﷺ بأنه إن خرج الدجال

---

١ المرجع السابق ٣٢٦/١٣ .

٢نفسه ١٧٤/٦.

في حياته فهو ﷺ الذي سيتولى أمره،وسيكفي أصحابه فتنته.كما ورد ذلك في رواية النواس بن سمعان،عنه ﷺ أنه قال:(غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم،وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم)[1].

فظهر جليا مدى إشفاقه على أمته من قوله ﷺ ،حتى أنه دعا الله ﷻ أن يخلفه في كل مسلم إن خرج فيهم الدجال في حال موتهﷺ.

فهذا النبي الكريم المشفق على أمته من مواجهة الفتن، الذي ما قصّر يوما في أن يفتدي أمته بنفسه، أيقال بعد ذلك:أن فعله مع ابن صيّاد كان تحسسا،وعمالة سرية؟! إنّ هذا والله لبهتان عظيم!!

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"وفي قصة بن صياد اهتمام الإمام بالأمور التي يخشى منها الفساد والتنقيب عليها وإظهار كذب المدعي الباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الريب وأن النبي ﷺ كان يجتهد فيما لم يوح إليه فيه".[2]

ثالثا:رواية النواس بن سمعان وقد طعن فيها بالمطاعن التالية:

١.تأييد الدجال بكل تلك الخوارق لفتنة الناس يتنافى مع حكمة الله في إرسال الرسل لهداية الخلق.

٢.ارتباط ظهور الدجال بفتح القسطنطينية ، وقد فتحت عام ١٤٥٣م على يد العثمانيين ولم يظهر الدجال.

---

١ سبق تخريجه، ص ٨٢.

٢ فتح الباري ١٧٤/٦ .

٣. نهاية الدجال عند أهل السنة على يد عيسى عليه السلام، وهي تتعارض مع نهايته عند الشيعة على يد المهدي المنتظر.

الرد عليهم:

أمّا بالنسبة لزعمهم بأن تأييد الدجال بكل تلك الخوارق يتنافى مع حكمة الله ﷻ في إرسال الرسل لهداية الخلق، فهذا لا يصحّ إلا مع فرض كون الدجال يسلط على كل الناس فيضلون به أجمعين ، ويرتدون بسببه على أدبارهم، ويرجعون عن دينهم،فحينئذ لن تكون هناك أي فائدة مرجوة من إرسال الرسل، ولكن هذا لن يكون مطلقا؛لأنه وعلى رغم كون الدجال معه من الفتن والمضلات ما هو كفيل بالافتتان به ، إلاّ أنّ الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، فما كان سبحانه ليضل أحدا من خلقه إلّا وهو أهل للضلال ، كما أنه سبحانه يحفظ أولياءه وحزبه مهما تعاظمت عليهم أسباب الفتن والمحن والمضلات.

والدّجال وإن أقدره الله ﷻ على كل ما أقدره من الأمور التي يحصل بها عظيم الفتنة والاختبار، من إحياء الموتى، واتباع كنوز الأرض له، وإنزال المطر...وغيرها مما هو ثابت بالنصوص، إلا أنه أهون على الله ﷻ من أن يكون بيده هداية أحد من الخلق أو إضلالهم، وهذا ما فهمه العلماء الأفاضل من الفتنة بالدجال،قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في معنى قول الرسول ﷺ عن الدجال(هو أهون على الله من ذلك):"قال القاضي: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين"[1].

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:" قوله قال بل هو أهون على الله من ذلك سقط لفظ بل من رواية مسلم وقال عياض معناه هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوب الموقنين بل ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويرتاب الذين في قلوبهم مرض

١ شرح صحيح مسلم ٧٤/١٨ .

فهو مثل قول الذي يقتله ما كنت أشد بصيرة مني فيك لا أن قوله هو أهون على الله من ذلك انه ليس شيء من ذلك معه بل المراد أهون من أن يجعل شيئا من ذلك آية على صدقه ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرأها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه من حدثه ونقصه"[1].

وقال في موضع آخر:" وقال المهلب[2]: ليس في اقتدار الدجال على إحياء المقتول المذكور ما يخالف ما تقدم من قوله ﷺ:(هو أهون على الله من ذلك)، أي من أن يمكن من المعجزات تمكينا صحيحا، فإن اقتداره على قتل الرجل ثم إحياءه لم يستمر له فيه، ولا في غيره، ولا استضر به المقتول إلا ساعة تألمه بالقتل، مع حصول ثواب ذلك له، وقد لا يكون وجد للقتل ألما لقدرة الله تعالى على دفع ذلك عنه. وقال بن العربي[3]: الذي يظهر على يد الدجال من الآيات من إنزال المطر، والخصب على من يصدقه، والجدب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له، وما معه من جنة ونار ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار؛ ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف؛ ولهذا قال ﷺ:(لا فتنة أعظم من فتنة الدجال).وكان يستعيذ منها في صلاته تشريعا لأمته"[4].

---

١ فتح الباري ٩٣/١٣ .

٢ المهلب: هو المهلب بن أحمد بن أسيد الأسدي، التميمي (أبو القاسم بن أبي صفرة) فقيه محدث، من أهل المرية.سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي، ورحل إلى الشرق. وروى عن أبي ذر الهروي وعلي بن فهد وعلي بن محمد القزويني وغيرهم. توفي سنة (٤٣٥ هـ)من آثاره: شرح الجامع الصحيح للبخاري. معجم المؤلفين ٣١/١٣.

٣ ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي(٤٦٨ – ٤٥٣ هـ): قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه (العواصم من القواصم) و (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) و (أحكام القرآن) و (القبس في شرح موطأ ابن أنس) و (الناسخ والمنسوخ) و (المسالك على موطأ مالك) و (الإنصاف في مسائل الخلاف) و (أعيان الأعيان) و (المحصول) في أصول الفقه، و (كتاب المتكلمين) و (قانون التأويل). وهو غير محيي الدين ابن عربي. الأعلام للزركلي ٢٣٠/٦ .

٤ فتح الباري ١٠٣/١٣ .

والذي ينبغي علينا فهمه أن الدنيا برمّتها هي دار ابتلاء وافتتان، وما خلق الحياة والموت إلا من أجل اختبار العباد وابتلائهم أيّهم يحسن العمل، قال تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(الملك/٢).

وقضاء الله ﷻ بخروج الدجال في آخر الزمان ينتظم مع القانون العام الذي أراده الله ﷻ لابتلاء واختبار الخلائق، وإن كان الدجال هو أعظم هذه الفتن التي ستواجه البشرية منذ بداية الخلق.

وأمّا دعواهم بأنّ ظهور الدجال مرتبط بفتح القسطنطينية، وقد فتحت عام ١٤٥٣م على يد العثمانيين ولم يظهر الدجال.

فيقال لهم: صحيح أن القسطنطينية قد فتحت عام ١٤٥٣م على يد العثمانيين وبقيادة السلطان محمد الفاتح[١]، ولكن هذا الفتح ليس هو المقصود في الحديث والذي يعقبه خروج الدجال، بل هذا فتح آخر، والفتح الذي يعقبه خروج الدجال لن يكون إلا في آخر الزمان كما ورد في النصوص، وهذا الذي بينه بيانا شافيا صاحب كتاب إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وقد خطّأ من ظنّ أن فتح العثمانيين هو الفتح الذي يعقبه خروج الدجال، فقال:"وعن أنس بن مالك ﷺ: أنه قال:(فتح القسطنطينية مع قيام

١ السلطان محمد الفاتح: هو السلطان محمد الثاني بن السلطان مراد الثاني،يعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات.ولد عام (٨٣١هـ)، وحكم ما يقرب من ٣٠ عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في ١٦ محرم عام ٨٥٥هـ ، وكان عمره ٢٢ سنة. ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال حتى أنه اشتهر أخيراً في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية اليوم الثلاثاء ٢٠ جمادي الأولى ٨٥٧هـ. وكانت توفي سنة ٨٨٦هـ ،وعمره ٥٢ سنة. بعد أن حكم نيفاً وثلاثين عاماً.أنظر الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي الصلابي ص ١٠٩ وما بعدها.

الساعة).رواه الترمذي[1]؛ قال:وقال محمود(وهو ابن غيلان شيخ الترمذي)[2]: هذا حديث غريب، والقسطنطينية هي مدينة الروم، تفتح عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ". انتهى كلام الترمذي. قال ابن كثير:(هكذا قال: إنها فتحت في زمن الصحابة ! وفي هذا نظر؛ فإن معاوية ﵁ بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري ﵁، ولكن لم يتفق فتحها، وحاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان[3] في زمان دولتهم، ولم تفتح أيضا، ولكن صالحهم على بناء مسجد بها".

قلت: وقد فتحت القسطنطينية في سنة سبع وخمسين وثمانمائة على يد السلطان العثماني التركماني محمد الفاتح (وسمي الفاتح لفتحه القسطنطينية)، ولم تزل القسطنطينية في أيدي العثمانيين إلى زماننا هذا في آخر القرن الرابع عشر من الهجرة، وهذا الفتح ليس هو المذكور في الأحاديث التي تقدم ذكرها؛ لأن ذاك إنما يكون بعد الملحمة الكبرى، وقبل خروج الدجال بزمن يسير؛ كما تقدم بيان ذلك في عدة أحاديث من أحاديث هذا الباب، وكما

---

[1] باب ما جاء في علامات خروج المهدي ، برقم (٢٢٣٩) ، ٥١٠/٤ .

٢ محمود بن غيلان: هو محمود بن غيلان العدوي مولاهم أبو أحمد المرزوي الحافظ نزيل بغداد.قال المروذي عن احمد أعرفه بالحديث صاحب سنة قد حبس بسبب القرآن، وقال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. قال البخاري والنسائي وغيرهما: مات في رمضان سنة ٢٣٩هـ. قال مسلمة مروزي ثقة. روى له (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة).تهذيب التهذيب ٥٨/١٠ .

٣ مسلمة بن عبد الملك: هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم:أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة.سار في ١٢٠ ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه (سليمان)، وبنى (مسجد مسلمة) بالقسطنطينية سنة ٩٦هـ ، وولاه أخوه (يزيد) إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ ومات بالشام. وإليه نسبة (بني مسلمة) وكانت منازلهم في بلاد الأشمونيين (بمصر) قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته مات سنة (١٢٠ هـ).الأعلام للزركلي ٢٢٤/٧ .

سيأتي أيضا في حديثي معاذ وعبد الله بن بشر[1] ﷺ، ويكون فتحها بالتسبيح والتهليل والتكبير لا بكثرة العدد والعدة؛ كما تقدم مصرحا به في غير ما حديث من أحاديث هذا الباب، ويكون فتحها على أيدي العرب لا أيدي التركمان؛ كما يدل على ذلك قوله في حديث عمرو بن عوف[2] ﷺ:«ثم يخرج إليهم روقة[3] المسلمين أهل الحجاز، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير » . وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند مسلم :(فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ)[4]. وفي حديث عبد الله بن عمرو ﷺ:«ويستمد المسلمون بعضهم بعضًا حتى يمدهم أهل عدن

١لعل الشيخ التويجري رحمه الله تعالى أراد معاذا وعبد الله بن بسر ، وليس عبد الله بن بشر، لأنه أحال إلى حديثين سيأتيان ، أي سيأتي إيرادهما في كتابه، والحديثان اللذان أوردهما بعد ذلك هما حديثا معاذ وعبد الله بن بسر، أمّا حديث عبد الله بن بشر فكان متقدما على كلامه الذي فيه هذه الإحالة.فعلم أن المراد:حديثي معاذ وعبد الله بن بسر،وهما:

عن معاذ بن جبل ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:(الملحمة الكبرى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال؛ في سبعة أشهر) .رواه: الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في "مستدركه". وقال الترمذي : "هذا حديث حسن". قال: "وفي الباب عن الصعب بن جثامة وعبد الله بن بسر وعبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم".

وعن عبد الله بن بسر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:(بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجال في السابعة).رواه: الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، ورواته كلهم ثقات، وقد صرح بقية بن الوليد بالتحديث في رواية الإمام أحمد، فزال ما يخشى من تدليسه.

وعبد الله بن بسر:هو عبد الله بن بسر المازني، أبو صفوان، ويقال أبو بسر، من بني مازن ابن منصور: صحابي.كان ممن صلى إلى القبلتين. توفي بحمص،سنة (٨٨ هـ) عن ٩٥ عاما. وهو آخر الصحابة موتا بالشام. له ٥٠ حديثا . الأعلام للزركلي٤/٧٤ .

٢ عمرو بن عوف:عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة، وقيل: ملحة بن عمرو بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الله المزني. كان قديم الإسلام، يقال: إنه قدم مع النبي ﷺ بالمدينة، ويقال: إن أول مشاهده الخندق. وكان أحد البكائين في غزوة تبوك، له منزل بالمدينة، ولا يعلم حي من العرب مجلس بالمدينة غير مزينة. وهو جد كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، حديثه عند أولاده. ومات بالمدينة آخر أيام معاوية. أسد الغابة ٤/٢٧٥، وذكره أبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/٢٠٠٩.

٣ روقة المسلمين: أَي خِيارُهم وسَراتُهم وهي جمع رائق راقَ الشيءُ إذا صَفا. ابن منظورلسان العرب ١٠/١٣٤

٤ باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ، ٨/١٧٥.

أبين[1]». وفي حديث ذي مخمر[2]ﷺ:«أن الروم يقولون لصاحبهم: كفيناك حد العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة » . فدل هذا على أن الملحمة الكبرى تكون بين العرب والروم، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية، وأمير الجيش الذي يفتحها في آخر الزمان عند خروج الدجال هو الممدوح هو وجيشه؛ كما تقدم ذلك في حديث عبد الله بن بشر الخثعمي[3]عن أبيه ﷺ،وتقدم في حديث أبي هريرة ﷺالذي رواه الخطيب[4] في "المتفق والمفترق ":"أن أمير الجيش إذ ذاك من عترة النبي ﷺ».والمقصود هاهنا التنبيه على أن الفتح المنوه بذكره في أحاديث هذا الباب لم يقع إلى الآن، وسيقع في آخر الزمان عند خروج الدجال، ومن حمل ذلك على ما وقع في سنة سبع وخمسين وثمانمائة؛ فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به. والله أعلم"[5].

---

١ عدنِ أَبْيَنَ أبيَنُ بوزن أحمر: قرية على جانب البحر ناحية اليمن . وقيل هو اسم مدينة عدن. النهاية في غريب الأثر للجزري ٢٠/١.

٢ ذو مخبر ويقال ذو مخمر. وكان الأوزاعي يأبى في اسمه إلا ذو مخمر بالميمين، لا يرى غير ذلك وهو ابن أخي النجاشي وقد ذكره بعضهم في موالي النبي ﷺ، له أحاديث عن النبي ﷺمخرجها عن أهل الشام، وهو معدود فيهم.الاستيعاب ٤٧٥/٢ ، وذكره ابن حبان في الثقات ١١٩/٣.

٣ عَبد الله بن بشر: هو عَبد الله بن بشر الخثعمي أبو عُمَير الكوفي الكاتب ، والد عُمَير بن عَبد الله.قال أبو حاتم: شيخ ، كان كاتب شيخ كان لشعبة.وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات".روى له التِّرْمِذِيّ والنَّسَائي.تهذيب الكمال للمزي ١٤ /٣٣٩ .

٤ الخطيب: هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب(٣٩٢ - ٤٦٣ هـ): أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزية). رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث. وكان فصيح اللهجة عارفا بالأدب، يقول الشعر، ولوعا بالمطالعة والتأليف، من مصنفاته:(تاريخ بغداد) ، (البخلاء) و (الكفاية في علم الرواية) في مصطلح الحديث، و (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، و (تقييد العلم) و (شرف أصحاب الحديث) و (التطفيل) و (الأسماء والألقاب) و (الأمالي) ، و (الفقيه والمتفقه) و (المتفق والمفترق). الأعلام للزركلي ١٧٢/١.

٥إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، للتويجري ٤٠٣/١ .

وأمّا آخر شبههم والتي تتعلق بتعارض الروايات بشأن نهاية الدجال مابين أهل السنة والشيعة، فهي عند أهل السنة على يد نبي الله عيسى ﷺ، وأمّا عند الشيعة فهي على يد المهدي المنتظر.

والجواب على ذلك: بأنه ليس العبرة بمن قال، وإنّما العبرة بما هو وارد في النصوص الصحيحة، والتي أخبرت بأنّ المسلمين سيخوضون معارك عدّة مع الدجال يحاولون فيها قتله، وقد يكون المسلمون بقيادة المهدي ـ والله تعالى أعلم ـ ،إذ هم في زمانه، ولكن لم تصرح الأحاديث باسمه، ويستمر ذلك حتى آخر أيّام الدجال عندما ينزل نبي الله عيسى ﷺ فيشاركهم في قتاله، حتى يتبعه في منطقة باب لد فيقتله بيده الشريفة.

قال صاحب عون المعبود:"واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى ﷺ ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته"[1].

وقد ذكر صاحب إتحاف الجماعة حديثا عند الحاكم في مستدركه يفيد هذا المعنى السابق،فقال:" وعن حذيفة بن أسيد ﷺ: أنه قال:"الدجال يخرج في بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم ، فيقتل الدجال، ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن! هذا يهودي عندي؛ فاقتله".

---

[1] العظيم أبادي ١١/٣٦١ .

رواه الحاكم في "مستدركه"، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي[1] في "تلخيصه" : "على شرط البخاري ومسلم ".قلت: وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف"[2].

وأخيرا يقال لهم: لو سلّم لكم جدلا بكل المطاعن التي سقتموها في الروايات السابقة، فإنّ هذا غير كاف في إنكار قضية الدجال، فالنصوص الأخرى التي تعرضت لذكر الدجال، أكثر مما ذكرتموه بكثير.

وقد ذكر الكتاني تواتر الأحاديث الواردة في مسألة الدجال واستفاضتها، فقال:"خروج المسيح الدجال ذكر غير واحد أنها واردة من طرق كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة وفي التوضيح للشوكاني[3] منها مائة حديث وهي في الصحاح والمعاجم والمسانيد والتواتر يحصل بدونها فكيف بمجموعها ، وقال بعضهم أخبار الدجال تحتمل مجلدات

١ الذهبي: هو محمد الذهبي محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الاصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي (أبو عبد الله، شمس الدين) (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ): محدث، مؤرخ. ولد بدمشق في ربيع الأول، وسمع بها وبحلب وبنابلس وبمكة من جماعة، وسمع منه خلق كثير، وتوفي بدمشق في ٣ ذي القعدة، ودفن بمقبرة الباب الصغير. من تصانيفه الكثيرة: تاريخ الإسلام الكبير ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبقات الحفاظ، تجريد الأصول في أحاديث الرسول، والمشتبه في أسماء الرجال. معجم المؤلفين ٢٨٩/٨ .

٢ إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ،للتويجري ٨٠/٣ .

٣ الشوكاني:هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ): فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد.له ١١٤ مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، و (إتحاف الأكابر)، و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) و (التعقبات على الموضوعات) و (الدرر البهية في المسائل الفقهية) و (فتح القدير)و (إرشاد الفحول) في أصول الفقه، الأعلام للزركلي٢٩٨/٦ .

وكتاب التوضيح المشار إليه سابقا هو:التوضيح في تواتر في المهدي المنتظر والدجال والمسيح .

وقد أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف وذكر جملة وافرة منها في الدر المنثور لدى قوله:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ﴾ (غافر ٥٦) الآية فراجعه"[١].

فكل الذي ذكروه من مطاعن في الأحاديث التي ساقوها لم تسلم لهم، فضلا عن كونها غير مؤدية للنتيجة التي أرادوها من إنكار الدجال.

ومن يكون هذا حاله من الإنكار الشديد يخشى عليه أن يكون هو من أول المنبهرين والمتبعين للدجال، نسأل الله السلامة والعافية.

١ نظم المتناثر من الحديث المتواتر ٢٢٨/١ .

المطلب الثالث: المسيح الدّجال عند المعتزلة وشبههم فيه.

خالفت فرقة المعتزلة أهل السنة والجماعة في مسألة الدجال، ووقعت تلك المخالفة منهم على وجهين:

. الوجه الأول:من ذهب منهم إلى إنكار الدجال جملة، وعدم التصديق به مطلقا.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية وردوا الأحاديث الواردة فيه فلم يصنعوا شيئاً وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم "[١].

وقد نسب ابن حزم رحمه الله تعالى هذا القول لضرار بن عمرو[٢] من المعتزلة، فقال:"وكيف تقولون في الدجال وأنتم ترون أنه يظهر له عجائب؟ فالجواب وبالله تعالى التوفيق: إن المسلمين فيه على أقسام، فأما ضرار ابن عمر وسائر الخوارج فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة، فكيف أن يكون له آية"[٣].

وهؤلاء المنكرونللدجال جملة لم تنقل عنهم شبهة لهذا الإنكار.

. الوجه الثاني:من ذهب منهم إلى إثباته، ولكن زعم أن ما معه مخارق وحيل، وهذا قد نسب لأبي علي الجبائي[٤] من المعتزلة.

١النهاية في الفتن ١/٨٤ .

٢سبقت ترجمته، ص ٩٥ .

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٨٩ .

٤ الجبائي:محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي(٢٣٥ - ٣٠٣ هـ): من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له (تفسير) حافل مطول، رد عليه الأشعري . الأعلام للزركلي ٦/٢٥٦.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:"الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال حجة أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص معين ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب ؛ من إحياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب الذي معه ، وجنته وناره ، ونهريه ، واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر ، والأرض أن تنبت ، فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته ، ثم يعجزه الله بعد ذلك كما قال :(ولن يسلط على غيره) فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية ، ولا على غيره ، ويبطل أمره بعد ، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا .

هذا مذهب أهل السنة وجماعة أهل الفقة والحديث ونظارهم، خلافا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة . وخلافا للجبائي من المعتزلة ومن وافقه على إثباته من الجهمية وغيرهم، ولكن زعموا أن ما عنده مخارق ، وحيل ، لا حقائق ، ولدعواهم أن أمره لو كان صحيحا كان قدحًا في النبوة"[1] .

الشبهة التي دفعت بهم لهذا القول:

لم ينشأ هذا القول بسبب وجود نصوص اشتبهت على قائله وفهم منها هذا المعنى الذي ذهب إليه، وإنّما الذي قاده إلى القول به: هو مخافة أن يلتبس ما يأتي به الدجال بما عند الأنبياء من معجزات.

وقد رد عليه كثير من العلماء الأفاضل: بأنّ هذا الالتباس لا وجه له، ولا احتمال لوقوعه، وذلك أنّ فتنة الدجال في ادعاء الربوبية، لا أنه يدعي النبوة ، فلا وجه لإنكار ما عنده مخافة التباسه بمعجزات الأنبياء.

---

[1] إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٤٧٤/٨ .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:"وقال الشيخ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة: " لا يجوز أن يكون كذلك حقيقة لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي" وقد أجابه القاضي عياض وغيره: بأن الدجال إنما يدعي الإلهية، وذلك مناف للبشرية فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه والحالة هذه"[1].

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى:"وقال بعض أصحاب الكلام[2]:أن الدجال إنّما يدعي الربوبية، ومدعي الربوبية في نفس قوله بيان كذبه، قالوا: فظهور الآية عليه ليس موجبا لضلال من له عقل، وأما مدعي النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه؛ لأنه كان يكون ضلالا لكل ذي عقل "[3].

وكذلك ما ذكره عبد القاهر البغدادي عند ذكره لشروط صحة المعجزة، والتي منها: أن يكون ظهورها على يد مدعي النبوة لا الألوهية حيث قال:" وإنّما اشترطنا فيه إظهاره لصدق نبي أو ولي لجواز ظهور ما يخالف العادة على مدعي الإلهية فلا يكون دلالة على صدقه كالذي يظهر على الدجال في آخر الزمان، وصورته كافية في الدلالة على كذبه، فلا ضرر في ظهور ما يخالف العادة عليه"[4]

ولذلك فقد تضافرت النصوص على تبيين النقص والعيب الظاهر في خلقته، والذي يتناقض مع ما يأتي به من دعوى الربوبية.

١النهاية في الفتن ٨٣/١ .

٢ لعل ابن حزم يشير (بقول بعض أصحاب الكلام) إلى قول البغدادي الذي سيرد ذكره بعد قوله مباشرة ، وكذلك إلى قول الباقلاني: حيث ذكر أنه لا مانع من ظهور تلك الخوارق على يد الدجال لأنه إنّما يدعي الإلهية ، لا النبوة. أنظر البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات ص١٠٤/١٠٥ ، وغيرهما.

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٨٩/١ .

٤ أصول الدين للبغدادي ص١٧٠ .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال:(إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور)[1].

ثم يقال لهم:كيف سوّغت لكم أنفسكم رد الأحاديث والنصوص المتكاثرة عن رسول الله ﷺ . والتي أمعنت في ذكر الدجال وما يكون معه. بدعوى الخوف من الالتباس الذي ذهبتم إليه.

قال المناوي رحمه الله تعالى:"قال ابن العربي[2]: شأن الدجال في ذاته عظيم، والأحاديث الواردة فيه أعظم، وقد انتهى الخذلان بمن لا توفيق عنده إلى أن قال إنه باطل"[3].

إنّ هذا لمن أكبر الأدلة على أنّ عقول هؤلاء القوم هي المشرّع الحقيقي لهم، فما وافقها من الوحي قبل، وإلا فهو مردود، نعوذ بالله من الخذلان، ومن أن نوكل إلى أنفسنا طرفة عين أو أقل من ذلك.

قال تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية٢٣).

---

١ سبق تخريجه، ص ٧٨ .

٢ سبقت ترجمته،ص ١١٦ .

٣ فيض القدير شرح الجامع الصغير ٧١٨/٣ .

الفصل الثالث: نزول عيسى عليه السلام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم نزول عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم نزول عيسى عليه السلام عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول:

نزول عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول:نزول عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة.

التعريف بنبي الله عيسى عليه السلام:

نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام: هو عبد الله ورسوله، وأحد أولي العزم من الرسل، خلقه الله عز وجل بكلمة منه من أم بغير أب.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:"عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وابن أمته عليه من الله أفضل الصلاة والسلام.... عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وقال له كن فكان".[1]"وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بني إسرائيل".[2]

. وهذا القدر من التعريف بنبي الله عيسى عليه السلام قد اتفق عليه عامّة أهل الإسلام.

. ثم افترق بعد ذلك كل من اتبع الحق في هذه المسألة عن مخالفيهم[3] بالاعتقاد بأنّ الله عز وجل قد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، ثم إنه سينزل في آخر الزمان . أحد علامات الساعة . حكما عدلا يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مدة معلومة ثم يتوفاه الله عز وجل.

وهذا هو السبب في تخصيصه عليه السلام بالبحث هنا دون سائر الأنبياء؛ وذلك لتعلقه عليه السلام باليوم الآخر كأحد علامات الساعة الكبرى، ووقوع الخلاف في ذلك.

---

١ قصص الأنبياء ص ٣٧٩ .

٢ قصص الأنبياء ص ٣١٣ .

٣سيرد ذكرهم في المبحث القادم إن شاء الله تعالى في ص١٣٨ .

وهذا التعريف من مفردات عقيدة أهل السنة والجماعة التي قرروها كثيرا،ومن ذلك:

. وقول الطحاوي[1]:" ونؤمن بأشراط الساعة منها : خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ... "[2].

. وقول ابن بَطَّة العكبري[3]رحمه الله تعالى:"ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء إلى الأرض فيكسر الصليب ويقتل الخنزير وتكون الدعوة واحدة"[4].

. وقول بن أبي زمنين[5]:"وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال"[6]

---

١ الطحاوي:أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر(٢٣٩ - ٣٢١ هـ): فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة. من تصانيفه (شرح معاني الآثار)، و (بيان السنة) ، وكتاب (الشفعة) و (مشكل الآثار) و (المختصر) في الفقه. أنظر: الأعلام للزركلي ٢٠٦/١ .

٢ متن الطحاوية ص٣١ .

٣ ابن بطة: هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة(٣٠٤ هـ - ٣٨٧هـ): عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولدا ووفاة رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه وهي تزيد على مئة، منها " الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة " والسنن "و الإنكار على من قضى بكتب الصحف الأولى " و " التفرد والعزلة ". الأعلام للزركلي ١٩٧/٤ .

٤متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ١٤٥ .

٥ ابن أبي زمنين: هو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الألبيري(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)، نزيل قرطبة، الأندلسي المالكي، المعروف بابن زمنين (أبو عبد الله) محدث، فقيه، أصولي، مفسر، صوفي أديب، شاعر.توفي بالبيرة في ربيع الآخر.من تصانيفه: مختصر المدونة، منتخب الأحكام، مختصر تفسير ابن سلام، حياة القلوب في الزهد، وأصول السنة. معجم المؤلفين١٠/٢٢٩ .

٦أصول السنة ص١٩٢ .

. وقول اللالكائي[1] :"والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم ينزل فيقتله بباب لد".[2]

. قول الإمام النووي رحمه الله تعالى:"قوله ﷺ (فيبعث الله عيسى بن مريم) أي ينزله من السماء حاكما بشرعنا وقد سبق بيان هذا في كتاب الإيمان قال القاضي رحمه الله تعالى: نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك وليس فى العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته".[3]

***وقد أخبر القرآن الكريم والسنة المطهرة برفعه عليه السلام إلى السماء، ثم نزوله قبيل قيام الساعة كعلامة من علاماتها، حاكما بشريعة محمد ﷺ، وتابعا لها.**

. أمّا ما جاء من الآيات في ذلك:

قوله تعالى:﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً*بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً* وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ (النساء١٥٧.١٥٩).

وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف ٦١).

---

١ اللالكائي: هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. من أهل طبرستان. استوطن بغداد. وخرج في آخر أيامه إلى الدينور: فمات بها كهلا سنة ٤١٨ هـ . قال الزبيدي (في التاج): نسبته إلى بيع " اللوالك " التي تلبس في الأرجل على خلاف القياس. له " شرح السنة " ، وكتاب في "السنن" "حجج أصول أهل السنة والجماعة" و "أسماء رجال الصحيحين" و " كرامات أولياء الله" وغير ذلك . الأعلام للزركلي٨/٧١ .

٢اعتقاد أهل السنة ١/١٥٩ .

٣ شرح صحيح مسلم ج١٨ ص٧٥ ، والقاضي: هو القاضي عياض سبقت ترجمته ص ٨٩ .

وقوله تعالى:﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٤٦).

. وأمّا الأحاديث:

فقد ورد الكثير من نصوص السنة المطهرة التي تؤكد رفعه عليه السلام، ثم نزوله آخر الزمان، وبيان مكان ذلك النزول وكيفيته، وماذا سيفعل عليه السلام عند نزوله من الحكم بشريعة الإسلام، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية،وغيرها.

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾(النساء ١٥٦))[1].

. وعنه رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)[2].وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على كون المسيح عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان إنّما يكون تابعا لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:(ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة..... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ فلا

---

١ رواه البخاري واللفظ له ،باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ٢٠٤/٤، ورواه مسلم ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٩٣/١ .

٢ متفق عليه،رواه البخاري ، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ٢٠٥/٤ ، ورواه مسلم ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٩٤/١ .

يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى:إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ...)[1] .

وهذا الحديث قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام والمكان الذي ينزل فيه ،ووصفه حين ينزل.

. مدّة مكثه عليه السلام في الأرض بعد نزوله:

أمّا بالنسبة لمدة مكثه في الأرض بعد نزوله فقد ورد عند مسلم أنه يمكث سبع سنين يقتل خلالها الدجال، جاء ذلك في حديث طويل رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيه:"... يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما – فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود[2]، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه)[3] .

---

١ رواه مسلم ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ١٩٧/٨ ، (مهرودتين): المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس والزعفران .

٢ عروة بن مسعود :هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي: صحابي مشهور. كان كبيرا في قومه بالطائف قيل: إنه المراد بقوله تعالى: " على رجل من القريتين عظيم " ولما أسلم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتولك. قال: لو وجدوني نائما ما أيقظوني ! فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الاسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة . (٩ هـ). الأعلام للزركلي ٢٢٧/٤ .

٣ رواه مسلم ، باب فى خروج الدجال ومكثه فى الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ فى الصور وبعث من في القبور ،٢٠١/٨ .

ولكن قد ورد عند أبي داود والإمام أحمد ما يفيد أنه يمكث في الأرض أربعين سنة،فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:(الأنبياء إخوة لعلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الآمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون)[1].

وهذان الحديثان وإن أوهم ظاهرهما التعارض إلا أنه لا تعارض بينهما والحمد لله، وقد بيّن العلماء وجه الجمع بينهما، وذلك أنه عليه السلام رفع إلى السماء وعمره ٣٣ سنة، ثم ينزل آخر الزمان فيمكث ٧ سنين، فيكون المجموع: أربعون سنة.

وقد ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال:"...فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلّي عليه المسلمون "رواه أحمد وأبو داود هكذا وقع في الحديث أنه يمكث في الأرض أربعين سنة، وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر أنه يمكث في الأرض سبع سنين فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم"[2] .

---

١ رواه أبو داود ، باب خروج الدجال ٢٠١/٤ ، ورواه الإمام أحمد واللفظ له، برقم (٩٢٥٩) ٤٠٦/٢ ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح .

٢ النهاية في الفتن والملاحم ٩٩/١ .

. الحكمة في نزوله عليه السلام في آخر الزمان:

اجتهد بعض العلماء فذكر عددا من الحكم في نزول نبي الله عيسى عليه السلام في آخر الزمان، من ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، قال:"قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله، والأول أوجه"[1].

١فتح الباري ٦/٤٩٣.

المبحث الثاني:

نزول عيسى عليه السلام عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني:نزول عيسى عليه السلام عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

ذهب المخالفون في مسألة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان إلى إنكار ذلك النزول، والادعاء بأنّ عيسى عليه السلام قد مات موتة عادية، وأنّه لا معنى لنزوله مع كونه قد مات.

وقد نسبت هذه المخالفة إلى كل من الجهمية والمعتزلة بناءا على ما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:" نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق، وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهيمة ومن وافقهم"[1].

فأخبر رحمه الله تعالى بإنكار المعتزلة والجهمية لنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ،ثم ساق بعضا من الشبه التي سوّغت لهم هذا الإنكار، وردّ عليها.

إلاّ أنّ نسبة تلك المخالفة للمعتزلة والجهمية فيها نظر، خصوصا وأن هذا الإنكار المنسوب إليهم لم يكن له مستند عند عامّة من قال به إلا هذا القول للقاضي عياض رحمه الله تعالى،فقد عوّل عليه كل من نسب المخالفة للمعتزلة والجهمية في هذه المسألة.

وهذا الكلام ليس فيه طعن في إمام عالم جليل القدر مثل القاضي عياض رحمه الله تعالى، فإنه من المحال أن يكون عالما فاضلا مثله وينسب هذه المخالفة لهؤلاء زورا أو بهتانا.

ولعله رحمه الله تعالى قد وقف على ذلك الإنكار منهم بالمشافهة أو غيرها مما جعله ينسب ذلك لهم.

ولكن البحث العلمي يقتضي من الباحث محاكمة المخالف بما ورد عنه وأثبته في مراجعه، أو على أقل تقدير أن يكون قد حكى تلك المخالفة عنه جمع من العلماء ومصنفي الفرق والمقالات، مما يدلل على استفاضة تلك المخالفة عنه.

---

١ شرح مسلم للنووي ٧٥/١٨ .

أمّا ولم يكن واحد من هذين التقديرين في هذه المسألة، فإنه من الصعب حينها الحكم عليهم بتلك المخالفة، والإنكار لنزول عيسى عليه السلام .

وهنا لابد من بيان هذين التقديرين حتى يتضح القول.

أمّا بالنسبة للتقدير الأول:وهو الوقوف على ما يثبت نسبة تلك المخالفة من نفس قول المخالف، أو كتبه، فهذا لم يتحقق في هذه المسألة، فإنه لم يتم الوقوف على شيء من أقوالهم أو من كتبهم يثبت كونهم أنكروا نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

بل إنّه قد وجد في كتبهم ما يدل على إقرارهم برفع عيسى عليه السلام، ثم نزوله في آخر الزمان، ومن ذلك:

. ما ورد عن القاضي عبد الجبّار[١] في تفسيره لآية آل عمران في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(آية ٥٥)

قال:"وربما قيل في قوله تعالى:﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كيف يصح مع أن الله تعالى لم يتوفه بل رفعه الله ؟ وجوابنا: أن العطف بالواو لا يوجب الترتيب فرفعه الله ثم توفاه وذلك جائز أيضا أن يكون توفاه من حيث لم يشعر به ثم رفعه فأعاد حياته"[٢].

فأثبت هنا اعتقادهم برفع عيسى عليه السلام إلى السماء.

---

١ القاضي عبد الجبار: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين: قاض، أصولي.كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالري، ومات فيها. له تصانيف كثيرة، منها: (تنزيه القرآن عن المطاعن) و (الأمالي) و (المجموع في المحيط بالتكليف) الأول منه، و (شرح الأصول الخمسة) و (المغني في أبواب التوحيد والعدل) أحد عشر جزءا منه، و (تثبيت دلائل النبوة) و (متشابه القرآن). توفي سنة (٤١٥ هـ). الأعلام للزركلي٣/٢٧٣ .

٢تنزيه القرآن ص ٦٧ .

وفي تفسيره لآية الزخرف في قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(آية ٦١). قال:" وربما قيل في قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ ما المراد بذلك ؟ وجوابنا أنه قد ظهر في الأخبار نزول عيسى عليه السلام عند الساعة، وأن الله تعالى جعله دلالة للساعة فلذلك قال تعالى:﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ لأن العلم والدلالة تمنعان من المرية"[1].

. وكذلك ورد مثل ذلك عن الزمخشري[2] في تفسيره لهذه الآية ،قال:"وَإِنَّهُ:وإن عيسى عليه السلام لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ أي شرط من أشراطها تعلم به ، فسمّى الشرط علما لحصول العلم به. وقرأ ابن عباس:لعلم، وهو العلامة.وقرئ:للعلم. وقرأ:أبيّ:لذكر، على تسمية ما يذكر به ذكرا، كما سمّى ما يعلم به علما. وفي الحديث : أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدّسة يقال لها:أفيق، وعليه ممصرتان ، وشعر رأسه دهين ، وبيده حربة ، وبها يقتل الدجال ، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم ، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه السلام، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ، ويخرب البيع والكنائس ،

١المرجع السابق ص٣٨٠ .

٢ الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم(٤٦٧ – ٥٣٨ هـ): من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. أشهر كتبه (الكشاف) في التفسير،و(أساس البلاغة) و (المفصل) ومن كتبه (المقامات) و (الجبال والأمكنة والمياه) و (المقدمة) معجم عربي فارسي،وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره . الأعلام للزركلي١٧٨/٧ .

ويقتل النصارى إلا من آمن به"[1] .

وهذا كله يُستفاد منه عدم إنكارهم بل إثباتهم لقضية رفع عيسىﷺ ، ثم نزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة، وهذا هو التقدير الأول . ما في كتبهم ..

وأمّا بالنسبة للتقدير الثاني: وهو حكاية جمع من أهل الفرق والمقالات لتلك المخالفة عنهم حتى يثبت إدانتهم بها ، فهذا لم يكن، بل الذي وجد عن جمع من أهل العلم من كتّاب الفرق والمقالات وغيرهم هو أنّ مسألة رفع عيسى ﷺ، ثم نزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة يعد إجماعا من الأمة لم يخالف فيه إلا الفلاسفة والملاحدة، وكان ممن حكى ذلك الإجماع:

السفاريني رحمه الله تعالى، حيث قال:"وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه"[2] .

١الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢٦١/٤ .

أمّا بالنسبة للحديث فهو:(غريب بهذا اللفظ وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند وهو مفرق في غضون الأحاديث فقوله ينزل على ثنية أفيق عند الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن من حديث عثمان بن أبي العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول (يكون للمسلمين ثلاثة أمصار) وفيه فينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق . وقوله وعلية ممصرتان عند ابن حبان والحاكم وأحمد عن أبي هريرة وفيه (فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران) الحديث ومعناه أي مصبوغتان بالمصر وهو المغرة . (وقوله والناس في صلاة الصبح) ففي ابن ماجة في حديث طويل عن أبي أمامة (فبينما إمامهم يصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى بن مريم فرجع الإمام يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم) الحديث . وقوله (فيقتل الخنزير ويكسر الصليب) في الصحيحين عن أبي هريرة). أنظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري/ للزيلعي ٢٥٤/٣ .

٢لوامع الأنوار ٩٤/٢ .

وقال العلاّمة الألوسي[1] رحمه الله تعالى:" والمراد بكونه عليه ﷺ خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه ﷺ بها في هذه النشأة.

ولا يقدح في ذلك ما أجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ونطق به الكتاب على قول ووجب الإيمان به وأكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى ﷺ آخر الزمان لأنه كان نبيا قبل تحلي نبينا ﷺ بالنبوة في هذه النشأة"[2].

وقال المناوي:"وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فقد أجمعوا على نزوله نبيا لكنه بشريعة نبينا ﷺ"[3].وقال أيضا:"وقد حكى في المطامح إجماع الأمة على نزوله وأنكر على ابن حزم ما حكاه في مراتب الإجماع من الخلاف في نزوله قبل يوم القيامة وقال : هذا نقل مضطرب ولم

يخالف أحد من أهل الشريعة في ذلك وإنما أنكره الفلاسفة و الملاحدة"[4].

---

١ الآلوسي: هو محمود بن عبد الله الحسيني الالوسى، شهاب الدين، أبو الثناء(١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ): مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد،مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. من كتبه (روح المعاني) في التفسير، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) رحلته إلى الاستانة، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام) و (غرائب الاغتراب) ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثا ومناظرات، و (دقائق التفسير) و (الخريدة الغيبية) شرح به قصيدة لعبد الباقي الموصلي، و (كشف الطرة عن الغرة) شرح به درة الغواص للحريري، و (مقامات) في التصوف والأخلاق، عارض بها مقامات الزمخشري. الأعلام للزركلي ١٧٦/٧ .

٢ روح المعاني ٢١٣/١١ .

٣فيض القدير شرح الجامع الصغير٤٣٣/٢.

٤ المرجع السابق: ج ٥ ص ٥٠٩ ، ويقصد بالمطامح كتاب:مطامح الإفهام في شرح الأحكام للقاضي عياض ، وهذا من الفوارق أن يكون القاضي عياض. الذي نسب للمعتزلة والجهمية إنكار نزول عيسى ﷺ. هو ممن حكى إجماع

وقال أحمد شاكر[1]:" قوله: "وإنه نازل" – نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان: مما لم يختلف فيه المسلمون ، لورود الأخبار المتواترة الصحاح عن النبي ﷺ بذلك. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره طائفة طيبة منها ،. وهذا معلوم من الدين بالضرورة ، لا يؤمن من أنكره"[2].

وحكاية إجماع الأمة على نزول عيسى عليه السلام عن هؤلاء العلماء الأفاضل، دون ذكر مخالف في ذلك يؤكد النتيجة التي وصل إليها البحث من التوقف عن نسبة المخالفة للجهمية والمعتزلة في هذه المسألة.

وهذه النتيجة ليست دفاعا عن فرقة أو طائفة بذاتها، وإنّما هي لما يقتضيه البحث العلمي من الموضوعية والحيادية، والله تعالى أعلم.

وأخيرا بقي أن يقال: أن هناك من خالف في مسألة نزول عيسى عليه السلام ، وهؤلاء هم شرذمة من المعاصرين ، فأنكروها، وساقوا بعضا من الشبهات في ذلك ، وقد انبرى جمع من العلماء الأفاضل للرد عليهم من أمثال: المحدث محمد أنور الكشميري[3] في كتابه(التصريح بما تواتر في

الأمة على نزوله عليه السلام وكونه لم يخالف فيه إلا الفلاسفة والملاحدة، إلا أن كان يعد المعتزلة والجهمية هم ذات الفلاسفة والملاحدة.

١ أحمد محمد شاكر: هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي(١٣٠٩ – ١٣٧٧ هـ): عالم بالحديث والتفسير، مصري. مولده ووفاته في القاهرة. أعظم أعماله شرح (مسند الإمام أحمد بن حنبل) ١٥جزءا منه، و (عمدة التفسير) أربعة أجزاء منه، في اختصار تفسير ابن كثير. ومن كتبه (نظام الطلاق في الإسلام) لم يتقيد فيه بمذهب، و (أبحاث في أحكام) و (الشرع واللغة) رسالة في الرد على عبد العزيز فهمي باشا الذي اقترح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية. وله تحقيقات مفيدة حلى بها هوامش (رسالة الإمام الشافعي) و (جماع العلم للشافعي) و (لباب الآداب، لابن منقذ). ولم يخلفه مثله في علم الحديث بمصر. الأعلام للزركلي١/٢٥٣

٢جامع البيان في تأويل القرآن للطبري تحقيق أحمد شاكر ٦/٤٦٠ .

٣ محمد أنور شاه الكشميري: هو المحدث الكبير والفقيه المحقق الحجة المولود سنة ١٢٩٢ والمتوفى سنة ١٣٥٢ رحمه الله تعالى .من أهم مؤلفاته: (فيض الباري شرح صحيح البخاري) ، (سهم الريب في كبد أهل الغيب) ، (مشكلات القرآن) ، (نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين) ،(فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب) ، (ضرب الخاتم على حدوث العالم) ، ،وغيرها ، للاستزادة أنظر: محمد أنور شاه الكشميري وآراؤه الاعتقادية لمحمد عبد الله أنصاري.

نزول المسيح) ، والمحدث عبد الله بن الصديق الغماري[1] في كتابه(عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام)،و د.سعد عبد الله عاشور[2] في كتاب له بنفس العنوان، وآخرين.

وتتميما للفائدة يعرّج البحث إجمالا فيما سيأتي على بعض تلك الشبهات التي تمسكوا بها مع الرد عليهم ، وبالله التوفيق.

---

١ عبد الله الغماري:(١٣٢٨هـ -١٤١٣هـ)، ولد بالمغرب، رحل إلى مصر والتحق بالأزهر،من مؤلفاته : الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين ، الفتح المبين لشرح الكنز الثمين، الأربعون الصديقية في مسائل اجتماعية...وغيرها. أنظر ترجمته على الشبكة العنكبوتية: http://www.alsunna.org/ghummari.htm

٢ سعد عبد الله عاشور الأستاذ المشارك بقسم العقيدة كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية . غزة . فلسطين.أنظر سيرته الذاتية على الشبكة العنكبوتية: http://site.iugaza.edu.ps/sashoor/cv/

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الثالث:شبهات المخالفين في نزول عيسى عليه السلام مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

استدل المخالفون في مسألة نزول عيسى عليه السلام ببعض النصوص التي اشتبهت عليهم ، وظنوا أنها تدل على ما ذهبوا إليه من إنكار نزول عيسى عليه السلام، ومن هذه النصوص:

١) قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(آل عمران ٥٥).

قالوا : أن عيسى عليه السلام قد توفي بنص الآية، فكيف ينزل آخر الزمان[١] .

وقد بيّن العلماء والمفسرون الجواب عن ذلك، فذكروا أن لكلمة (الوفاة) في الشريعة معان متعدد ،منها:

الوفاة بمعنى الموت ، والوفاة بمعنى النوم ،والوفاة بمعنى القبض، وكل تلك المعاني لها أوجه في اللغة[٢] .

وجميع هذه المعان تتفق مع ما هو ثابت في الشرع من كون عيسى عليه السلام رفع إلى السماء، ثم ينزل آخر الزمان، وذلك كالتالي:

فإن قيل معنى الوفاة: الموت ، فيقال:لا مانع من ذلك،ولا تعارض بينه وبين رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، ثم نزوله آخر الزمان، لأن الآية الكريمة أخبرت بتلك الأخبار عن عيسى عليه السلام بحرف الواو . الدال على مطلق الجمع عند أكثر الأصوليين . ولم تربط بينها بحرف (ثم) الدال على الترتيب،وعلى ذلك فيكون تقدير الآية: أن يرفع عيسى عليه السلام ثم ينزل آخر الزمان،ثم يتوفى بعد ذلك، فتكون الأخبار في الآية فيها تقديم وتأخير.

---

١ انظر الفتاوى لمحمود شلتوت ص٦٠ وما بعدها .

٢بيّن ابن منظور أنّ الوفاة تطلق على الموت ،وعلى الأخذ (القبض)، وعلى النوم، فقال:" والوفاةُ الموت وتُوُفِّيَ فلان وتَوَفَّاه الله إذا قَبَضَ نَفْسَه... وتَوَفَّيْتُ المالَ منه واسْتَوْفَيته إذا أَخذته كله ...وأَمّا تَوَفِّي النائم فهو اسْتِيفاء وقْت عَقْله وتمييزه إِلى أَن نامَ" لسان العرب ٣٩٨/١٥ بتصرف يسير.

وقد ذكر ذلك الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ذلك،فقال:" وقال جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفراء[1] في قوله تعالى:" إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ" على التقديم والتأخير، لأن الواو لا توجب الرتبة. والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء، كقوله:﴿وَلَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]،والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما"[2].

وإن قيل إن معنى الوفاة هو النوم، فيقال:لا مانع أن يكون الله ﷻ قد أنامه ثم رفعه إليه. وقد ورد هذا المعنى عن بعض أهل التفسير ، فقد قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" ثم اختلف أهل التأويل في معنى"الوفاة" التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآية، فقال بعضهم:"هي وفاة نَوْم"، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني مُنِيمك ورافعك في نومك"[3].

وإن كان الظاهر من كلامه رحمه الله تعالى عدم اختيار هذا القول.

وإن قيل أن معنى الوفاة هو القبض، فيقال:إن هذا المعنى هو أكثر المعاني اتساقا مع عقيدة المسلم في رفع عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: توفاه الله ﷻ أي قبضه إليه ورفعه، وهذا المعنى الذي رجّحه إمام المفسرين الشيخ الطبري رحمه الله تعالى،فقال:"قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال:"معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ"،

---

١ الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء(١٤٤ - ٢٠٧ هـ): إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه " المقصور والممدود" و " المعاني " ويسمى " معاني القرآن" أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و" المذكر والمؤنث" وكتاب " اللغات " و " الفاخر" في الأمثال، و " ما تلحن فيه العامة " و وكان يتفلسف في تصانيفه. أنظر الأعلام للزركلي ١٤٥/٨ .

٢الجامع لأحكام القرآن٤/٩٩ .

٣جامع البيان في تأويلالقرآن٦/٤٥٥ .

لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه"[1].

وصحّحه كذلك الإمام القرطبي رحمه الله تعالى،فقال:" والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد[2]، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله الضحاك"[3].

٢) وقوله تعالى:﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة ١١٧)

معنى الوفاة في هذه الآية:القبض والرفع، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"﴿فلما توفيتني﴾ يقول: فلما قبضتني إليك"[4].

وسبب حمل الوفاة هنا على القبض والرفع دون الموتجاء في تفسير الوسيط وفيه:"وقد جاء التوفي بهذا المعنى في قوله تعالى :﴿يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾....ولا يصح أن يحمل التوفي على الإماتة ، لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه له ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها ، ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول ، وقد نزه اللّه السماء أن تكون قبرا لجثث الموتى ، وإن كان الرفع بالروح فقط ، فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء ، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة؟! فالحق أنه عليه السلام رفع إلى السماء حيا بجسده وروحه وقد جعله اللّه آية ، واللّه على كل شيء قدير"[5].

١المرجع السابق٦/٤٥٨ .

٢سبق ترجمته ، ص ٥٠ .

٣الجامع لأحكام القرآن٤/١٠٠ .

٤جامع البيان في تأويل القرآن١١/٢٣٩ .

٥ التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوى ٤/٤٥٩.

ومعلوم أن قوم عيسى عليه السلام إنّما تنصروا واتخذوه إلها قبل رفعه ، لا قبل موته الذي سيكون في آخر الزمان.

وقد استدل الإمام البغوي رحمه الله تعالى بهذه الآية على أن المقصود بالآية السابقة. آية آل عمران. هو القبض والرفع،فقال رحمه الله تعالى:"﴿ إِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ اختلفوا في بعض التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إليِّ من غير موت، يدل عليه قوله تعالى:﴿فلما توفيتني﴾(١١٧المائدة) أي قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنّما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته"[١].

٣،٤) وقوله تعالى:﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب٤٠).

ومثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ قال:(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي،...)[٢].

فزعموا " أن هذه الأحاديث – أي أحاديث نزول عيسى عليه السلام – مردودة بقوله تعالى ﴿وخاتم النبيين﴾، وبقوله ﷺ:(لا نبي بعدي)، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ"[٣].

والجواب عليها:أن هذه النصوص مع كونها صرّحت بنفي النبوة بعد الرسول محمد ﷺ، إلا أنها لا تعارض نزول عيسى عليه السلام ،لأن النفي هنا يرد على نبي يبعث بشريعة جديدة غير شريعة نبينا محمد ﷺ ، والثابت المعلوم بالشرع أن عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان تابعا لشريعة الرسول محمد ﷺ ، حاكما بها ،محكّما لها، لا أنه ينزل بشرع جديد، حتى ما يأمر به من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية إنّما هو شرع للنبي محمد ﷺ ؛ إذ هو الذي نصّ عليه،

١ معالم التنزيل ٤٥/٢ .

٢ رواه البخاري ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٢٠٦/٤، ورواه مسلم ، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٧/٦، وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين البخاري ومسلم .

٣شرح مسلم للنووي ٧٥/١٨.

وإنّما عيسى عليه السلام مطبقٌ له. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يصدق عليه أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ،وإنّما هو تابع له عليه السلام.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:"(حكما)أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة"[1].

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى ردا على من أنكر أحاديث نزول عيسى عليه السلام بحديث (لانبي بعدي)، ودعوة ختم النبوة:"وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾وبقوله ﷺ(لا نبي بعدي) وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ ،وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديثهنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا يحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس"[2].

وقد علّق ابن الجوزي رحمه الله تعالى على صلاة عيسى عليه السلام مأموما خلف المهدي وأن ذلك كالمصدّق لحديث (لا نبي بعدي)، فقال:" لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا، فصلّى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله:(لا نبي بعدي) "[3].

هذا والله تعالى أعلى و أعلم .

---

١ شرح صحيح مسلم ١٩٠/٢ .

٢ شرح صحيح مسلم ٧٥/١٨ .

٣ فتح الباري لابن حجر ٤٩٤/٦ .

الفصل الرابع: عذاب القبر ونعيمه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عذاب القبر ونعيمه عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: عذاب القبر ونعيمه عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول :

عذاب القبر ونعيمه عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول: عذاب القبر ونعيمه عند أهل السنة والجماعة .

معنى عذاب القبر ونعيمه في اللغة:

. القبر في اللغة:هو مدفن الإنسان.

جاء في تاج العروس:"القَبْرُ بالفَتْحِ : مَدْفَن الإِنْسَانِ"[١]

وقال ابن فارس: "(قبر) القاف والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غموضٍ في شيء وتطامُن. من ذلك القَبْر: قَبْر الميِّت. يقال قَبَرْتُه أَقْبُرُه"[٢].

. أمّا العذاب في اللغة:فهو العقوبة والنكال والضرب.

قال الجوهري[٣]:"والعذاب: العقوبة، وقد عذَّبته تعذيباً"[٤]

قال ابن منظور:"والعَذَابُ النَّكَالُ والعُقُوبة يقال عَذَّبْتُه تَعْذِيباً".[٥]

وقال ابن فارس:" العَذاب، يقال منه: عذَّب تعذيباً. وناسٌ يقولون: أصل العَذاب الضَّرب".[٦]

. وأمّا النعيم:فهو الترفه وطيب العيش.

---

١ الزبيدي ٣٥٥/١٣ .

٢ معجم مقاييس اللغة/لابن فارس ٤٧/٥ .

٣ الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغوي، من الائمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الارض قتيلا سنة٣٩٣ هـ .
الأعلام للزركلي ٣١٣/١ .

٤ الصحاح في اللغة ٢٦٩/١ .

٥ لسان العرب ٥٨٥/١ .

٦ مقاييس اللغة ٢٦٠/٤ .

فال ابن فارس:" (نعم) النون والعين والميم فروعُه كثيرة، وعندنا أنَّها على كثرتها راجعةٌ إلى أصلٍ واحدٍ يدلُّ على ترفُّهٍ وطِيب عيش وصلاح. منه النِّعمة: ما يُنعِم الله تعالى على عبدِه به من مالٍ وعيش. يقال: للهِ تعالى عليه نِعمة. والنِّعمة: المِنَّة، وكذا النَّعْماء. والنَّعْمة: التنعُّمُ وطيبُ العيش".[1]

وفي الشرع:

قال ابن القيم[2] رحمه الله تعالى:"عذاب القبر ونعيمه:اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة".[3]

والبرزخ هو :"الحاجز بين الشيئين ومن وقت الموت إلى القيامة ومن مات دخله"[4] .

قال السفاريني رحمه الله تعالى:"ووجه تسمية ما هنا برزخا لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة".[5]

وتعلّق الحياة البرزخية التي يعايشها الميت بعد موته بالقبر من باب التغليب،إذ الغالب في الأموات في مختلف الملل أنهم يقبرون، وإلا فالحياة البرزخية من عذاب أو نعيم تعم كل ميت سواء قبر أولم يقبر (حرق أو غرق أو...الخ).

١ مقاييس اللغة ٤٤٦/٥ .

٢ ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين(٦٩١ - ٧٥١ هـ): من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء.مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق.وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. من تصانيفه:(إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)و (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) و (مفتاح دار السعادة) و (زاد المعاد) و (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)...إلخ.أنظرالوافي بالوفيات للصفدي ١٩٥/٢، والأعلام للزركلي ٥٦/٦ .

٣ الروح ص٧٣ .

٤ القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣١٨/١ .

٥ لوامع الأنوار ٤/٢ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن سبب تسمية البرزخ بالقبر:"وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما".[1]

. فالحياة البرزخية يقصد بها ما يكون بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة من:

١.الفتنة بسؤال الملكين منكر ونكير عن الأسئلة الثلاث الكبرى،من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

٢.العذاب للكافرين والمنافقين والفجار، أو النعيم للمؤمنين والصالحين حتى قيام الساعة.

وهذين الأمران ينالان جميع الأموات المقبور منهم وغير المقبور كلهم في ذلك سواء.

وقد عدّ أهل السنة والجماعة مسألة عذاب القبر ونعيمه ضمن العقائد التي لابد من الإيمان والتصديق بها.

. قال ابن أبي زمنين:"وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر أعاذنا الله وإياك من ذلك".[2]

. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى:" ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺمما يكون بعد الموت : فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه فأما الفتنة : فإن الناس يفتنون في قبورهم . فيقال للرجل :«من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. فيقول المؤمن : الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺنبيي. وأما المرتاب فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته! فيضرب

---

١ الروح لابن القيم ص٧٣ .

٢ أصول السنة ص ١٥٤ .

بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق»
ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى"[1].

. وقال الإمام الأشعري[2] رحمه الله تعالى:"وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته، وأنهم لا يذوقون ألم الموت كما قال تعالى:﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾(الدخان ٥٦) ".[3]

. وأخبر الإمام الطحاوي أن من مذهب أهل السنة الإيمان بذلك كله فقال رحمه الله تعالى: "وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺوعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران "[4].

ـ وقد ورد في نصوص الشرع من الكتاب والسنة ما يدل على حصول عذاب القبر ونعيمه، ومنها:

١.قول الله ﷻلما ذَكَرَ آل فرعون قال:﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:" والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ. احتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله:" النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا" ما دامت الدنيا.

---

١ متن العقيدة الواسطية /لابن تيمية ص ٣١ .

٢ الأشعري: هو علي الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، اليماني البصري (أبو الحسن) (٢٧٠ – ٣٣٠ هـ):متكلم، مشارك في بعض العلوم، تنسب إليه الطائفة الاشعرية. ولد بالبصرة، وسكن بغداد، ورد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والجهمية والخوارج وغيرها، وتوفي ببغداد.من تصانيفه الكثيرة: الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة، خلق الأعمال، الرد على المجسمة، الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن، التبيين عن أصول الدين. معجم المؤلفين ٣٥/٧ .

٣رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب٢٧٩/١ .

٤ متن الطحاوية ص ٢٥.

كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب[1] كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة:" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ""[2].

٢.وقال ﷻ:﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[التوبة:١٠١].

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى بعد أن سرد أقوال العلماء في تفسير المرتين:" قال أبو جعفر[3]: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلا يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأيِّ ذلك من أيٍّ. غير أن في قوله جل ثناؤه:(ثم يردّون إلى عذاب عظيم)، دلالة على أن العذاب في المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر.

وقوله:(ثم يردون إلى عذاب عظيم)، يقول: ثم يردُّ هؤلاء المنافقون، بعد تعذيب الله إياهم مرتين، إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم "[4].

---

١ محمد بن كعب:هو محمد بن كعب بن سليم.وقال ابن سعد: محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي ﷺ، ولم يصح ذلك.قيل: توفي سنة ١٠٨هـ،وقيل.١١٧هـ،وقيل:١١٩هـ، وقيل:١٢٠هـ .وأخطأ من قال: سنة ١٢٩هـ. وله من العمر: ٧٨ سنة. سير أعلام النبلاء ٦٥/٥ .

٢الجامع لأحكام القرآن/تفسير القرطبي٣١٩/١٥ .

٣أبو جعفر هو الإمام الطبري .

٤جامع البيان في تأويل القرآن٤٤٥/١٤ .

٣. وفي آية الأنعام:﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام:٩٣]

. جاء في تفسير الطبري رحمه الله تعالى:"قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين:"ما أنزل الله على بشر من شيء"، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين:"سأنزل مثل ما أنزل الله"، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم، كما قال جل ثناؤه:﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾(سورة محمد ٢٧،٢٨). يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم"[١].

وجاء في أحد شروح الطحاوية:"فقوله ﷻهنا {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} هذا متعلقٌ بإخراج الرُّوحِ من بدن الكافر، و{الْيَوْمَ} دِلَالَة على بداية العذاب وهو بداية الحياة البرزخية"[٢].

٤. وعن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ:(أنه مر بقبرين يعذبان، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول. وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)[٣].

١جامع البيان في تأويل القرآن١١/٥٣٧ .

٢ شرح العقيدة الطحاوية/للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ٢/٧١٥ .

٣رواه البخاري كتاب بدء الوحي ، باب الجريد على القبر، ٢/١١٩ ، ورواه مسلم ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، ١/١٦٦.

٥. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة)[١].

٦. وعن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت. قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺولكن حدثنيه زيد بن ثابت. قال:(بينما النبي ﷺفي حائط لبني النجار[٢] على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة – قال كذا كان يقول الجريري[٣] – فقال «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟». فقال رجل أنا.قال «فمتى مات هؤلاء» قال: ماتوا في الإشراك. فقال:« إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه». ثم أقبل علينا بوجهه فقال « تعوذوا بالله من عذاب النار ». قالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال:« تعوذوا بالله من عذاب القبر ». قالوا:نعوذ بالله من عذاب القبر. قال:« تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال « تعوذوا بالله من فتنة الدجال ». قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال)[٤].

٧. وعن أنس بن مالك ﷺقال: قال نبي اللهﷺ:(إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ». قال:« يأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ». قال:« فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ». قال:« فيقال له

---

١ صحيح مسلم ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ١٦٠/٨ .

٢ بنو النجار:هم بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية، وهم بنو النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص ٧٦ .

٣ الجريري: الإمام المحدث، الثقة، أبو مسعود، سعيد بن إياس الجريري، البصري، من كبار العلماء. قال أحمد بن حنبل: هو محدث البصرة، وقال ابن معين وجماعة: ثقة، وقال أبو حاتم: تغير حفظه قبل موته، وقال محمد بن أبي عدي: لا نكذب الله ! سمعنا من الجريري وهو مختلط، وقال أحمد بن حنبل: سألت ابن علية: أكان الجريري اختلط ؟ قال: لا. كبر الشيخ فرق. توفي الجريري سنة أربع وأربعين ومئة. سير أعلام النبلاء ١٥٣/٦.

٤رواه مسلم ، بابعرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ ، ١٦١/٨.

انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ». قال نبي اللهﷺ :«فيراهما جميعا ». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون)[1].

٨. وعن البراء بن عازب[2] عن النبيﷺقال:(﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾(إبراهيم ٢٧) قال:

نزلت فى عذاب القبر. فيقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله، ونبيي محمد ﷺ. فذلك قوله ﷻ :﴿يُثَبِّتُاللّهُالَّذِينَآمَنُواْبِالْقَوْلِالثَّابِتِفِيالْحَيَاةِالدُّنْيَاوَفِيالآخِرَةِ﴾(إبراهيم ٢٧)»[3].

٩. وعن أبى هريرة ﷺقال:(إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها ». قال حماد[4] فذكر من طيب ريحها وذكر المسك. قال « ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فينطلق به إلى ربه ﷻ،ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل ». قال:« وإن الكافر إذا خرجت روحه – قال حماد وذكر من نتنها

١رواه مسلم ، بابعرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ ، ١٦١/٨ .

٢ البراء بن عازب: هو ابن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الانصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة.روى حديثا كثيرا، وشهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ، واستصغر يوم بدر، وقال: كنت أنا وابن عمر لدة.توفي سنة ٧٢هـ ، وقيل: ٧١هـ عن بضع وثمانين سنة. وأبوه من قدماء الأنصار، قال الواقدي: لم نسمع له بذكر في المغازي. وروى أبو إسحاق، عن البراء، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ ١٥ غزوة. مسنده ٣٠٥ أحاديث: له في " الصحيحين " ٢٢ حديثا، وانفرد البخاري ١٥ حديثا، ومسلم ٦ أحاديث. سير أعلام النبلاء ١٩٤/٣.

٣رواه مسلم ، بابعرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ ، ١٦٢/٨.

٤ حماد بن زيد:هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إسماعيل(٩٨ – ١٧٩ هـ): شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجودين. يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة. وكان ضريرا طرأ عليه العمى، يحفظ ٤ آلاف حديث. خرج حديثه الأئمة الستة. الأعلام للزركلي ٢٧١/٢ .

وذكر لعنا – ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل ». قال أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا[1].

١٠. وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:(إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان (يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)[2].

وبعد ذكر هذه النصوص، فإنه ثمة مسائل يحسن عرضها في هذا الصدد،ومنها:

أولا: من هما منكر ونكير؟

هما ملكان شديدان أسودان أزرقان أي أن شكلهما فيه نكارة، يأتيان الميت فيسألانه عن ربه،ودينه،ونبيه،فتحصل بهما فتنة القبر.

١رواه مسلم ،بابعرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ،١٦٢/٨ . الريطة : الملاءة تكون من قطعة واحدة.

٢ رواه الترمذي ، بابما جاء في عذاب القبر،برقم(١٠٧١) ، ٣٨٣/٣ ،قال الترمذي حديث حسن غريب وقال الشيخ الألباني: حسن .

*عن عمر بن الخطاب ﷺقال : قال لي رسول الله ﷺ:(كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين ، ورأيت منكرا ونكيرا ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، وما منكر ونكير ؟ قال : فتانا القبر ، يبحثان الأرض بأنيابهما ، ويطآن في أشعارهما ، أصواتهم كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، معهما مرزبة[1] لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها ، هي أيسر عليهما من عصاتي هذه، قال: قلت: يا رسول الله ، وأنا على حالي هذه ؟ قال :نعم، قلت : إذن أكفيكهما)[2].

جاء في إحدى شروح الطحاوية:"منكر ونكير: مَلَكَانْ يأتيان الميت ويَسْأَلَانِهِ عن ربه وعن دينه ونبيه.وقد جاء في ذكر المِلَكَينْ عِدَّةْ أحاديث وهي حسنة أو صحيحة في التنصيص على اسميهما أنهما منكر ونكير، أو الأول المنكَر والثاني النكير.

وقد قال بعض العلماء إنَّ الأول اسمه المنْكِرْ -على اسم الفاعل- والثاني النَّكِيْرْ، وهذا ليس بصحيح بل هو مُنْكَرْ ونكير يعني أيضاً مَنْكُورْ، مُنْكَرْ في شكله وهيئته، ونكير أيضاً في شكله وهيئته؛ وذلك لأنهما من صِفَتِهِمَا كما جاء في الحديث أنهما شديدان أزرقان يأتيان في صورة لم يألفها الميت.الإيمان بسؤال منكر ونكير جاءت بها الأدلة في ذكر هذا السؤال وفتنة القبر بأنواعٍ من الذكر في الأخبار فالإيمان بذلك فرض وواجب على ما جاء في السنة"[3].

١ المرزبة : المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة

٢ البعث لابن أبي داود السجستاني رقم الحديث(٧) ،٢١/١ .

٣ شرح العقيدة الطحاوية/للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ٧٢١/٢ .

قال ابن شاهين[1]:"وأشهد أن منكرا ونكيرا حق وهما عبدان من ملائكته ويأتون إلى عباده في قبورهم فيسألونهم"[2].

ثانيا: عذاب القبر هل يقع على الروح أم على البدن؟ أم على كليهما؟

الراجح أن عذاب القبر أونعيمه يكون على الروح والبدن جميعا، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى:"وليس السؤال في القبر للروح وحدها كما قال ابن حزم وغيره وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح ! والأحاديث الصحيحة ترد القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به".[3]

ثالثا: هل فتنة القبر (سؤال الملكين) خاص بهذه الأمة أم لا؟

اختلف العلماء في ذلك، هل هو خاص بهذه الأمة أم يشمل جميع الأمم،على ثلاثة أقوال: أحدها:الخصوصية ، والثاني: الشمولية ، والثالث:التوقف ، كما ذكر ذلك ابن أبي العز رحمه الله تعالى، حيث قال:" وللناس في سؤال منكر ونكير : هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة

١ ابن شاهين: هو الشيخ الصدوق، الحافظ العالم، شيخ العراق، وصاحب التفسير الكبير، أبو حفص، عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي الواعظ (٢٩٧هـ – ٣٨٥هـ):قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: ثقة مأمون، صنف ما لم يصنفه أحد. وقال الأمير أبو نصر: هو الثقة الأمين، سمع بالشام، والعراق، وفارس، والبصرة، وجمع الأبواب والتراجم، وصنف كثيرا. وصنف ٣٠٠ مصنف، أحدها " التفسير " ألف جزء، و " المسند " ألف وثلاث مئة جزء، و " التاريخ " مئة وخمسين جزءا، و " الزهد " مئة جزء.وعاش ٨٩ سنة. أنظر سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٦ .

٢ شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن/لأبي حفص عمر بن شاهين ص٣٢٠ .

٣شرح العقيدة الطحاوية/لابن أبي العز الحنفي ٤٥١/١ .

أقوال : الثالث التوقف وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر فقال : وفي (حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺقال:(إن هذه الأمة تبتلى في قبورها) منهم من يرويه؟ تسأل، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، ويظهر عدم الاختصاص والله أعلم "[1].

والظاهر أن عذاب القبر ليس خاصا بهذه الأمة بل تشترك معها الأمم الأخرى فيه،ويشهد لذلك ما رواه أبو أيوب الأنصاري ﷺ قال:خرج رسول الله ﷺ بعد ما غربت الشمس فسمع صوتا فقال:(يهود تعذب في قبورها)[2].

عن عائشةﷺ زوج النبي ﷺأن يهودية جاءت تسألها، فقالت: لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة ﷺ رسول الله ﷺ :أيعذب الناس في قبورهم؟ ، فقال رسول الله ﷺ:(عائذا بالله من ذلك).[3]

رابعا: هل عذاب القبر دائم إلى قيام الساعة، أو أنه مدة محددة ثم ينقطع ؟

هو عند أهل السنة والجماعة على نوعين منه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع، قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟ جوابه أنه نوعان:منه ما هو دائم كما قال تعالى:﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(غافر ٤٦)، وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر :(ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة) رواه الإمام أحمد في بعض طرقه. والنوع

١ المرجع السابق ص٤٥٣.

٢ رواه البخاري ، بابالتعوذ من عذاب القبر ١٢٣/٢ ، ورواه مسلم باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ١٦٠/٨ .

٣ رواه البخاري، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ٤٥/٢ .

الثاني : أنه مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما تقدم ذكره في الممحصات العشرة "[1].

خامسا: ما هو مصير الأرواح بعد موت الأجساد؟ وأين هو مستقرها ؟

الأرواح باقية لا تعدم بموت الأجساد،وإنما معنى موتها هو مفارقتها للجسد، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب"[2].

بل قد عدّ العلماء أن القائلين بفنائها من الزنادقة.

جاء في أصول السنة:"وفتنة القبر وعذابه . عند أهل السنة والإيمان بالله . قوي ليس عندهم فيه شك، ومن كذب بذلك فهو من أهل التكذيب بالله، وإنما يكذب به الزنادقة الذين لا يؤمنون بالبعث، وقد طلع من كلامهم طرف رأيته دب في الناس، خفت عليهم من الضلال في دينهم وإيمانهم، فاحذروهم فهم الذين قالوا: إن الأرواح تموت بموت الأجساد، إرادة التكذيب بعذاب القبر وبما بعده"[3].

أما بالنسبة لمستقر الأرواح بعد فناء الأجساد ففيها أقوال عدة،رجّح منها ابن القيم رحمه الله تعالى:أنّ مستقر الأرواح في البرزخ يتفاوت بتفاوت أحوالها، قال رحمه الله تعالى:(الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ...ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في

---

١ شرح العقيدة الطحاوية/لابن أبي العز الحنفي ص ٤٥٣ .

٢ الروح ص ٣٤ .

٣ ابن أبي زمنين ص ١٥٧ .

الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه ...ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة ... ومنهم من يكون محبوسا في قبره ...ومنهم من يكون مقره باب الجنة ...ومنهم من يكون محبوسا في الأرض ... ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزاني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض)[1].

سادسا: هل يشمل عذاب القبر ونعيمه الأطفال وغير المكلفين، أم لا ؟

قال تعالى:﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(الكهف،٤٩)،فالله ﷻ لا يعاقب أحدا بذنب لم يرتكبه،وإذا ورد في السنة الدعاء لطفل أن ينجيه الله من عذاب القبر،فالجواب عليه أنه ثمة فرق بين العذاب والعقاب،فالعقاب يكون مقابل ترك طاعة أو ارتكاب معصية وهذا لم يحصل منهم قطعا أو قصدا،أما العذاب فيراد به جملة ما يجده المقبور من الآلام إذ المكان مهيأ لذلك فهذا الذي دعي اللهﷻأن يرفعه عنهم[2].

قال سعيد بن المسيب:صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، سمعته يقول: "اللهم أعذه من عذاب القبر"[3].

---

[1] الروح لابن القيم الجوزية ص١١٥

٢ ينظر: كتاب الروح لابن قيم الجوزية ج١ ص٨٧، شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ ٧٢٠/٢ .

٣ رواه ابن أبي الزمنين في أصول السنة رقم(٨٣) ص ١٥٥، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ رقم(٥٣٦)، ٢٢٨/١ .

سابعا: في أنواع عذاب القبر:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنواعا لعذاب القبر أجارنا الله منه[1]، ومن هذه الأنواع:

١.الضرب إما بمطراق من حديد أو غيره.

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺقال:(العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة.– قال النبي ﷺفيراهما جميعا – وأما الكافر، أو المنافق — فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين).[2]

٢. تسليط الحيات والعقارب.

عن عائشة ﷺأن رسول الله ﷺقال:(يرسل على الكافر حيتان واحدة من قبل رأسه وأخرى من قبل رجليه تقرضانه قرضا كلما فرغتا عادتا إلى يوم القيامة).[3]

١ أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور لابن الجوزي ٩٤/١ .

٢ رواه البخاري، باب الميت يسمع خفق النعال ،١١٣/٢ .

٣ رواه الإمام أحمد في مسنده برقم(٢٥٢٣٠) ، ١٥٢/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن .

٣. رض رأس الميت بحجر وشق شدقه ونحو ذلك

عن سمرة بن جندب[١] ﷺ قال: قال النبي ﷺ :(رأيت رجلين أتياني قالا الذي رأيته يشق شدقه[٢] فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة).[٣]

٤. تضييق القبر على الميت حتى تختلف فيه أضلاعه.

جاء في حديث أبي هريرة السابق:(...فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك))[٤].

---

١ سمرة بن جندب: هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري: صحابي، من الشجعان القادة. نشأ في المدينة. ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. ولما مات زياد أقره معاوية عاما أو نحوه، ثم عزله. وكان شديداً على الحرورية. وله رواية عن النبي ﷺ وكتب (رسالة) إلى بنيه، قال ابن سيرين: فيها علم كثير. مات بالكوفة. وقيل بالبصرة سنة ٦٠ هـ . الأعلام للزركلي ١٣٩/٣ .

٢ شدقه: أي فمه .

٣ رواه البخاري ، باب قول الله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾وما ينهى عن الكذب٣٠/٨

٤ سبق تخريجه في نفس المبحث ص ١٦٢ .

المبحث الثاني :

مفهوم عذاب القبر ونعيمه عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: عذاب القبر ونعيمه عند المخالفين لأهل السنة .

هناك فرق خالفت أهل السنة والجماعة في مسألة عذاب القبر ونعيمه ، وهذه الفرق هي: بعض الخوارج ، وبعض المعتزلة ، والجهمية .

والمقصود بمخالفتهم هنا لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة:إما أنها بالإنكار الكامل لعذاب القبر ونعيمه، وأمّا بإثباته على وجه مخالف لما ورد في الشرع، كإثباته على الروح دون البدن، أو على البدن دون الروح، أو إثباته في وقت غير الوقت المعروف . الذي هو من بعد الموت وحتى قيام الساعة.

قال الأشعري: "واختلفوا في عذاب القبر فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم[1] من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها، فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهى في القبور ".[2]

١لعل الأشعري يقصد بمن يثبت العذاب على الروح دون البدن طائفتين:

الطائفة الأولى: وذلك لأنهم ينكرون معاد الأبدان أصلا.

والطائفة الثانية: طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم،وهو اختيار ابن حزم وغيره، يقولون: في البرزخ يكون العذاب على الروح فقط، أمّا في القيامة فيكون على الروح والبدن معا.

قال ابن القيم:(وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث: قول من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان، لكن يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور. لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا. وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح) الروح ص ٥١ .

٢مقالات الإسلاميين ص٤٣٠ .

وقال في موضع آخر: "واختلفوا في منكر ونكير هل يأتيان الإنسان في قبره: فأنكر ذلك كثير من أهل الأهواء وثبته أهل الاستقامة ".[1]

وجاء في أحد شروح الطحاوية:" وأصل هذه المسألة في إيرادها في العقائد لأجل أنَّ طائفةً من المعتزلة والجهمية والفلاسفة وأهل الكلام يُنْكِرُونَ عذاب القبر و يُنْكِرُونَ السؤال والفتنة، وذلك لعدم إيمانهم بِدِلَالَةِ السنة والحديث على ذلك، ويتأولون ما جاء في القرآن مما يَدُلُّ على عذاب القبر..." وقال أيضا:"وطوائف من المعتزلة وأهل الكلام والفلاسفة يُنكِرُونَ فتنة القبر، ويقولون: إنَّ هذه ليست بصحيحة، وينفون دِلَالَة الدليل عليها، وربما تَأَوَّلَهَا بعضهم، وربما رَدَّهَا بعضهم؛ لأنها أخبار آحاد".[2]

هذه النصوص إنّما سيقت للتدليل على حصول المخالفة في هذه المسألة بوجه عام، وفيما يأتي تخص كل من فرقتي الخوارج والمعتزلة بمبحث مستقل يبين قولها في ذلك، وشبهها التي استندت إليها، مع الرد على هذه الشبه .

وأمّا بالنسبة للجهمية فإنّ شبههم في مسألة عذاب القبر عقلية، وهذه موضعها في غير هذا البحث ؛ لذلك فإنه سيكتقى بهذه الإشارة إلى مخالفتهم.

١مقالات الإسلاميين ص٤٧٣ .

٢ للشيخ صالح آل الشيخ ٧١٤/٢ .

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شبه الخوارج في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: المسيح الدّجال عند المعتزلة وشبههم فيه.

ذكر سابقا أن بعضا من الخوارج خالفوا أهل السنة والجماعة في مسألة عذاب القبر ونعيمه. و كانت تلك المخالفة منهم بالإنكار المطلق لعذاب القبر أو نعيمه.

قال الإمام الأشعري رحمه الله تعالى:"والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى أن أحدا يعذب في قبره"[١].

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى:"عذاب القبر، قال أبو محمد[٢]: ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج"[٣].

وعن ابن عباس ﷺ:قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺيقول:(أيّها الناس إن الرجم حق، فلا تخدعن عنه، فإن رسول الله قد رجم، وكذلك أبو بكر، ورجمنا بعدهما، وسيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم، وبالدجال، وبطلوع الشمس من مغربها، وبعذاب القبر، وبالشفاعة، وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا)قال أبو عمر[٤]: الخوارج والمعتزلة يكذبون بهذا كله عصمنا الله من الضلال برحمته[٥].

وذكر هنا أن المخالفين هم بعض الخوارج؛ لأن بعض الإباضية من الخوارج أثبتوا عذاب القبر، بل حاولوا إنكار الصلة بينهم وبين الخوارج من خلال إثبات عذاب القبر ونعيمه.

جاء في كتاب نظرات حول المذهب الإباضي:"ويبدو أن كتّاب المقالات نظروا إلى جميع ما ينسب إلى الخوارج بحق أو بباطل فنسبوه إلى الإباضية باعتبار زعمهم أنهم منهم دون تروٍّ أو

١مقالات الإسلاميين ص١٢٧ .

٢ أبو محمد : هو ابن حزم .

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل/لابن حزم ٥٥/٤ .

٤أبو عمر: هو ابن عبد البرّ، سبقت ترجمته ص٩١ .

٥ الاستذكار لابن عبد البر ٤٨٠/٧ .

تمحيص. ومن الأمثلة: ١.ينكرون الإجماع، ٢.ينكرون الرجم، ٣.ينكرون عذاب القبر بينما الإباضية لا ينكرون الإجماع بل يرونه الأصل الثالث ... ويثبتون عذاب القبر وسؤال الملكين استنادا إلى أحاديث كثيرة تثبت في الموضوع".[١]

وقد بيّن السالمي[٢] . وهو أحد علماء الإباضية . هذا الانقسام الحاصل بينهم في مسألة عذاب القبر، فقال:"اعلم أن العلماء اختلفوا في ثبوت عذاب القبر فذهب جابر بن زيد[٣] ﷺ والجمهور إلى ثبوته، لما ورد من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، حتى قال في المعالم أنها متواترة معنى، فمن الآيات قوله تعالى:﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦] ، ولقد تكلف ابن أبي نبهان[٤] وهو ممن ينكر عذاب القبر تأويل هذه الآية.... "[٥].

---

١ مريم بنت سعيد القتبية ص٨ .

٢ السالمي: هو عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، الإباضي، الضرير (أبو محمد): عالم مشارك في أنواع من العلوم.ولد بعمان، وتوفي بها سنة ١٢٦٩هـ . من مؤلفاته: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، بهجة الأنوار في شرح أنوار العقول في التوحيد، ألفية طلعة الشمس في أصول الفقه، تحفة الأعيان في تاريخ عمان ، وحاشية على الجامع الصحيح في الحديث. معجم المؤلفين ٥١/٦ .

٣ جابر بن زيد: هو جابر بن زيد الازدي البصري، أبو الشعثاء(٢١ – ٩٣ هـ): تابعي فقيه، من الأئمة. من أهل البصرة. أصله من عمان. صحب ابن عباس. وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الاباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه. نفاه الحجاج إلى عمان. وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: لما مات جابر ابن زيد قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق . الأعلام للزركلي ١٠٤/٢.

٤ بن أبي نبهان: هو ناصر بن أبي نبهان(١١٩٢ – ١٢٦٣ هـ): داهية، من شيوخ العلم في الديار العمانية. اشتهر بعمل (السحر) وخافه سلاطين بلاده وأمراؤها. له أخبار كثيرة مع السلطان سعيد بن سلطان ابن الإمام وغيره في أيامه. ولد في العليا وتوفي في زنجبار. ويظهر أن له (كتابا) دون فيه بعض حوادث عصره في عمان، نقل عنه السالمي في عدة مواضع من الجزء الثاني من تحفة الأعيان.الأعلام للزركلي ٣٥٠/٧ .

٥ مشارق أنوار العقول ١٠٥/٢ .

شبههم:

أورد السالمي الشبهات التي استند عليها المنكرون منهم[1]، وهي في:

١. قوله تعالى:﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ (يس٥٢) .

ووجه استدلالهم بها:قالو لو كانوا معذبين في القبر ما سموه مرقدا.

٢.وقوله تعالى:﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ (الدخان ٥٦)،

ووجه استدلالهم بها: قالوا لو عذبوا في القبر لزم إحياؤهم فيه ثم إماتتهم بعد التعذيب.

٣. وقوله تعالى:﴿يُقْسِمُالْمُجْرِمُونَمَالَبِثُواغَيْرَسَاعَةٍ﴾(الروم ٥٥) .

ووجه استدلالهم بها: قالوا لو كانوا معذبين لاستطالوا المدة ولما أقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة.

مناقشتهم:

١. أمّا بالنسبة للآية الأولى:قوله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(يس٥٢).

فيجاب عليهم بأن تسمية القبر بالمرقد لا يفهم منه نفي عذاب القبر ونعيمه ، وإنّما سمي القبر مرقدا باعتبار أن الكفار عندما يبعثون ويعاينون أهوال القيامة يشعرون أن ما كانوا فيه كالرقاد والراحة بالنسبة لما يستقبلونه ، وكذلك فقد ذكر أهل التفسير أنّ تسمية القبر بالمرقد: هو باعتبارالنومة التي ينامها أهل القبور بين النفختين، وهذان المعنيان لا ينفيان كون أهل القبور كانوا في عذاب أو نعيم.

---

١ ينظر مشارق أنوار العقول ١٠٧/٢ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:(وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. وقال أُبَيّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.قال قتادة: وذلك بين النفختين"[1].

٢. وأمّا الآية الثانية قوله تعالى:﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾(الدخان ٥٦)، فالرد عليهم:أن أوّل خطأ وقعوا فيه هنا هو استدلالهم بالآية في غير سياقها، فهي لم تسق في أهل القبور، وإنّما سيقت في أهل الجنة ودليل ذلك:الظرف (فيها) الذي يعود على الجنة، فالآية تتحدث عن أهل الجنة، وكونهم في نعيم دائم لا ينقطع عنهم بموت أو غيره، فهم لن يذوقوا في الجنة موتا اكتفاء بالموتة التي قد مرّت عليهم في السابق قبل دخولهم الجنة.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآية:" لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا"[2].

وأمّا حجتهم: بأن أهل القبور لو عذبوا في القبر لزم إحياؤهم فيه ثم إماتتهم بعد التعذيب، وهذا يقتضي حصول موتة غير الموتة الأولى لأهل الجنة، والآية نفت ذلك .

فالجواب عنها أن يقال:من أين علمتم أن أهل القبور لا يمكن أن يذوقوا ما وعدوا به في قبورهم إلا بإحيائهم الحياة التي تعرفونها وتعهدونها في الدنيا؟ إنّ هذا لظنّ خاطئ منكم، إذ لم يرد في الشرع ما يدل عليه.

والصواب أن لأهل القبور أحوالًا برزخية تخصّهم، تختلف كل الاختلاف عن أحوالالدنيا. فالميت إذا وضع في قبره وفارقه أهله عادت له روحه قال ابن حجر رحمه الله تعالى في ذكر فوائد أحاديث باب عذاب القبر:" وفيه أن الميت يحيا في قبره للمسألة خلافا لمن رده"[3]

١تفسير القرآن العظيم ٥٨١/٦ .

٢ جامع البيان ٥٣/٢٢ .

٣ فتح الباري ٢٤٠/٣ .

ويبتدأ معاينة أحكام حياته البرزخية، ومع ذلك فلو نبش عنه القبر لما وجد حيّا؛ لأنه إنّما يحيى حياة خاصّة مختلفة عمّا كان معهودا في الدنيا.

فأرواحهم تتصل بأبدانهم على وجه يذوقون به عذاب القبر أو نعيمه وفقا لأحوال الحياة البرزخية. وخطأهم هنا إنّما صدر من قياسهم لأحوال الآخرة على أحوال الدنيا مع الفارق الكبير بين الدارين، فإن الإنسان بمجرد موته ينتقل إلى الحياة البرزخية التي تختلف تماما عن أحوال الدنيا، وذلك يظهر جليا في حال الأنبياء والشهداء الذين نص الشرع بأنهم أحياء رغم موتهم أمامنا،وليس ذلك إلا لأنها حياة غير المعهودة لدينا، قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"الأنبياء أحياء عند الله وأن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا وقد ثبت ذلك للشهداء"[1].

إذن: فتعلق هؤلاء المنكرين بتعداد مرات الموت لإنكار عذاب القبر هو تعلق خاطئ، لا يسوّغ لهم إنكار هذه المسألة المقطوع بثبوتها شرعا.

٣.وأمّا الآية الثالثة قوله تعالى:﴿يُقْسِمُالْمُجْرِمُونَمَالَبِثُواغَيْرَسَاعَةٍ﴾(الروم ٥٥)
فالجواب عليهم:

ليس المقصود بالآية نفي عذاب القبر بدليل النصوص الكثيرة الواردة في إثبات عذاب القبر[2] ، وإنّما المقصود بالآية: أنّ الحياة الدنيا التي عاشوها أنّما هي كساعة زمان لزوالها وسرعة انقضائها ، أو أنّهم يقصدون المدة التي يرقدون فيها في قبورهم بين النفختين.

وقد بيّن الإمام القرطبي أنّ هذه الآية الكريمة لا تتضمن نفيًا لعذاب القبر، وردّ على من احتج بها على ذلك، فقال رحمه الله تعالى:" قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) أي يحلف

١المرجع السابق٦/٤٤٤ .

٢انظر ص ١٥٧ من نفس البحث .

المشركون. (ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) ليس في هذا رد لعذاب القبر، إذ كان قد صح عن النبي ﷺمن غير طريق أنه تعوذ منه، وأمر أن يتعوذ منه، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سمع النبي ﷺأم حبيبة ﵂ وهي تقول: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها النبي ﷺ:(لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة،ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر)[1] في أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما. وقد ذكرنا منها جملة في كتاب (التذكرة). وفي معنى:" ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ" قولان: أحدهما- أنه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة، فعلى هذا قالوا: ما لبثنا غير ساعة. والقول الآخر:أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها، كما قال الله تعالى:" كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها" [النازعات: ٤٦] ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾، وإن كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون. قال الله ﷻ: و(كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) أي كانوا يكذبون في الدنيا"[2].

[1] لعله أراد الحديث الوارد عند مسلم، ونصّه: عن عبد الله قال قالت أم حبيبة زوج النبى ﷺ « اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله ﷺ وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية. قال فقال النبى ﷺ :« قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيرا وأفضل ». باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما جاء به القدر ٨/٥٥.

٢ الجامع لأحكام القرآن ١٤/٤٧ .

المطلب الثاني: عذاب القبر ونعيمه عند المعتزلة وشبههم فيه.

انقسمت المعتزلة في مسألة عذاب القبر أو نعيمه إلى قسمين،قسم أنكره،والآخر أثبته .

وقد حكى القاضي عبد الجبار ذلك الانقسام الواقع بينهم، فقال:"إن قيل: إن مذهبكم أدّاكم إلى إنكار عذاب القبر وغيره،مما قد اطبقت عليه الأمة،وظهرت فيه الآثار،قيل له:إن هذا الأمر إنّما أنكره أولا ضرار بن عمرو،ولما كان من أصحاب واصل،فظنوا أن ذلك مما أنكرته المعتزلة،وليس الأمر كذلك،بل المعتزلة رجلان:رجل يجوّز ذلك كما وردت به الأخبار،والثاني يقطع على ذلك،وأكثر أصحابنا يقطعون على ذلك لظهور الأخبار".[1]

وقد صرّح في موضع آخر أنّ إنكار عذاب القبر في كل الأحوال كان مذهبا لمشايخهم، فهم قد أثبتوه في وقت مخصوص[2]، فقال:"أنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال، لأن الإخبار وارد بذلك في الجملة، فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه ولذلك لا يوقت في ذلك التعذيب وقتا، وإن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقاربة للدفن، وإن كنّا لا نعين ذلك".[3]

---

١ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة/للقاضي عبد الجبار ص٢٠٢ .

٢ لعله يقصد به إثباتهم لعذاب القبر فيما بين النفختين فقط ، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:(والذى أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضى القضاة أن الاغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين).١٦٧/٦ ، وسيرد ذكر ذلك أيضا عن ابن القيم في ص ١٩٨ ، وأمّا قول القاضي عبد الجبار: أن الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقاربة للدفن فهذا ظاهر أنّه ترجيح منه وليس قول مشايخه والله تعالى أعلم.

٣ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة/للقاضي عبد الجبار ص٢٠٢ .

وقد حكى عدد من العلماء هذا الإنكار عن المعتزلة، ومن ذلك:

قول الأشعري رحمه الله تعالى:"أما بعد: فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم... وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين".[1]

وقال في موضع آخر:"وأنكرت المعتزلة عذاب القبر".[2]

وفي المواقف:" إحياء الموتى في قبورهم،ومسألة منكر ونكير لهم وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا،واتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف،والأكثر بعده، وأنكره ضرار بن عمرو وبشر المرّيسي[3] وأكثر المتأخرين من المعتزلة[4]".[5]

---

١ الإبانة عن أصول الديانة/للأشعري ١٤/١ .

٢ نفسه ٢٤٧/١ .

٣ بشر المريسي: هو المتكلم المناظر البارع، أبو عبد الرحمن، بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب ﷺ. كان بشر من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة. ونظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه. وللمريسي تصانيف جمة منها:كتابا في التوحيد، وكتاب " الارجاء "، وكتاب " الرد على الخوارج "، وكتاب " الاستطاعة "، و " الرد على الرافضة في الامامة "، وكتاب " كفر المشبهة "، وكتاب " المعرفة "، وكتاب " الوعيد "، وأشياء غير ذلك في نحلته. ومات في آخر سنة ٢١٨هـ، وقد قارب ٨٠. أنظر سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٠

٤ لم أستطع تحديد مراد الإيجي في نسبة إنكار عذاب القبر لأكثر المتأخرين من المعتزلة، وقد رجعت لأكثر من شرح لكلامه لتحديد المراد بهؤلاء المتأخرين من المعتزلة فما وجدت الشرّاح قد ذكروا ذلك، ومن الشروح التي رجعت إليها: شرح العقائد العضدية لجلال الدين الداوني، وحاشية الكلنبوي على شرح الجلال الداوني على العقائد العضدية ، والتعليقات على شرح العقائد العضدية للأفغاني ومحمد عبدو، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. فكل هؤلاء في شروحهم نقلوا عبارة (أكثر المتأخرين من المعتزلة) كما هي دون بيان المراد بهم.

٥ المواقف للإيجي ٥١٦/٣ .

ثم إن هؤلاء المنكرين منهم لعذاب القبر ونعيمه كانوا على مذاهب مختلفة:

فمنهم من ذهب إلى الإنكار المطلق على كل حال، وهذا يمثله ضرار بن عمرو.

ومنهم من ذهب إلى إنكار أن يكون عذاب القبر إلا بين النفختين . نفخة الصعق ونفخة البعث . فقط ، وهذا مذهب بعض مشايخهم من أمثال أبي الهذيل[1] والمريسي.

ومنهم من ذهب إلى إنكار وقوع عذاب القبر على الأرواح ، فالميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح، وهذا القول قال به منهم: الصالحي[2]، وصالح[3].

. وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تعدد أقوالهم في ذلك، فقال:"وأما أقوال أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل والمريسى: من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت، وأثبت الجبائي[4] وابنه[5]

---

١ أبو الهذيل: هو محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف(١٣٥ - ٢٣٥ هـ): من أئمة المعتزلة. ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام. قال المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الانام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر. كف بصره في آخر عمره، وتوفي بسامرا. له كتب كثيرة، منها كتاب سماه (ميلاس) على اسم مجوسي أسلم على يده. وللمعاصر على مصطفى الغر أبي (أبو الهذيل العلاف - ط) في سيرته وأقواله. الأعلام للزركلي١٣١/٧ .

٢ الصالحي: أبو الحسين الصالحي المتكلم،محمد بن مسلم أبو الحسين الصالحي من أهل البصرة أحد المتكلمين على مذهب الإرجاء، ورد بغداد حاجاً واجتمع إليه المتكلمون وأخذوا عنه، وله من المصنفات كتاب الإدراك الأول وكتاب الإدراك الثاني، ذكره محمد بن إسحق النديم في كتاب الفهرست. أنظر الوافي بالوفيات (١٩/٥) . وذكره عبد الجبار الهمذاني من الطبقة السابعة،قال:(الحسين محمد بن مسلم الصالحي، وكان عظيم القدر في علم الكلام وكان يميل إلى الإرجاء وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط. طبقات المعتزلة ص٧٢ .

٣ صالح: ذكره عبد الجبار الهمذاني في الطبقة السابعة، قال:(صالح قبة... وله كتب كثيرة، وخالف الجمهور في أمور منها كون المتولدات فعل الله ابتداء، وكون الادراك معنى).طبقات المعتزلة ص٧٣ .وقد ذكره البغدادي أنه صاحب فرقة من فرق القدرية المعتزلة عن الحق ، أنظر الفرق بين الفرق ١٨/١.

٤ الجبائي: هو أبو عليوقد سبقت ترجمته ص ١٢٥ .

٥ وابنه: هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي(٢٤٧ - ٣٢١ هـ): من أبناء أبان مولى عثمان: عالم بالكلام، من كبار المعتزلة. له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت " البهشمية " نسبة إلى كنيته " أبي هاشم " وله مصنفات في " الشامل" في الفقه، و " تذكرة العالم " و " العدة " في أصول الفقه . الأعلام للزركلي ٧/٤ .

والبلخي[1] عذاب القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفسّاق على أصولهم. وقال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل والنكير تقريع الملكين له. وقال الصالحي وصالح فيه: عذاب القبر يجرى على المؤمن من غير رد الأرواح إلى الأجساد والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح وهذا قول جماعة من الكرامية[2]. وقال بعض المعتزلة إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها. قالوا: وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب. وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسا مثل ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل[3] وهو قول المريسي فهذه أقوال أهل الخزية والضلال". [4]

. أما بالنسبة لشبههم التي استندوا عليها في نفي عذاب القبر أو نعيمه، فستذكر هنا على مسألتين:الأولى: فيما يتعلق بالشبهات في النصوص القرآنية.

والثانية: فيما يتعلق بالشبهات في نصوص السنة.

---

١ البلخي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، من بني كعب، البلخي الخراساني، أبو القاسم(٢٧٣ - ٣١٩ هـ): أحد أئمة المعتزلة. كان رأس طائفة منهم تسمى " الكعبية " وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها. وهو من أهل بلخ، أقام ببغداد مدة طويلة، وتوفي ببلخ. له كتب، منها " التفسير " و " تأييد مقالة أبي الهذيل " و " قبول الأخبار ومعرفة الرجال" و" السنة" و " مقالات الإسلاميين" جزء منه بعنوان " باب ذكر المعتزلة " و " أدب الجدل " و " تحفة الوزراء" و " و قال ابن حجر، في لسان الميزان: أثنى عليه أبو حيان التوحيدي. معجم المؤلفين ٦٥/٤ .

٢الكرامية: هم أصحاب محمد بن كرام، وقد انقرضوا، وهم الذين يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب.وقد ذكر عنهم شيخ الإسلام أنهم يقولون:المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهراً لا باطناً ويدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً. أنظر فرق معاصرة لغالب عواجي (١٠٨٧/٣-١٠٨٩).

٣ يحيى بن كامل: هو يحيى بن كامل بن طليحة الخدري (أبو علي) كان من أصحاب بشر المريسي، ثم انتقل إلى مذهب الإباضية وتوفي في حدود سنة ٢٤٠ هـ. من آثاره:كتاب التوحيد، الجليلة في المسائل التي جرت بينه وبين جعفر بن حرب، وكتاب المخلوق.معجم المؤلفين ٢٢٠/١٣ .

٤ الروح لابن القيم ص٥٨ .

المسألة الأولى:شبه المعتزلة النقلية من القرآن في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

تمسك المنكرون بعدد من آيات الكتاب الكريم اشتبهت عليهم، فظنوا أنّها تدل على نفي عذاب القبر، ومن تلك الآيات:

١. قوله تعالى:﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(الدخان٥٦)

ووجه استدلالهم بها:

أنّ الآية أثبتت موتة واحدة لا يذوقون موتة غيرها،ولو قلنا بعذاب القبر ،لدل ذلك على أنهم يحيون في قبورهم ثم يموتون موتة أخرى وهذا مخالف للآية،قال صاحب المواقف: "اِحتَجَّ المنكر بقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ولو أحيوا في القبر لذاقوا موتتين"[١]

٢.قوله تعالى:﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾(غافر/١١)

ووجه استدلالهم بها:قالوا:إن الآية نص في أن المرء سيذوق الموت مرتين،والحياة مرتين،فلو كان ثمة عذاب في القبر فهذا معناه حياة ثالثة ،وهذا مخالف لنص الآية.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"اِحتَجَّبقوله تعالى:﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ الآية قال: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاثا وهو خلاف النص".[٢]

---

١ المواقف للإيجي ٥١٧/٣ .

٢ فتح الباري ٢٤٠/٣ .

٣،٤. قوله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر/٢٢)

وقوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾(النمل٨٠/الروم٥٢)

ووجه استدلالهم بها:لا يمكن القول بعذاب القبر لأن الآية أثبتت أن الموتى لا يسمعون، وعليه فإنهم لا يشعرون ولا يحسون بشيء ، فكيف يعذبون أو ينعمون وهذه حالهم.قال صاحب معارج القبول في معرض حكاية شبهتهم:" إن الغرض من سياقها ـ أي آية فاطر(٢٢) ـ تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع، ولو كان الميت حيا في قبره أو حاسا لم يستقم التشبيه".[1]

مناقشتهم:

١. أما بالنسبة للآية الأولقوله تعالى:﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(الدخان٥٦) فليس لهم فيها حجة على إنكار عذاب القبر، وقد سبق في مبحث الخوارج الرد على من احتج بها على إنكاره، فليرجع إليها هناك[2].

٢. وأمّا بالنسبة للآية الثانية قوله تعالى:﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾(غافر/١١)

فيقال لهم: إن سياق الآيات ليس في عذاب القبر أصلا، وإنما في الإخبار عن حال الكفار وهم يتلظون بعذاب النار يوم القيامة ـ والعياذ بالله منها ـ فيسألون ربهم هل لهم سبيل للخروج

١معارج القبول ٧١٣/٢ .

٢انظر: ص ١٧٦ .

منها، والإعادة للحياة الدنيا فهذا غير مستبعد عن قدرته فإنه قد أحياهم وأماتهم مرتين من ذي قبل.

والمقصود بالموتتين والحياتين الوارد ذكرهما في الآية:أن الأولى: وهم في أصلاب آبائهم أمواتا، فيحييهم الله ﷻ بنفخ الروح فيهم في هذه الحياة الدنيا، فهاتان حياة وموت، والثانية: الموتة المعروفة عند فراق الروح للجسد في نهاية حياة الإنسان،ثم الإحياء للبعث يوم القيامة، وهاتان حياة وموت آخران.

وهذا التفسير للحياتين والموتتين هو الذي صوّبه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، وضعف الرأي الآخر الذي فيه أنهم أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم ثم أميتوا ،ثم أحيوا ليوم القيامة[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:"{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ } قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك: كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى:﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾(البقرة-٢٨)، وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة"[2].

فعلم أنهم في قبورهم أموات،ولكن هذا لا يعني أنهم لا يعذبون في قبورهم ،لأنه مع كونهم أمواتًا إلا أن أرواحهم تتصل بأبدانهم على وجه يذوقون به عذاب القبر أو نعيمه وفقًا لأحوال الحياة البرزخية والتي تغاير أحوال الحياة الدنيا المعهودة إلينا.

---

١ ينظر تفسير ابن كثير ١٣٣/٧ .

٢ معالم التنزيل/للبغوي ١٤٢/٧ .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى ردا على من احتج بهذه الآية:" واحتَجَّ بقوله تعالى:﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ الآية قال: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاثا وهو خلاف النص. والجواب: بأن يراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة فهي إعادة عارضة كما حي خلق لكثير من الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى"[1].

وأخيرًا يقال: كونهم في قبورهم أمواتًا لا ينافي كونهم يعذبون أو ينعمون فيها بما يوافق أحوال الحياة البرزخية ،وكونهم يعذبون أو ينعمون في قبورهم لا يلزم كونهم أحياء الحياة المعهودة لدينا،والله تعالى أعلم.

٣،٤. وأمّا بالنسبة للآيتين الأخيرتين التي استدلوا بهما:قوله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر/٢٢)

وقوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾(النمل٨٠/الروم٥٢)

فالجواب عليها:

أنكر هؤلاء القوم عذاب القبر بناءًا على أن الآية نفت أن يكون الموتى يسمعون.

---

١ فتح الباري ٢٤٠/٣ .

فيقال لهم:أولًا:الآية لم تنف السماع عن الموتى،إنّما نفت:

١. قدرة النبيﷺ على إسماعهم،إلا أن يشاء الله، فلو شاء سبحانه أن يجعله يُسمعهم لفعل، كما هو الحال في حديث قليب بدر[1]، فعن نافع أن ابن عمرؓأخبره قال:(اطلع النبي ﷺعلى أهل القليب فقال:وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقيل له:تدعو أمواتا؟ فقال:ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون)[2]، فهنا أسمعهم النبيﷺ بقدرة الله ﷻ.

٢.أو أن الآية نفت عن الموتى نوعًا من السماع، ألا وهو سماع الإجابة .

جاء في معارج القبول:"وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين:

الأول: أن قوله:﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] نفي لاستطاعة الرسول ﷺأن يسمعهم، وليس ذلك بمحال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺبقوله ؈: "هل وجدتم ما وعد ربكم حقا" الحديث سيأتي إن شاء الله وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكليّة .

الوجه الثاني: أنه لم ينف مطلق السماع وإنما نفى سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله ﷺفي حديث القليب: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون" وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة؛ ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قوله تعالى:﴿يَسْمَعُآيَاتِاللَّهِتُتْلَىٰعَلَيْهِثُمَّيُصِرُّمُسْتَكْبِرًاكَأَنلَّمْيَسْمَعْهَا﴾(الجاثية ٨) ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقا لا سماع استجابة ولا مطلقا لم يكن القرآن حجة عليه ولم يكن الرسول بلغهم؛ لأنهم ما سمعوه منه ولا أفسد من قول هذا لازمه".[3]

---

١ قَلِيبِ بَدْرٍ القَلِيبُ البئر لم تُطْوَ وجمع الكثير قُلُبٌ لسان العرب لابن منظور ٦٨٩/١ .

٢ رواه البخاري برقم (١٣٧٠)ج٢ ص١٢٢

٣معارج القبول ٧١٦/٢.

. هذا بالنسبة للآية، أما بالنسبة للشبهة نفسها وهي ثانيا:فيُقال لهم:هل الموتى حقًا لا يسمعون؟ وهل عدم السماع يلزم منه عدم الشعور وبالتالي عدم وقوع العذاب؟

الجواب عن هذه الأسئلة هو الذي سيحل الإشكال الوارد هنا إن شاء الله تعالى.

اختلف السلف في سماع الموتى:

. فذهب بعضهم إلى أنهم يسمعون مطلقا عملا بظاهر حديث القليب السابق الذكر[١]، وكذلك حديث قرع النعال[٢].وممن ذهب إلى ذلك "طوائف من أهل العلم – وهم الأكثرون – وهو اختيار الطبري وغيره، وكذلك ذكره ابن قتيبة[٣] وغيره من العلماء".[٤]

وكان مما استشهدوا به أيضا:أحاديث سماع الموتى سلام من يسلّم عليهم[٥].

. وذهب بعضهم إلى أنهم لا يسمعون مطلقا،ومن أولئك عائشة ﵂ ، ومن وافقها من العلماء كالقاضي أبي يعلى، وغيره، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى:"وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء، ورجحه القاضي أبو يعلى[٦] من أصحابنا في

١انظر: ص١٨٧ .

٢ سبق تخريجه في نفس المبحث ص١٦٠ .

٣ ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد(٢١٣ – ٢٧٦ هـ): من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه " تأويل مختلف الحديث" و " أدب الكاتب" و " المعارف" وكتاب " المعاني" و " عيون الاخبار" و " مشكل القرآن" وغيرها. الأعلام للزركلي ١٣٧/٤.

٤ أهوال القبور ص١٣٣ .

٥ فيها أحاديث أعلّها الشيخ الألباني بالضعف والوضع، أنظر: الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات/للألوسي ج١ ص٣٨،والسلسلة الضعيفة رقم(٥٢٢١) ٣٦٥/١١ ، و برقم(٥٢٢٥)ص ٣٧٢ .

٦سبقت ترجمته ص٦١ .

كتاب الجامع الكبير له، واحتجوا بما احتجت به عائشة وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺدون غيره وهو سماع الموتى كلامه".[1]

. وذهب آخرون كقتادة، وابن التين[2]: إلى أنهم لا يسمعون إلا إذا شاء الله عز وجل لهم السماع في بعض الأوقات.

. وساق البخاري رحمه الله تعالى مع إحدى روايات حديث القليب،قول قتادة التالي:
"أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقيمة وحسرة وندما"[3]، فدل ذلك على أنهم كانوا لا يسمعون ثم أحياهم الله لسماع ذلك توبيخا لهم.

. وقال بن التين:"..الموتى لا يسمعون بلا شك لكن إذا أراد الله إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله تعالى:﴿إِنَّاعَرَضْنَاالْأَمَانَةَ﴾ الآية (الأحزاب ٧٢) "[4].

. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:"قوله ﷺفي قتلى بدر :(ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)، قال المازري[5]:قال بعض الناس:الميت يسمع عملا بظاهر هذا الحديث،ثم أنكره المازري وادعى وادعى أن هذا خاص في هؤلاء ، ورد عليه القاضي عياض وقال : يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته، التي لا مدفع لها ، وذلك بإحيائهم

١.أهوال القبور ص١٣٣.

٢ ابن التين: ابن التين: هو الإمام عبد الواحد بن التين بالتاء المثناة ثم بالياء السفاقسي، من شراح (صحيح البخاري). أنظر كشف الظنون مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني ٥٤٦/١ ،وذكره الألباني أحكام الجنائز ٢٧٢/١ ، وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٩٨/٥.

٣ صحيح البخاري ، باب قتل أبي جهل ، ٩٧/٥ .

٤ فتح الباري/لابن حجر ٢٣٥/٣ .

٥ المازري: هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله(٤٥٣ - ٥٣٦ هـ): محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية.له (المعلم بفوائد مسلم) في الحديث، وهو ما علق به على صحيح مسلم، حين قراءته عليه سنة ٤٩٩ وقيده تلاميذه. فمنه ما هو بحكاية لفظه وأكثره بمعناه.ومن كتبه (التلقين) في الفروع، و (الكشف والإنباء) في الرد على الإحياء للغزالي، و (إيضاح المحصول في الأصول) وكتب في الأدب. الأعلام للزركلي ٢٧٧/٦ .

أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله ، هذا كلام القاضي ، وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور . والله أعلم"[1].

فبيّن هنا أن الموتى يسمعون في بعض الأوقات التي يشاءها الله ﷻ كما رجّح ذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وثبت بذلك أن الموتى يسمعون ولو في بعض الأوقات، وبذلك تبطل شبهتهم.

. ولو سلّم جدلا أن الموتى لا يسمعون مطلقا، فهل هذا يعني أنهم لا يشعرون وبالتالي لا يعذبون أو ينعمون؟

الجواب: إن عدم السماع لا يستلزم عدم الشعور ،إذ إن السمع هو أحد أعضاء الحس عند الإنسان،و فقده لا يعني فقد سائر الإحساس، وهذا مشاهد معلوم في حال الصم من الأحياء، وكذلك فقد يكون الموتى لا يسمعون كما ذكروا لكنهم يشعرون ويحسون، وبالتالي فهم يعذبون أو ينعمون.

وأخير يقال:لابد من استصحاب أن الحياة البرزخية لها أحوالها الخاصّة بها، والله تعالى أعلم بها.

---

١ شرح صحيح مسلم للنووي ٢٥٣/٩ .

المسألة الثانية :شبه المعتزلة النقلية من السنة في عذاب القبر ونعيمه مع بيان وجه الاستدلال.

من شبه المنكرين لعذاب القبر ونعيمه أنّ الأحاديث الدالة عليه- بزعمهم — هي أحاديث آحاد لا يستدل بها على مسائل الاعتقاد.

والجواب عليهم: إن منهج السلف الصالح من الصحابة،والتابعين،وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين مؤسس على كتاب الله،وما صح من سنة رسول الله،سواء كان هذا الصحيح وصل إلينا عن طريق التواتر أو الآحاد ،وهذا المنهج قد أتبعه السلف الصالح في معرفة دينهم بدون تفريق بين مسائل الاعتقاد أو الأحكام.

ثم جاء المتكلمون[1] الذين حكّموا عقولهم في كل شيء، حتى جعلوها حاكمة على الشريعة الإسلامية، بل وحاكمة على حديث رسول الله ﷺ فقبلوا الحديث المتواتر، وأما حديث الآحاد فقبلوه في الأحكام وردوه في الاعتقاد.

فلزم من هذا التحكم لازم في غاية الخطورة،ألا وهو ردّ جملة كبيرة من الدين ،إذ إن معظم الدين ـ عقيدة وشريعة ـ وصل إلينا من طريق الآحاد،بل إن بعض العلماء تشدد ونفى وجود حديث واحد وصل إلينا من طريق التواتر،بل ادّعى أن كل ما وصل إلينا هو من طريق

١ المتكلمون هنا يقصد بهم المعتزلة والخوارج ومن سار على نهجهم في إنكار خبر الآحاد، قال الشيخ عمر الأشقر في أصل الاعتقاد ص ٦:(أما أحاديث الآحاد فهي مرفوضة عندهم رفضا كليا فلا يجيزون الاحتجاج بها لا في العقيدة ولا في الأحكام ومن هؤلاء المعتزلة والخوارج) .

الآحاد،وهذا ما نراه في قول ابن حبان[1] رحمه الله تعالى في صحيحه:" فأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد لأنه ليس يوجد عن النبي ﷺخبر من رواية عدلين روى أحدهما عن عدلين وكل واحد منهما عن عدلين حتى ينتهي ذلك إلى رسول ﷺ، فلما استحال هذا وبطل، ثبت أن الأخبار كلها أخبار الآحاد وأن من تنكب عن قبول إخبار الآحاد فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد"[2] .

وهذا الكلام ليس على إطلاقه بل قد أثبت الحافظ بن حجر وجود أحاديث كثيرة من قبيل المتواتر، وردّ على من ادعى ندرة المتواتر أو عدمه بقوله:"وما ادعاه من العزة ممنوع، وكذا ما ادعاه غيره من العدم؛ لأن ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق ، وأحوال الرجال ، وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطئوا على كذب ، أو يحصل منهم اتفاقا .

ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها ، إذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب

---

١ ابن حبان: هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حبان: مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث. ولد في بست (من بلاد سجستان) وتنقل في الأقطار. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، حيث توفي في عشر الثمانين من عمره سنة ٣٥٤ هـ. وهو أحد المكثرين من التصنيف. قال ياقوت: أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاته. من كتبه (المسند الصحيح) في الحديث، يقال: إنه أصح من سنن ابن ماجه، و (روضة العقلاء) في الأدب، و (الأنواع والتقاسيم) في الأزهرية، جمع فيه ما في الكتب الستة، محذوفة الأسانيد، و (معرفة المجروحين من المحدثين) و (الثقات) ،و(علل أوهام أصحاب التواريخ) و (غرائب الأخبار)و (أسامي من يعرف بالكنى)وغيرها. الأعلام للزركلي ٧٨/٦ .

٢صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٥٦/١ .

إلى آخر الشروط ؛ أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله "[1].

وليس المقصود هنا الكلام عن ذات المتواتر أو الآحاد فإن هذا مجاله علم المصطلح،ولكن المراد الإشارة والتنويه إلى ضرورة الأخذ بحديث الآحاد مادام قد صح عن رسول الله ﷺ ،وعدم جعل كونه آحادا حجة في رده ،إذ أن معظم حديث رسول الله ﷺ من بابه، وقد فصّل الإمام الألباني القول في هذا في رسالتين له مطبوعتين فلتراجع[2].

ومما يجدر التنبيه عليه أن أحاديث عذاب القبر التي ظن هؤلاء المخالفون أنها أخبار آحاد، قد حكى جمع من العلماء المحققين تواترها، من ذلك:قول ابن عبد البر رحمه الله تعالى:"تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق - وهم الجماعة — على الإيمان بهوتصديقه ،وكذلك الأثر في الشفاعة وعذاب القبر، والحمدلله رب العالمين"[3].

وقال السيوطي رحمه الله تعالى:"باب فتنة القبر وسؤال الملكين قد تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة من رواية أنس والبراء وتميم الداري وبشير بن الكمال[4] وثوبان وجابر بن عبد الله وعبد الله بن رواحة وعبادة بن الصامت وحذيفة وضمرة بن حبيب[5] وابن عباس وابن عمر وابن

---

١ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر/لابن حجر (٤٧/١) ،وهنا استدراك : إن قيل :أن في كلام ابن حجر (وجود المتواتر وجود كثرة)فيه مأخذ،يجاب عنه هذا صحيح باعتبار نوعي التواتر اللفظي والمعنوي،قال الكتاني في مقدمة نظم المتناثر:(وبالجملة فالمتواتر من الحديث كثير جدا إلا أن أغلبه تواتره معنوي وأكثر الأمور المعلومة من الدين ضرورة متواترة معنى ومراد العلماء حصر اللفظي لأن الثاني لا يكاد ينحصر) ٢١/١ .

٢ الرسالة الأولى: وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين،والثانية: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ،وكذلك يراجع كتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

٣ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٣٠٩/٢ .

٤ بشير بن الكمال لم أجد له ذكر ولا ترجمة .

٥ ضمرة بن حبيب: هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي أبو عتبة الحمصي. قال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله. وقال أبو حاتم: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات. قلت: وقال مات سنة ١٣٠هـ، وكان مؤذن المسجد الجامع بدمشق وقال العجلي: شامي تابعي. وذكر له البخاري أثرا من روايته.تهذيب التهذيب ٤٠٢/٤ .

مسعود وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبي أمامة[1] وأبي الدرداء وأبي رافع[2] وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وأبي هريرة وأبي موسى وأسماء وعائشة رضي الله عنهم أجمعين"[3].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:"الإيمان بعذاب القبر و فتنته: واجب و التصديق به لازم حسب ما أخبر به الصادق، و أن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه، و يجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يسأل عنه و ما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه و ما أعدّ له في قبره من كرامة أو هوان، و بهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار ﷺآناء الليل و أطراف النهار، و هذا مذهب أهل السنة و الذي عليه الجماعة من أهل الملة و لم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم و لغتهم من نبيهم عليه السلامغير ما ذكرنا و كذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا"[4].

وقال أيضا في موضع آخر:"فصل:صحت الأخبار عن النبي ﷺفي عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها و لا معارض لها"[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"إنه إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع كعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وكالصراط، والشفاعة، والحوض ونحو ذلك مما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، وقد يستدل عليه بدلائل

---

١ أبو أمامة: هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة: صحابي. كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص سنة٨١ هـ. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. له في الصحيحين ٢٥٠ حديثا. الأعلام للزركلي ٢٠٣/٣ .

٢ أبو رافع: مولى رسول الله ﷺ.من قبط مصر.يقال: اسمه إبراهيم.وقيل: أسلم.كان عبدا للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما أن بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه.روى عدة أحاديث.شهد غزوة أحد، والخندق. وكان ذا علم وفضل.توفي في خلافة علي.وقيل: توفي بالكوفة سنة أربعين. سير أعلام النبلاء ١٦/٢ .

٣شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور/جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ص١٢١ .

٤التذكرة للقرطبي ص ٣٦٩ .

٥نفس المرجع ص ٤١٣ .

من القرآن أيضا، لكن ليس التصريح به في القرآن، والتصريح بالجنة والنار، وقيام القيامة، وحشر الخلق، ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الأبدان أحد من أهل القبلة، وأنكر هذه الأمور التي جاءت بها الأحاديث المستفيضة بل المتواترة عند علماء أهل الحديث طوائف من أهل البدع إما من المعتزلة، وإما من الخوارج، وإما من غيرها"[1].

هذا وقد حكى الكتاني تواتر أحاديث عذاب القبر وسؤال الملكين وما يتصل به[2].

---

١ العقيدة الأصفهانية / لابن تيمية ج١ ص٢١٤ .

٢ يراجع:نظم المتناثر من الحديث المتواتر / للكتاني(كتاب المرضى والجنائز وأحوال الموتى)ج١ ص١١٤.

الفصل الخامس: الحشر

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم الحشر عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الحشر عند المخالفينلأهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحشر مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول:

مفهوم الحشر عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول:الحشر عند أهل السنة والجماعة.

. الحشر في اللغة:

قال ابن فارس:"(حشر) الحاء والشين والراء ...وهو السّوق والبعثُ والانبعاث.وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سَوْقٍ، وكلُّ جمعٍ حَشْر. والعرب تقول: حَشرَتْ مالَ بني فلانٍ السنةُ كأنّها جمعته، ذهبت به وأتَتْ عليه"[1].

. أمّا معنى الحشر في الاصطلاح:

قال المباركفوري:"الحشر: جمع، والمراد به: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف"[2].

وفي معارج القبول:يوم الحشر أي: يوم الجمع[3]، وقال القرطبي:الحشر و معناه: الجمع[4].

وقال المناوي:"الحشر كما قال القاضي: السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد. وأصله الجمع والضم المتفرق. وقال الزمخشري: الحشر سوق الناس إلى المحشر...وقال الراغب: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم"[5].

. أنواع الحشر:

١.حشر هو من علامات الساعة الكبرى، وهو آخر هذه العلامات، ويكون بخروج نار تحشر الناس وتسوقهم إلى أرض المحشر.

---

١ مقاييس اللغة ٦٦/٢ .

٢ تحفة الأحوذي ٩١/٧ .

٣ للشيخ حافظ حكمي ٤١٥/٢ .

٤ التذكرة ٥١٥/٢ .

٥ فيض القدير ٧٥/١ .

قال العلامة السفاريني رحمه الله تعالى:" وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام".[1]

وقد ورد هذا الحشر في نصوص عديدة، منها:

ما روي عن حذيفة بن أسيد الغفاري[2] رضي الله عنه قال اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال « ما تذاكرون ».قالوا نذكر الساعة. قال « إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ». فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)[3].

وقال أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ:(أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[4].

وقد يظهر من الأحاديث التي ذكرت هذه النار بعض التعارض، من حيث إنّ بعضها ذكرت أنّ هذه النار هي أوّل الآيات ظهورا، وبعضها ذكرت أنّ النار هي آخر الآيات خروجا، وقد بيّن العلامة السفاريني رحمه الله تعالى وجه الجمع بين هذه النصوص،وهو إمّا أنها ناران واحدة في بداية العلامات والثانية في نهايتها،أو أنها نار واحدة ولكنها الأخيرة من حيث أنها آخر العلامات ظهورا ،و هي الأولى من حيث ابتداء أهوال الآخرة بعدها فليس بعدها شيء من أمور الدنيا، قال رحمه الله تعالى:"وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن آخرية

١لوامع الأنوار ١٤٩/٢ .

٢ حذيفة بن أسيد: بالفتح ويقال أمية بن أسيد بن خالد بن الأغوز بن واقعة بن حرام بن غفار الغفاري أبو سريحة بمهملتين وزن عجيبة، مشهور بكنيته، شهد الحديبية وذكر فيمن بايع تحت الشجرة ثم نزل الكوفة، وروى أحاديث أخرج له مسلم وأصحاب السنن. قال أبو سليمان المؤذن توفي فصلى عليه زيد بن أرقم. وقال بن حبان مات سنة ٤٢هـ. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٣/٢ .

٣ رواه مسلم ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ، ١٧٨/٨.

٤ رواه البخاري ، باب خُرُوجِ النَّارِ ، ٧٣/٩.

خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها بأنها من أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا .ذكره الحافظ السخاوي[1] . وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران، إحداهما: تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، والثانية: تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى المحشر الذي هو أرض الشام، فلعل إحدى النارين في أول الآيات والأخرى في آخرها، وحينئذ فلا حاجة إلى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي، وإن لم يكن في علم الله إلا نار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث:(نار تخرج قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس » ، وفي لفظ « تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس إلى المحشر » ، وحديث: «نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »، فبأن يقال إن الشام الذي هو المحشر مغرب بالنسبة إلى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فإذا خرجت انتشرت إلى المشرق فتحشر أهله إلى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر"[2].

وقد ذكرت بعض الروايات حال الناس عند هذا الحشر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلاَثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا)[3].
قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"قوله تقيل معهم حيث قالوا الخ: فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر، وهذه الطريقة الثالثة. قال الخطابي:هذا الحشر يكون قبل

---

١ السخاوي: هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل، القاهري المولد، الشافعي (شمس الدين، أبو الخير، أبو عبد الله) (٨٣١ – ٩٠٢ هـ): فقيه، مقرئ محدث، مؤرخ، مشارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والميقات. أصله من سخا من قرى مصر، وولد بالقاهرة في ربيع الأول وتوفي بالمدينة. من تآليفه الكثيرة: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة البستان في مسألة الاختتان، الأصل الأصيل في تحريم النظر في التوراة والإنجيل، والقناعة فيما تحسن إليه الحاجة من أشراط الساعة.معجم المؤلفين١٠/١٥٠ .

٢لوامع الأنوار ١٤٩/٢ .

٣ رواه البخاري ، باب كيف الحشر، ١٣٥/٨ ، ورواه مسلم واللفظ له ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ١٥٧/٨ .

قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأمّا الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما هو على ما ورد في حديث بن عباس في الباب(حفاة عراة مشاة). قال:وقوله: واثنان على بعير وثلاثة على بعير الخ: يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض، قلت وإنما لم يذكر الخمسة والستة إلى العشرة إيجازا واكتفاء بما ذكر من الأعداد، مع أن الاعتقاب ليس مجزوما به ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوى به على حمل العشرة"[1].

٢.حشر هو من أهوال القيامة:

وهو سوق العباد بعد قيامهم من القبور وجمعهم إلى الموقف.قال العلامة السفاريني رحمه الله تعالى:"...وأما الحشر فهو في اللغة الجمع ، تقول حشرت الناس إذا جمعتهم ، والمراد به جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة ثم إحياء الأبدان بعد موتها.

واعلم أنه يجب الجزم شرعا أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع .وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق".[2]

. وهذا النوع من الحشر وردت به الكثير من نصوص الوحي(الكتاب والسنة)، ومنها:
قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الملك ٢٤).
وقوله تعالى:﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (ق ٤٤).
وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (فصلت ١٩).
وقوله تعالى:﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (الصافات ٢٢)
وقوله تعالى:﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ (مريم ٨٥).

---

١ فتح الباري ٣٧٩/١١.

٢ لوامع الأنوار ١٥٨/٢.

وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾(الكهف ٤٧).

وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾(يونس ٤٥).

وقوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجر ٢٥).

وعن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً[١] قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالَ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ)[٢].

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ:(أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا)[٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ:(إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً:﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الآيَةَ(الأنبياء ١٠٤)، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ،فَأَقُولُ:(يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي،فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.فَأَقُولُ:كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾(المائدة ١١٧) إِلَى قَوْلِهِ:﴿الْحَكِيمُ﴾ قَالَ: فَيُقَالُ:إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)[٤].

١الغرل : جمع أغرل وهو الذى لم يختتن .

٢ رواه البخاريواللفظ له، باب كيف الحشر ١٣٥/٨ ، ورواه مسلم ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ١٥٦/٨ .

٣ رواه البخاري ، باب كيف الحشر ١٣٥/٨.

٤ رواه البخاري، باب كيف الحشر ١٣٥/٨ ، ورواه مسلم ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ١٥٦/٨.

أمّا بالنسبة لصفة أرض المحشر:

فعن سهل بن سعد[1] ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ :(يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[2] كقرصة النقي[3] ليس فيها علم لأحد)[4].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:"قال القاضي:كأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة قوله ﷺ(ليس فيها علم لأحد) هو بفتح العين واللام أى ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر "[5].

فهذه النصوص فيها إثبات الحشر يوم القيامة، وصفته، وأحوال الناس فيه، فمنهم المتقون وفود الرحمن ، ومنهم الضالّون الذين يحشرون على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا،أعاذنا الله من ذلك.

---

١ سهل بن سعد: هو سهل بن سعد الخزرجي الانصاري، من بني ساعدة: صحابي، من مشاهيرهم.من أهل المدينة. عاش نحو مئة سنة.توفي سنة٩١ هـ، له في كتب الحديث ١٨٨ حديثا . الأعلام للزركلي١٤٣/٣.

٢العفراء : البيضاء بياضا غير ناصع .

٣النقي : الخبز الجيد المرقق المتخذ من أجود القمح .

٤ رواه مسلم ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ، ١٢٧/٨.

٥شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٤/١٧ .

المبحث الثاني:

الحشر عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني:الحشر عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

لم يخالف أهل السنة والجماعة في مسألة الحشر إلا فرقة واحدة فقط، وهي فرقة الشيعة.

ولم تكن تلك المخالفة منهم بإنكار حشر الخلائق يوم القيامة، بل هم قد أثبتوا ذلك ولم يخالفوا فيه.

وإنّما كانت مخالفتهم باعتقاد صور وأنواع للحشر من عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان.

وسيرد بيان لهذه الأنواع ، والشبه التي قادتهم إلى ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث:

شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة

في مسألة الحشر.

المبحث الثالث:شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة (الشيعة)في مسألة الحشر.

ذكر في المبحث السابق أنّ فرقة الشيعة هم وحدهم المخالفون لأهل السنة والجماعة في مسألة الحشر ، و ذلك أنهم اعتقدوا حشرين آخرين لم ترد بهما نصوص الشريعة وفيما يأتي إن شاء الله تعالى بيان لها.

أنواع الحشر عند الشيعة:

. النوع الأول:

هو الحشر الذي في زمن القائم أو قبله بقليل، ويكون لبعض الأموات في الدنيا قبل قيام الساعة، و هؤلاء المحشورون هم أئمتهم وشيعتهم،فيحشرون في ذلك الوقت لتقر أعينهم بالنصر وبقيام دولتهم، وكذلك يحشر لهم بعض أعدائهم ليتم الانتقام منهم.

قال صاحب كتاب أصول مذهب الشعية الإمامية:"ويعتقد الشيعة بحشر بعد الموت لا يشاركهم في القول به أحد، يقول المجلسي في الاعتقادات[1]:(يحشر الله تعالى في زمن القائم أو قبيله جماعة من المؤمنين لتقر أعينهم برؤية أئمتهم ودولتهم، وجماعة من الكافرين والمخالفين للانتقام عاجلاً في الدنيا" "[2].

١ص ٩٨

٢ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ٦٣٢/٢ .

. والنوع الثاني:

فهو حشر في الآخرة،و لكنه خاص بأهل مدينة (قم)[1]،فهم يحشرون من قبورهم إلى الجنة مباشرة دون المرور بمواقف الآخرة ،وقد جاء ذكر ذلك في الكتاب السابق نفسه،حيث قال صاحبه: "أما اعتقادهم في الحشر يوم القيامة، فإن لهم فيه أقوالاً منكرة؛ ففي أخبارهم أن حشر الناس يوم القيامة لا يشمل الجميع كما هو اعتقاد المسلمين، بل هناك فئة لا يشملها الحشر، ولا تتعرض لهول ذلك اليوم، ولا تقف ذلك الموقف العظيم، ولا تمر على الصراط بل ينتقلون من قبورهم إلى الجنة بلا وسائط .أولئك هم أهل مدينة "قم"، تقول أخبارهم[2]:(إن أهل مدينة قم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنة)"[3].

ـكراماتهم في المحشر:

وقد ادّعوا أنّ لهم من الكرامات التي يختصون بها من دون الناس في المحشر ما لا يحصى، جاء في كتاب شجرة طوبى:" وأما كراماتهم من الله ومقاماتهم عند الله في المحشر وفي الجنة ما لا تحصى، منها ما روي في جامع الأخبار قال ﷺ:(ياعلي:شيعتك يخرجون من قبورهم وهم يقولون:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب حجة الله ، فيؤتون بحلل خضراء من الجنة، وأكاليل من الجنة، وتيجان من الجنة، ونجائب من الجنة، فيلبس كل واحد منهم حلة خضراء،ويوضع على رأسه تاج الملك وإكليل، ثم يركبون النجائب، وتطير النجائب بهم إلى الجنة،﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(الأنبياء١٠٣)، وفيه أيضا قال ﷺ:(لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع

---

١ قم: بالضم وتشديد الميم وهي كلمة فارسية مدينة تذكر مع قاشان.. وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبردا..وقم مدينة بين أصبهان وساوة وهي كبيرة حسنة طيبة وأهلها كلهم شيعة إمامية. أنظر معجم البلدان للحموي٣٩٧/٤ .

٢ وقد نسبها إلى: بحار الأنور: ٢١٨/٦٠، عباس القمي/ الكنى والألقاب: ٧١/٣.

٣ أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد لناصر بن عبد الله بن علي القفاري ٦٣٢/٢ .

مثل ربيعة ومضر). وأخرى ما في كتاب سرور الشيعة[1] عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﵁ قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذا أقبل علي بن أبي طالب ﵇ فأدناه ومسح وجهه ببردة،وقال ﷺ:(يا أبا الحسن ألا أبشرك بما بشرني به جبرائيل)،قال:بلى يا رسول الله،قال:(إن في الجنة عينا يقال لها تسنيم، يخرج منها نهران لو أن سفن الدنيا فيها لجرت، قصبها من اللؤلؤ والمرجان،وحشيشها من الزعفران، على حافتيها كراسي من النور، عليها أناس جلوس مكتوب على جباههم بالنور:هؤلاء المؤمنون وهؤلاء من محبي علي بن أبي طالب،ويعطى لكل واحد منهم بعدد كل عرق في بدنه مدينة في الجنة،

والحاصل شيعة علي أكرم الناس في الجنة كما قال الحسين ﵇ في رجزه يوم عاشوراء:

وشيعتنا في الحشر أكرم شيعة   ومبغضنا يوم القيامة يخسر

فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا   بجنة عدن صفوها لا يكدر "[2].

وذكروا كذلك من حال شيعتهم في المحشر وكرامتهم ما يكون على يد فاطمة ﵍ حين مرورها في المحشر وعلى الصراط :"جاء في تفسير الإمام العسكري:عن النبي ﷺ أن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادى منادي ربنا من تحت عرشه: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط ، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم فتجوز فاطمة على الصراط ، لا يبقى أحد في القيامة إلا غض بصره عنها إلا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرين من أولادهم فإنهم أولادها، فإذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدودا على الصراط ، طرف منه بيدها وهي في الجنة، وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربنا:يا أيها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة

---

١ هذا الكتاب الذي ذكره لعبد الله بن علي بن مهدي البروجردي، فاضل خطيب من أعلام القرن الثاني عشر ظاهرا) أنظر تراجم الرجال السيد أحمد الحسيني ٣٢٨/١ .

٢محمد مهدي الحائري ص٨ .

نساءالعالمين،فلا يبقى محب لفاطمة إلا تعلق بهدب من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام ، قالوا: وكم فئام واحد؟ قال: ألف ألف ينجون بها من النار"[1] .

وهكذا فإن كتب الشيعة مليئة بمثل هذه الروايات التي تخصّهم بمنازل وكرامات في الحشر لا يشاركهم فيها أحد من الناس.

. والواقع أنّ المتأمل لهذه الروايات يجدها مناقضة لما هو ثابت في كتب أهل السنة من النصوص الصحيحة الواردة في مواقف الحشر وما سيكون في العرصات، فإنّ الروايات الواردة عند أهل السنة في ذلك نصّت على أنّ حشر الخلائق يوم القيامة وما يصاحبه من أهوال سيكون أمرا عاما يشمل جميع البشر.

فعن سهل بن سعد ﵁ قال:قال رسول الله ﷺ :(يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[2] كقرصة النقي[3] ليس فيها علم لأحد)[4].

وعن عائشة ﵂ قالت:سمعت رسول الله ﷺ يقول:(يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ». قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ:(يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)[5].

فنصّت هذه الروايات على حشر الناس،و(الناس) لفظ يفيد العموم،فالناس كلهم محشورون إلى الموقف، واستثناء البعض من الحشر—كما فعلوا —مخالف للنصوص، إذن تخصيص الحشر ببعض الناس دون بعض لا يجوز إلّا بدليل مخصص، ولا يوجد دليل مخصص.

---

١ بحار الأنوار ٦٨/٨ .

٢العفراء : البيضاء بياضا غير ناصع .

٣النقي : الخبز الجيد المرقق المتخذ من أجود القمح .

٤ رواه مسلم ، باب فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ، ١٢٧/٨ .

٥ رواه البخاري،باب كيف الحشر،١٣٦/٨ ،ورواه مسلم واللفظ له، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ١٥٦/٨ .الغرل : جمع أغرل وهو الذى لم يختتن.

فالناس كلهم محشورون، وإنّما يتميز بعضهم على بعض بالعمل الصالح الذي أريد به وجه الله ﷻ، فهو المقياس الذي سيجعل بعض الخلق يكرمون و يتميزون عن غيرهم في ذلك اليوم، كما هو وارد في بعض الروايات التي بينت اختلاف أحوال الناس في الحشر بحسب عمل كل واحد منهم، فمنهم المتكبرون الذين يحشرون كأمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم،ومنهم من يلجمه العرق إلجاما من حر الشمس، ومنهم من يحشر وهو طاعم و شارب وكاس ، ومنهم الشهداء الذين يحشرون وجروحهم تشخب، اللون لون الدم والريح ريح المسك،...الخ.

فهذه أحوال متباينة للخلائق في المحشر، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم محشورون ، قال تعالى:﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ (الكهف٤٧).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقوله:﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي:وجمعناهم، الأولين منهم والآخرين، فلم نترك منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا، كما قال:﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[الواقعة:٥٠، ٤٩]،وقال:﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[هود:١٠٣] "[١].

فكيف يدعي الشيعة بعد ذلك أنّ أناسا منهم ـ كأهل مدينة قم ـ لا يحشرون مع الخلائق، وإنّما ينتقلون مباشرة من قبورهم إلى الجنة ؟!!

وثمّة أمر عظيم ينبغي التنبيه إليه، ويحسن بالشيعة التأمّل فيه:

وهو ـ والله تعالى أعلم ـ أنّ يوم القيامة ما سمي بهذا الاسم إلا لأن الناس كلها تقوم فيه لرب العالمين وحده لا شريك له، قال تعالى:﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين٦).

١ تفسير القرآن العظيم ١٦٥/٥ .

وسمّى نفسه سبحانه وتعالى مالك يوم الدين، فقال سبحانه:﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الفاتحة١،٢،٣).

وأخبر سبحانه أنّه الواحد القهار الذي له ملك ذلك اليوم،والذي يبرز له فيه كلّ الخلائق، قال ﷻ:﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر١٦)، وقال ﷻ:﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم٤٨).

فهذه النصوص وغيرها قد أمعنت في تبيين انفراد الله سبحانه وتعالى بملك ذلك اليوم، وهيمنته الكاملة عليه سبحانه وتعالى، رغم كونه سبحانه ملك لذلك اليوم ولما سواه، فلماذا خصّ سبحانه ذلك اليوم بالملك ؟ وما الحكمة وراء هذا التخصيص ؟

والجواب عن ذلك ما ذكره شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله تعالى،قال:"أن لله المُلْك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية.فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرة الأذِلّة، وأنّ له – من دُونهم، ودون غيرهم – المِلك والكبرياء، والعزة والبهاء، كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله:﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر: ١٦]. فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالمِلك دون ملوك الدنيا، الذين صارُوا يوم الدّين منْ مُلكهم إلى ذِلّة وصَغار، ومن دُنياهم في المعاد إلى خسار......عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، يقول: لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معهُ حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا. ثم قال:(لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (النبأ: ٣٨) وقال:(وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) (طه: ١٠٨) . وقال:(وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى) (٣) (الأنبياء: ٢٨)"[١].

١جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٩/١ .

فيوم القيامة الذي هذا شأنه، والذي ما أقامه الله سبحانه وتعالى إلّا له ؛ ليتجلّى فيه عظيم عظمته، ويظهر فيه للعباد جلال سلطانه، فإنّ أولى النّاس فيه بحصول الكرامات، ورفعة الدرجات ،ونيل الرحمات هم أشدّهم لله توحيدًا ، وأخلصهم له قلبًا ، وأشدّهم به تعلقًا، وأكثرهم له رجاءًا، وأوجلهم منه نفسًا، وأظهرهم له تعظيمًا وإجلالًا، قال تعالى:﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٧/٨٩).

فلن ينفع المرء يوم القيامة أيّ علاقات ،أو قرابات ، أو وجاهات ، ما لم يكن هذا العبد مرضيًا عند الله تبارك وتعالى، محققًا لتوحيده، خاليًا عمّا سواه.

فإذا تأمّل الشيعة هذا المعنى العظيم، بان لهم أنّهم قد أكثروا من إنجاء اتباعهم ، وادّعاء العصمة لهم في كثير من مواقف الآخرة ، فضلًا عن الدنيا، وليس ذلك لشيء إلا لكونهم تشيعوا لآل البيت وأحبوهم، وإن وقع منهم ما وقع من مخالفات قد تصل إلى حد الشرك بالله جلّ جلاله.

فيقال لهم لابد من إعادة النظر في ذلك ، ومعرفة أن هذا الموقف الصعب قد أنذر رسولنا ﷺ منه خاصّة أهل بيته ، وأخبرهم أنّه لن يغني عنهم من الله شيئا، فعن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ حين أُنزِل عليه﴿وَأَنذِرْعَشِيرَتَكَالْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء ٢١٤) :(يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئًا،يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا،يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا،يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغنى عنك من الله شيئًا)[١].

---

١ رواه البخاري ، باب:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك﴾،١٤٠/٦ ،وروواه مسلم واللفظ له، باب فى قوله تعالى:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١٣٣/١ .

فهل يعقل بعد ذلك أن يعجز الرسول الكريم ﷺ . وهو سيّد ولد آدم . عن نفع أقرب الناس إليه، ثم يمنح ذلك النفع لشيعة من هو أقل منه شأنا ؟!!

نسأل الله ﷻ أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

– وأمّا بالنسبة لما ادّعوه من حشر بعض أئمتهم وشيعتهم في زمن القائم؛لتقرّ أعينهم بمشاهدة ما سيحققون من نصر، وكذلك حشر بعض أعدائهم لينتقموا منهم، فهذا وإن سمّوه حشرا، إلا أنّ حقيقته بعث وإحياء للموتى في الحياة الدنيا ؛ليجازوا شيعتهم ،ويعاقبوا . أي عدوهم . .

فيقال لهم :صحيح أنه قد ثبت في الشرع إحياء بعض الوتى وبعثهم في الحياة الدنيا،إلاّ أن هذا الإحياء كان مخصوصا ليس لكل أحدٍ أن يدعيه ما لم يرد فيه نص صريح من الكتاب وصحيح السنة، وكذلك فإن ما ثبت من إحياء الله ﷻ لبعض الموتى فقد كان لحِكَمٍ أرادها الله ﷻ غير إرادة الثواب والعقاب ،ومعلوم أنّ بعث الموتى للجزاء والثواب والعقاب إنّما هو من أحكام الدار الآخرة ، فكيف يقولون ن الناس يبعثون في زمن القائم ليعاين أنصارهم الثواب الذي ينتظرهم، ويرى أعداؤهم ما أعد لهم من العقاب ؟ وعلام يستعجلون جزاء شيعتهم في دار الدنيا ؟!!

الفصل السادس: الحساب

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحساب عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الحساب عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحساب مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول :

مفهوم الحساب عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: الحساب عند أهل السنة والجماعة.

الحساب لغة:

ذكر ابن فارس أربعة أصول لـ (حسب)، اثنان منها تناسب المقام هنا:

"فالأول: العدّ. تقول: حَسَبْتُ الشيءَ أحْسُبُه حَسْباً وحُسْباناً. قال الله تعالى:﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن ٥)

والأصل الثاني: الكِفاية. تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ. ويقال: أحسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيتَه ما يرضيه"[١].

وفي لسان العرب:" وقال أَبو إِسحق[٢] في قوله عز وجل ﴿وَكَفَى باللّهِ حَسِيباً﴾ (النساء ٦ / الأحزاب ٣٩):يكون بمعنى مُحاسِباً ويكون بمعنى كافِياً وقال في قوله تعالى ﴿إِن اللّه كان على كل شيءٍ حَسِيباً﴾(النساء ٨٦) أَي يُعْطِي كلَّ شيءٍ من العِلم والحِفْظ والجَزاءِ مِقْدارَ ما يُحْسِبُه أَي يَكْفِيهِ...قال الأَزهري[٣]: وإِنما سُمِّي الحِسابُ في المعامَلاتِ حِساباً لأَنهُ يُعلم به ما فيه كِفايةٌ ليس فيه زيادةٌ على المِقْدار ولا نُقْصان"[٤]

---

١ معجم مقاييس اللغة ٥٩/٢ .

٢ أبو إسحاق: هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(٢٤١ - ٣١١ هـ): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولى الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه (معاني القرآن) و (الاشتقاق) و (خلق الانسان) و (الأمالي) في الأدب واللغة، و (فعلت وأفعلت) في تصريف الألفاظ و (المثلث) في اللغة، مهيأ للنشر في بغداد، و (إعراب القرآن). الأعلام للزركلي ٤٠/١ .

٣ الأزهري هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): أحد الائمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده " الأزهر " عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن " يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن " كما قال في مقدمة كتابه " تهذيب اللغة ". ومن كتبه " غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء " و " تفسير القرآن " و " فوائد منقولة من تفسير للمزني ". الأعلام للزركلي ٣١١/٥

٤ لسان العرب ٣١٢/١ .

وأما شرعا: فقد ورد عن عدد من أهل العلم، ومن ذلك:

-قول المناوي:"المحاسبة مفاعلة من الحساب. وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وعليه من الأعمال الظاهرة والباطنة ليجازى بها. ثم قال: وحقيقة المحاسبة ذكر الشيء والجزاء عليه".[1]

-وقال القاضي عياض:" ويوم الحساب: يوم المساءلة، وحساب ما اجترحت الأيدي واكتسبته النفوس"[2].

-وقال القرطبي رحمه الله تعالى في تعداد أسماء يوم القيامة:"ومنها: يوم الحساب، ومعناه: أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر".[3]

-وجاء في كتاب الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد:"الحساب هو تعريف الله سبحانه الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه"[4] .

-وفي أحد شروح الطحاوية:"الْحِسَاب المقصود منه المحاسبة...والحساب من حيث هو تقريرٌ للعمل مع الجزاء والعقاب هذا يكون بعد أخذ الكتاب وقبل أخذ الكتاب؛ لأنَّ حقيقة المحاسبة أنَّ الله ﷻ يُحَاسِبُهُم على ما عَمِلُوا بعرض ما عملوا من خيرٍ أو شر، وهذا يكون بالشهادة عليه من جسده ومن الكتاب، ويكون قبل ذلك بذكر الله ﷻ له"[5].

وبذلك يكون معنى الحساب جمعا بين التعريف اللغوي وبين ما سبق من أقوال العلماء هو:تقرير العباد بأعمالهم من خير أو شر، وعدّها عليهم على وجه الكفاية من غير زيادة أو نقصان.

---

١ فيض القدير ٣٠٣/٦ .

٢ مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢١١/١ .

٣ التذكرة ٥٦٢/٢ .

٤للشيخ صالح الفوزان ص ٢٩٧ .

٥ للشيخ صالح آل الشيخ ٧٣٠/٢ .

. عقيدة أهل السنة في الحساب:

الإيمان بالحساب من أصول أهل السنة والجماعة،حكى ذلك ابن بطة في إبانته،قال:"ثُمَّ اَلْإِيمَانُ بِالْمُسَاءَلَةِ أَنَّ اَللَّهَ ﷻ يَسْأَلُ اَلْعِبَادَ عَنْ كُلِّ قَلِيلٍوَكَثِيرٍ فِي اَلْمَوْقِفِ وَعَنْ كُلِّ مَا اجْتَرَمُوا ﴿ لِيَسْأَلَ اَلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾(الأحزاب/٨) وَقَالَ اَللَّهُ ﷻ:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(الحجر/٩٢)، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنْ اَلظَّالِمِينَ حَتَّى اَلْجَمَّاءِ مِنْ اَلْقَرْنَاءِ وَلِلضَّعِيفِ مِنْ اَلْقَوِيِّ"[1] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ؛ فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها"[2] .

. ومن الأدلة على الحساب في الكتاب والسنة:

- قوله تعالى:﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾(الأعراف٦)
- وقوله ﷻ:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴾(الحجر٩٢)
- وقولهﷻ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾(الشعراء/١١٣)
- وقوله ﷻ:﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(الأنعام٦٢)
- وقال ﷻ:﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٨/٧)

١متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص١٣٢ . الشاة الجماء والجلحاء:التي لا قرن لها . والشاة القرناء:ذات القرن. انظر:تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم للحميدي ص١٧٧.

٢ الواسطية ص ٣٣ .

- وقال ﷻ:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ*فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾ (سورة الانشقاق ٧/٩)

- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ:(ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ*فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* ﴾(سورة الانشقاق ٧/٨)قال: ذاك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك)[1].

- وعن أنس بن مالك ﵁،أن نبي الله ﷺ كان يقول:(يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك)[2].

- وعن عدي بن حاتم[3] قال:قال النبي ﷺ:(ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة)[4].

-وعن الزبير ﵁، قال : لما نزلت هذه الآية :(﴿إِنَّكَمَيِّتٌوَإِنَّهُممَّيِّتُونَ * ثُمَّإِنَّكُمْيَوْمَالْقِيَامَةِعِندَرَبِّكُمْتَخْتَصِمُونَ﴾(الزمر ٣٠/٣١) قال الزبير : يا رسول الله ، يكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال : نعم ، حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه قال الزبير : إن الأمر إذا لشديد)[5].

١رواه البخاري واللفظ له ،كتاب: بدء الوحي ، باب:﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾، ٢٠٧/٦ ، ورواه مسلم،باب إثبات الحساب ١٦٤/٨.

٢رواه البخاري،كتاببدء الوحي ، باب من نوقش الحساب عذب ، ١٣٩/٨.

٣ عدي بن حاتم: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي، الأمير الشريف، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحب النبي ﷺ ، ولد حاتم طي الذي يضرب بجوده المثل. وفد عدي على النبي ﷺ في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه. له أحاديث.مات سنة ٦٧هـ، وقيل٦٨هـ، وقيل٦٦هـ، وله ١٢٠ سنة. سير أعلام النبلاء ١٦٢/٣.

٤رواه البخاري،كتاببدء الوحي ، باب من نوقش الحساب عذب ، ١٣٩/٨ .

٥البعث لابن أبي داود السجستاني رقم(٢٩)، ٣٠/١ ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة،باب شدة الحساب يوم القيامة، برقم(٣٤٠) من طريق أبي يعلى عن محمد بن عبيد عن محمد ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير، وقال عنه: هذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات٥٩٩/١ .

- وعن ابن عمرﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:(إن الله يدني المؤمن فيضع على كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم يا رب حتى قرره ذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك . قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق:﴿هَؤُلاءِالَّذِينَكَذَبُواْعَلَىرَبِّهِمْأَلاَلَعْنَةُاللّهِعَلَىالظَّالِمِينَ﴾(هود١٨))[1] .

- وعن أبي برزة الأسلمي[2] قال: قال رسول الله ﷺ:(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل ،وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلا)[3].

***من الذي سيُحاسب يوم القيامة؟**

كل الخلائق تحاسب ويقضى بينها،حتى البهائم يقضى بينها يوم القيامة.

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال:(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[4].

ولا يستثنى أحد من الحساب إلا من خصه الدليل مثل:السبعون ألفا،الذين لا يرقون ولا يسترقون.

عن ابن عباسﷺ قال:قال النبي ﷺ:(عرضت علي الأمم،فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة ،والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت:يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال:لا،ولكن انظر إلى الأفق،فنظرت فإذا سواد كثير،قال:هؤلاء أمتك،وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت:ولم؟

---

١. أخرجه:الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح برقم(٥٥٥١) ، ١٥٣٩/٣، وقال عنه الألباني:متفق عليه .

٢ أبوبرزة الاسلمي: صاحب النبي ﷺ ، اسمه:نضلة بن عبيد على الأصح. روى عدة أحاديث.نزل البصرة، وأقام مدة مع معاوية. أسلم قديما، وشهد فتح مكة. وشهد خيبر.وكان آدم ربعة، وحضر حرب الحرورية مع علي. وهو الذي قتل عبدالعزى بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن النبي ﷺ .يقال: مات قبل معاوية في سنة ٦٠هـ وقيل٦٤هـ.سير أعلام النبلاء ٤٠/٣ .

٣رواه الترمذي برقم(٢٤١٧) ، ٦١٢/٤ ، قال الشيخ الألباني : صحيح .

٤ رواه مسلم ، باب تحريم الظلم، ١٨/٨ . الجلحاء:التي لا قرن لها ، يقاد:يقتص.

قال: كانوا لا يكتوون،ولا يسترقون،ولا يتطيرون،وعلى ربهم يتوكلون. فقام إليه عكاشة بن محصن فقال:ادع الله أن يجعلني منهم . قال:اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر قال:ادع الله أن يجعلني منهم، قال:سبقك بها عكاشة)[1].

***وأوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال:**

من حقوق الله ﷻ :الصلاة ، ومن حقوق العباد :الدماء.

– عن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺقال:(إنّ أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته،فإن وجدت تامة كتبت تامة،وإن كان انتقص منها شيء قال: انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضة من تطوعه ثم سائر الأعمال تجرى على حسب ذلك)[2].

– وعن عبد الله قال:قال رسول الله ﷺ:(أوّل ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)[3].

كيفية الحساب :

تتفاوت طريقة حساب الخلائق يوم القيامة كل بحسبه،فمنهم من يكون حسابه يسيرا ،ومنهم من يكون حسابه عسيرا، قال الإمام السفاريني:"كيفيات الحساب مختلفة، وأحوالها متباينة، فمنه العسير ومنه اليسير ، ومنه العدل والجهد ، ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيت، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين "[4].

نسأل الله ﷻ أن نكون ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، اللهم آمين.

١رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، ١٤٠/٨.

٢ رواه الترمذي ، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة برقم(٤١٣) ، ٢٦٩/٢ ، ورواه النسائي واللفظ له ، باب المحاسبة على الصلاة برقم(٤٦٦) ، (٢٣٣/١) ، ورواه ابن ماجه ،كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاةبرقم(١٤٢٥) ، (٤٢٥/٢) ،وصححه الألباني.

٣ رواه مسلم ، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ١٠٧/٥ .

٤ لوامع الأنوار ١٧٣/٢ .

المبحث الثاني :

مفهوم الحساب عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: الحساب عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

خالفت بعض الفرق ـ الشيعة و المعتزلة ـ أهل السنة والجماعة في مسألة الحساب، وكان لكل من هاتين الفرقتين اتجاه مختلف عن الأخرى في مخالفتها .

فالشيعة ذهبوا إلى أن أئمتهم وأوصياءهم هم من سيتولّى حساب الخلائق يوم القيامة.

بينما خالفت المعتزلة بأن أثبتت صفة للحساب ـ من عند أنفسهم ـ وظنّوا أنّ أدلة الشرع تدل عليه.

وفيما يأتي تفصيل لقول كل فرقة وذكر شبهاتهم في ذلك، مع الرد عليهم ما أمكن إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث:

شبهات المخالفين في الحساب مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شبه الشيعة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الحساب مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: الحساب عند الشيعة وشبههم فيه.

قَسّم الإمام الأشعري الشيعة في مقالاته إلى ثلاثة أقسام،هم الغلاة[1] ،والرافضة، والزيدية[2].
وهذه الأقسام تشعبت بدورها إلى فرق كثيرة،وقد نسب إلى كثير من فرق الغلاة والرافضة منهم إنكار القيامة بما يكون فيها من حساب وغيره.
فقال عن الفرقة الثانية[3] من الغلاة: "وهم يكفرون بالقيامة ويدّعون أن الدنيا لا تفنى"[4].
وعن الفرقة السابعة منهم. الخطّابية[5]:"وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك"[6].
ونسب إلى غلاة الروافض مثل ذلك، فقال عنهم:"ينكرون القيامة والآخرة ويقولون ليس قيامة ولا آخرة، إنما هي أرواح تتناسخ في الصور فمن كان محسنا جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئا جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك وأن الدنيا لا تزال أبدا هكذا "[7] .

١الغلاة: هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير. للاستزادة: أنظر الملل والنحل ١٧٣/١ ، و الفرق بين الفرق ٢٢٠/١ .

٢الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ﵂ ، ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ﵄ ، أنظر الملل والنحل ١٥٤/١، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ٣٣/١ .

٣هم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ،مقالات الإسلاميين ص ٦ .

٤ مقالات الإسلاميين للأشعري، ص٦ .

٥ الخطابية:هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﵁، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم ألهه. الملل والنحل ١٧٩/١ .

٦ مقالات الإسلاميين ص١١ .

٧نفسه ، ص٤٦ .

والذي يظهر بالرجوع لكتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية أنهم لم ينكروا الحساب بل أثبتوه في عقائدهم كما حكوا ذلك عن الإمام أبي جعفر أنه قال:" وأما اعتقادنا في الحساب أنه حق"[1]، فلعل ما ذكره الإمام الأشعري يختص بالغلاة منهم.

وإنّما كانت مخالفة هؤلاء المثبتين في نسبة الحساب يوم القيامة لأئمتهم ، كما هو حالهم دومًا في إيلاج الأئمة في كل أمر ، بل أن جلّ أمور الآخرة نسبوا فعلها للأئمة ، فقد جاء في كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية:"وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله[2]:"إلينا الصّراط وإلينا الميزان وإلينا حساب شيعتنا"[3]. وعدّ الحرّ العاملي[4] من أصول الأئمّة: الإيمان بأنّ حساب جميع الخلق يوم القيامة القيامة إلى الأئمّة[5]"[6].

شبههم:

تمسّكت الشيعة ببعض النصوص القرآنية التي ظنوا أنها تفيد كون الأئمة من الشهود الذين يقع منهم حساب الخلائق يوم القيامة،وهذه النصوص مثل:

١ذكر ذلك كل من شيخيهم الصدوق والمفيد في تقرير عقائدهم،أما الصدوق ففي:الاعتقادات في دين الإمامية ص٧٣، والمفيد ففي:تصحيح اعتقادات الإمامية ص١١٤.

٢ أبو عبد الله: هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق(٨٠ - ١٤٨ هـ): سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق. له (رسائل) مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها. مولده ووفاته بالمدينة. الأعلام للزركلي٢/١٢٦.

٣ نسب هذا القول إلى : رجال الكشّي: ص٣٣٧ .

٤ الحر العاملي: هو محمد بن الحسن بن علي العاملي، الملقب بالحر(١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ): فقيه إمامي، مؤرخ. ولد في قرية مشغر (من جبل عامل بلبنان) وانتقل إلى (جبع) ومنها إلى العراق، وانتهى إلى طوس (بخراسان) فأقام وتوفي فيها. له تصانيف، منها:(الجواهر السنية في الاحاديث القدسية) و (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) و (هداية الأمة إلى أحكام الائمة) و (الفصول المهمة في أصول الائمة) وله (ديوان) قال الخوانساري (في روضات الجنات) بعد أن ذكر مؤلفاته: لا يخفى انه وإن كثرت تصانيفه كما ذكره إلا أنها خالية عن التحقيق، تحتاج إلى تهذيب وتنقيح وتحرير. الأعلام للزركلي ٦/٩٠ .

٥نسب هذا القول إلى : الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ص١٧١.

٦ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ٢/٦٣٤ .

قوله ﷻ:﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(البقرة١٤٣)
وقوله ﷻ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾
(النساء٤١) وقوله ﷻ:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(هود ١٧)،
والشاهد أمير المؤمنين، وقوله ﷻ:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾
(الغاشية٢٥/٢٦)"[١].

ووجه استدلالهم بهذه الآيات: أن الأئمة هم الشهداء على الناس،وعليهم حسابهم يوم القيامة.

قال شيخهم الصدوق في ذكر من يتولى الحساب يوم القيامة:" منه ما يتولاه الله تعالى، ومنه ما يتولاه حججه، فحساب الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام يتولاه الله ﷻ، ويتولى كل نبي حساب أوصيائه ،ويتولى الأوصياء حساب الأمم، والله تعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء،والأئمة شهداء على الناس، وذلك قوله ﷻ:﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(البقرة١٤٣)وقوله ﷻ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ (النساء٤١)،وقال ﷻ:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(هود ١٧)، والشاهد أمير المؤمنين، وقال ﷻ:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية٢٥/٢٦)"[٢].

١أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشريةناصر بن عبد الله بن علي القفاري ٦٣٤/٢ .

٢الاعتقادات في دين الإماميةللصدوق ص٧٣ .

الرد عليهم:

١.قوله ﷻ:﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(البقرة١٤٣)

إن المقصود هنا بالشهداء في الآية هم عموم أمة محمد ﷺ، وليس الأئمة أو الأوصياء كما ذهب إليه الشيعة ، فالآية عامّة وتخصيصها بالأئمة والأوصياء يحتاج إلى دليل مخصص، ولا يوجد دليل[١].

ثم إن معنى شهادتهم هنا:هي إقرارهم بما أخبرهم الله ﷻ في كتابه الكريم أو في سنة رسوله ﷺ من أن الأنبياء قد بلّغت أممها البلاغ الكامل ولم يقصّروا في ذلك بشيء، وليس معناه محاسبتهم للعبيد.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" قوله تعالى:﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج[٢]: قلت لعطاء، ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس؟ قال:أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿ﷺعَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلا مزكيا لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: "ألم يأتكم نذير"(٨-الملك) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة -وهو أعلم بهم -إقامة للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا، أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم "[٣] .

---

١ من خلال تتبع كتب التفسير لم يقل أحد من المفسرين بأن الأئمة والأوصياء هم الشهود. انظر:جامع البيان للطبري ١٤٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٤/٢ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٤/١ ، وغيرها.

٢ ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد(٨٠ - ١٥٠ هـ): فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل من موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس. الأعلام للزركلي٤/١٦٠.

٣ معالم التنزيل ١٥٩/١ .

٢. وقوله ﷻ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ (النساء٤١).

المقصود بالشهيد على كل أمة من الأمم هو نبيها الذي بعث إليها،ثم يكون رسول الله محمد ﷺ شاهدا على أمته وعلى الأمم من قبله، وشهادتهم على الأمم إقرارهم بتبليغهم الحق دون محاسبتهم، فليس الأئمة أو الأوصياء هم الشهداء في الآية.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقوله:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ يقول تعالى -مخبرًا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة وحين يجيء من كل أمة بشهيد -يعني الأنبياء عليهم السلام- كما قال تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (الزمر:٦٩) وقال تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩] "[١].
وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد] يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد، ﴿عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ شاهدًا يشهد على جميع الأمم على من رآه وعلى من لم يره"[٢].

٣. وأما قوله ﷻ:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(هود ١٧)، قالوا: والشاهد أمير المؤمنين.
جاء في تفسير الآية عند الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" ومعناه: أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو مَنْ كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على بينة من ربه: النبي ﷺ.

---

١ تفسير القرآن العظيم ٣٠٦/٢ .

٢ معالم التنزيل ٢١٧/٢ .

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي: يتبعه من يشهد به بصدقه. واختلفوا في هذا الشاهد فقال ابن عباس، وعلقمة[1]، وإبراهيم[2]، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام.

وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ.

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده.

وقال الحسين بن الفضل[3]: هو القرآن ونظمه وإعجازه.

وقيل: هو علي بن أبي طالب ﷺ. قال علي: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القرآن، فقال له رجل: وأنت أيُّ شيء نزل فيك؟ قال: { وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ }.

وقيل: شاهد منه هو الإنجيل "[4] .

فهنا نلاحظ أنه قد ورد في إحدى المعاني للشاهد أنه علي بن أبي طالب ﷺ، إلا أن هذا القول ضعيف جدا ،فالإمام البغوي رحمه الله تعالى قد استخدم صيغة التضعيف(قيل) عند حكايته، وكذلك ضعفه الإمام ابن كثير في تفسيره فقال:"وقيل: هو عليّ. وهو ضعيف لا يثبت له قائل".[5]

---

١ علقمة: هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق.يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون. وشهد صفين. وغزا خراسان. وأقام بخوارزم سنتين، وبمرو مدة. وسكن الكوفة، فتوفي فيها سنة٦٢ هـ . الأعلام للزركلي٤/٢٤٨ .

٢ إبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود، أبوعمران النخعي، من مذحج(٤٦ - ٩٦ هـ): من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب. ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله . الأعلام للزركلي١/٨٠ .

٣الحسين بن الفضل: هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي(١٧٨ - ٢٨٢ هـ):مفسر معمر، كان رأسا في معاني القرآن. أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة ٢١٧) فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة.وكان قبره بها معروفا. الأعلام للزركلي ٢/٢٥١.

٤ معالم التنزيل ٤/١٦٦ .

٥ تفسير القرآن العظيم ٤/٣١٢ .

وقال عنه محقق تفسير البغوي . معالم التنزيل:"أخرجه الطبري بسند فيه جابر الجعفي[1]، وهو ضعيف، وكان رافضيا من أتباع عبد الله بن سبأ[2]".

وقال أيضا:"ورجح الطبري رحمه الله أن أولى الأقوال في تأويل قوله تعالى: [ويتلوه شاهد منه] هو قول من قال: "هو جبريل" لدلالة قوله: [ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة] على صحة ذلك. وقال ابن كثير رحمه الله: (هو ما أوحاه الله إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية[3] والضحاك وإبراهيم النخعي والسدي وغير واحد في قوله تعالى: "ويتلوه شاهد منه": إنه جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه والحسن وقتادة هو محمد ﷺ. وكلاهما قريب في المعنى لأن كلا من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلَّغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة)"[4].

فالمقصود بالشاهد الذي رجّحه أهل العلم هو جبريل عليه السلام .

---

١ جابر الجعفي:هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله: تابعي، من فقهاء الشيعة، من أهل الكوفة. أثنى عليه بعض رجال الحديث، واتهمه آخرون بالقول بالرجعة. وكان واسع الرواية غزير العلم بالدين. مات بالكوفة سنة١٢٨ هـ . الأعلام للزركلي ٢/١٠٥.

٢ عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه رجعة النبي ﷺ فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد ! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق ! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له " ابن السوداء " لسواد أمه. وفي كتاب البدء والتاريخ: يقال للسبئيه" الطيارة " لزعمهم أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس، وأن عليا حي في السحاب، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: غضب علي ! ويقولون بالتناسخ والرجعة. وقال ابن حجر العسقلاني " ابن سبأ، من غلاة الزنادقة، أحسب أن عليا حرقه بالنار. وفاته نحو ٤٠ هـ . الأعلام للزركلي ٤/٨٨ .

[3]أبو العالية: رفيع بن مهران، الامام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الاعلام. أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق. حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته. قال أبو بكر بن أبي داود: وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية.وبعده سعيد بن جبير.توفي سنة٩٠هـ وقيل ٩٣هـ. (سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٧).

٤ معالم التنزيل للبغوي ٤/(١٦٦ – ١٦٧) .

ثم إنّه على فرض صحة كون المقصود بالشاهد هو علي ﷺ، فيكون معناه في الآية: شاهد على نبوة الرسول محمد ﷺ في الدنيا، وليس محاسبًا للخلق يوم القيامة.

٤.وقوله ﷻ:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية٢٥/٢٦) .

فزعموا أن الأئمة والأوصياء هم من يحاسبون شيعتهم واتباعهم.

جاء في بحار الأنوار:"أسألك عن قول الله تعالى:(إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) قال فينا التنزيل، قلت إنما أسألك عن التفسير، قال نعم ياقبيصة إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا علينا فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمد ﷺ من الله، وماكان فيما بينهم وبين الناس من المظالم أداه محمد ﷺ عنهم ، وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتى يدخلوا الجنة بغير حساب"[1].

والجواب عليهم:

أن المقصود بالإياب: هو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ليجازي الخلائق ويحاسبهم. فحساب الخلائق كلهم هو مما اختصّ الله ﷻ به، وهذا هو الذي يفهم من تقديم الظرفين في الآية (إلينا) و (علينا) ، فقُدِّم هنا ماحقه التأخير ليدل على الاختصاص، أي اختصاص رجوعهم وحسابهم برب العالمين جلّ في علاه.

قال الفخر الرازي:"فائدة تقديم الظرف التشديد بالوعيد ، فإن إِيابَهُمْ ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام ، وأن حسابهم ليس بواجب[2] إلا عليه ، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ، ".[3]

بل أنه حتى النبي الكريمﷺ – الذي هو أكرم الخلائق على ربه ﷻ – لا يملك شيئا من حساب الخلائق، إنما عليه مجرد البلاغ، وحساب الخلائق يكون لله ﷻ، قال تعالى:﴿مَا

١المجلسي ٢٠٣/٧ .

٢ عبارة الرازي هنا:(وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه) هذه ليست من تعبير أهل السنة، فأهل السنة لا يوجبون على الله سبحانه وتعالى شيئا والله تعالى أعلم.

٣مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١ .

عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الأنعام/٥٢) وقال سبحانه:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾(الشورى٤٨).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" وقوله:(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعْلِمُ بذلك نبيه محمدًا ﷺ أنه– أي الله تعالى– المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة".[1]

فإذا كان هذا في حق النبي الكريم ﷺ، فكيف بمن دونه ؟!! والله تعالى أعلم.

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٣٩١/٢٤ .

المطلب الثاني: الحساب عند المعتزلة وشبههم فيه.

أثبت المعتزلة وقوع الحساب يوم القيامة ،ولم ينكروا أصله، قال القاضي عبد الجبار:"وأما الحساب فمما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ (الإنشقاق/٧،٨،٩) "[١]

وإنّما كانت مخالفتهم في الطريقة التي أثبتوها للحساب يوم القيامة فقد قال القاضي عبد الجبار:" غير أن محاسبة الله إيانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين فإن ذلك فيما بيننا إنما يكون بعقد الأصابع ،أوما يجري مجراه وليس هكذا محاسبة الله عباده،فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري في قلبه أنه يستحق من الثواب كذا ومن العقوبة كذا فيسقط الأقل بالأكثر، وعلى هذا صح ذلك بسرعة على ما دل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(آل عمران ١٩٩/المائدة ٤/إبراهيم ٥١/غافر ١٧)"[٢].

فكانت مخالفتهم في إثبات كيفية معينة للحساب تقتضي أن يكون على وجه الإجمال، لا على وجه التفصيل؛ حتى تتحقق فيه صفة الإسراع ، وذلك بأن يخلق في قلب كل واحد من العباد علمًا ضروريًا يجعله عالما ذاكرا لكل ما قدّم أو أخّر.

شبهتهم :

قوله تعالى:﴿إن الله سريع الحساب﴾ ، ففهموا أنه لا وجه لسرعة الحساب إلا إذا كان على هذه الهيئة التي ذكروها آنفا.

---

١ شرح الأصول الخمسة ص٧٣٦ .

٢ نفس المرجع والصفحة .

الرد عليهم:

تقرر سابقا أن الله سبحانه وتعالى يحاسب عباده ويفصل بينهم يوم القيامة، وأنه سبحانه موصوف بكونه سريع الحساب، بمعنى أنه محيط بجميع أعمال العباد، فلا يغيب عنه سبحانه شيء منها،قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"﴿إنّ الله سريع الحساب﴾(آل عمران ١٩٩)، وسرعة حسابه تعالى ذكره: أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها، وبعد ما عملوها، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك، فيقع في الإحصاء إبطاء، فلذلك قال:"إن الله سريع الحساب"[1].

فهذا هو المعنى المراد لسرعة الحساب، وليس كما فهمه هؤلاء من كون الحساب يقع على وجه الإجمال بما يخلق في قلوب العباد من العلم الضروري الذي يجعلهم عالمين بما لهم من ثواب، وما عليهم من عقاب.

ثم يقال لهم : إن قولكم بأنه لا وجه لسرعة الحساب إلا أن يكون وفق هذه الطريقة التي قررتموها، هذا فيه تهوين من قدرة الله النافذة على كل شيء ، وما أوقعكم في ذلك إلا إنه قد انقدح في عقولكم تشبيه للخالق القدير بالمخلوق العاجز ، وهو ما يسمى بقياس الغائب على الشاهد وهذا من أبطل الباطل.

فالله سبحانه وتعالى يحاسب سريعا لأنه ليس مثل خلقه، فخلقه وبعثه لجميع الخلائق ليس إلا كنفس واحدة قال تعالى:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان/٢٨).

. وهناك شواهد من السنة النبوية تثبت أن حساب العباد يقع يوم القيامة بكيفيات مختلفة كل بحسبه، غير ما قرره المعتزلة في الطريقة التي ذكروها.

---

١ تفسير الطبري ٧/٥٠١ .

١.فمن العباد من يناقش الحساب مناقشة، كما ورد ذلك عن المصطفى ﷺ، فعن عائشة ، عن النبي ﷺقال :(من نوقش الحساب عذب،قالت:قلت أليس يقول الله تعالى:﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ قال ذلك العرض)[1].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:" (قوله باب من نوقش الحساب عذب) هو من النقش وهو استخراج الشوكة .. والمراد بالمناقشة: الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة يقال انتقشت منه حقي أي استقصيته"[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" باب إثبات الحساب قوله ﷺ:(من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) معنى نوقش استقصى عليه. قال القاضي: وقوله:(عذب) له معنيان أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني:أنه مفض إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى هلك مكان عذب"[3].

ففي هذه النقول عن الأئمة دلالة واضحة على أن هذا العبد كان حسابه هكذا على وجه المناقشة والاستقصاء، وليس بمجرد معرفة داخلية وعلم ضروري خلق داخل العبد عرف به ما له من الثواب وما عليه من العقاب كما زعم القاضي عبد الجبار.

٢.وعن صفوان بن محرز المازني قال بينما أنا أمشي مع ابن عمر ، رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في

---

١ رواه البخاري واللفظ له ، كتاب بدء الوحي،باب من نوقش الحساب عذب، ١٣٩/٨ ، ورواه مسلم ، باب إثبات الحساب ١٦٤/٨ .

٢ فتح الباري ٤٠١/١١ .

٣ شرح مسلم ٢٠٨/١٧ .

الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)[1].

٣.وعن عبد الله بن عمرو بن العاصﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:(إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر ؟ فيقول: لا يارب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء).[2]

وقد بوّب الإمام البغوي في كتاب شرح السنة بابا سمّاه:(الحساب والقصاص)[3]، ذكر فيه كلا من الأحاديث الثلاثة السابقة، مما يؤكد أن أهل السنة إنما فهموا من مجمل هذه الأحاديث أن الحساب يكون يوم القيامة على هذه الكيفيات المذكورة في النصوص وغيرها مما لم يذكر لنا مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكل ذلك لا يتعارض مع يقينهم بأن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"فلما نفى النبي ﷺ مناقشة الحساب عن الناجين لم ينف كل ما يسمى حسابا. والحساب يراد به: الموازنة بين الحسنات والسيئات وهذا يتضمن المناقشة، ويراد به عرض الأعمال على العامل وتعريفه بها.

---

١ رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب قول الله تعالى:﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ ١٦٨/٣ ، ورواه مسلم ،بابقبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ١٠٥/٨ .

٢ رواه الترمذي ، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ،برقم(٢٦٣٩) ،٢٤/٥ ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب .

١٣٠/١٥٣ .

ولهذا لما تنازع أهل السنة في الكفار هل يحاسبون أم لا كان فصل الخطاب إثبات الحساب بمعنى عد الأعمال وإحصائها وعرضها عليهم لا بمعنى إثبات حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم".[1]

ومن باب الإنصاف فإن هؤلاء القوم لم ينكروا مساءلة الله لعباده يوم القيامة وقد أثبت ذلك القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة[2]،ولكن لعله يقصد وقوع هذه المسائلة في وقت دون وقت الحساب بدليل إثباته كيفية معينة للحساب تقتضي خلوه من المناقشة والمراجعة، والله تعالى أعلم.

---

١ درء تعارض العقل والنقل ٢٢٩/٥ .

٢ ص ٧٣٦ .

الفصل السابع: الصحف.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصحف عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الصحف عند المخالفين .

المبحث الأول:

مفهوم الصحف عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: الصحف عند أهل السنة والجماعة.

الصحف في اللغة:

قال ابن فارس:"(صحف) الصاد والحاء والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انبساطٍ في شيءٍ وسَعَةٍ...

ومن الباب الصَّحيفة، وهي التي يُكتَب فيها، والجمع صحائف، والصُّحفُ أيضاً، كأنَّه جمع صحيف"[١].

أمّا المراد بالصحف في الشرع:

فهي الكتب التي تكتب فيها الملائكة الكرام أعمال العباد، ثم يؤتى كل عبد يوم القيامة صحيفته إمّا بيمينه وإمّا بشماله لينظر أعماله وما أحصي عليه فيها.

قال السفاريني رحمه الله تعالى:"وكذا وقوف الخلق لأخذ الصحف:جمع صحيفة ، وهي الكتب كتبتها الملائكة ، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية ، وقيل هي صحف تكتبها العباد في قبورها"[٢].

وقال القرطبي:"المراد: صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت وتنشر في يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها".[٣]

وفي تحفة الأحوذي:"الصحف بضمتين: جمع الصحيفة، وهو المكتوب".[٤]

---

١ مقاييس اللغة ٣/٣٣٤ .

٢ لوامع الأنوار ٢/١٨٠ .

٣ الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٣٤ .

٤ للمباركفوري ٧/٩٤ .

عقيدة أهل السنة في الصحف:

عدّ أهل السنة والجماعة أن كتابة صحائف الأعمال ، ونشرها على الخلائق يوم القيامة من العقائد التي لابد من الإيمان والإقرار بها.

. وقد جاء ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، حيث قال:"ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺمما يكون بعد الموت : فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه... وتنشر الدواوين – وهي صحائف الأعمال – فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراًاقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (الإسراء ١٣/١٤) ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن".[١]

وكذلك حكى الإمام الأشعري رحمه الله تعالى إجماع أهل السنة على الإيمان بجملة الأمور الغيبية التي منها الإيمان بنشر الصحف يوم القيامة، فقال:"الإجماع التاسع والثلاثون: وأجمعوا على أن عذاب القبر حق... وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابا يسيرا ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرا"[٢].

١ متن العقيدة الواسطية ص ٣٣ .

٢رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب للأشعري ٢٨٥/١ .

النصوص الدالة عليها:

دلّت كثير من نصوص الوحيين على إثبات وجود الصحف، وكتابة الملائكة الكرام لها، ثم نشرها للخلائق يوم القيامة ، وهذه بعض النصوص الواردة في ذلك:

قال تعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراًاقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (الإسراء١٤)

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" يقول تعالى ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله(أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ) مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن"[١].

وقال تعالى:﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (الإسراء ٧١)

وقال تعالى:﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(الكهف٤٩)

وقال تعالى:﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الزمر٦٩)

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٣٩٧/١٧ .

وقال تعالى:﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الجاثية٢٩)

وقال تعالى:﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾(التكوير١٠)

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ[١] قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ ﷺآخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺفِي النَّجْوَى فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:(إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ:نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ،وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ:سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[٢].

قال السفاريني رحمه الله تعالى:"والحاصل أن نشرالصحفوأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع"[٣].

---

١ صفوان بن محرز: هو صفوان بن محرز المازني البصري، العابد، أحد الاعلام. قال ابن سعد: ثقة، له فضل وورع. وقال غيره: كان واعظا، قانتا لله، قد اتخذ لنفسه سربا يبكي فيه. سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٦ .

٢ رواه البخاري واللفظ له، بَابٌ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ٣/١٦٨ ، ورواه مسلم ، باب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ ٨/١٠٥ .

٣ لوامع الأنوار ٢/١٨٠ .

المبحث الثاني:

الصحف عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

الصحف عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

لم يخالف أهل السنة والجماعة في مسألة الصحف إلا الجهم بن صفوان[1] ، فأنكر وجود الملائكة الكرام الكاتبين التي تكتب أعمال العباد في صحائفهم،وقد نسب هذا الإنكار للجهم الملطي[2] في تنبيهه، فقال رحمه الله تعالى:"وأنكر جهم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ*كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار١٠/١١) "[3] .

ولم ينقل الملطي عن الجهم أي حجة أو شبهة لهذا الإنكار، حتى يتم الرد عليها، أو مناقشتها. إنّما كان إنكاره مجردا عن الدليل. وجملة النصوص الشرعية التي ورد فيها ذكر الصحف مما أشير إليه في المبحث السابق كافية في الرد على هذا المنكر وإفحامه، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

١ جهم بن صفوان: هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل سنة(١٢٨ هـ). الأعلام للزركلي ١٤١/٢ .

٢ الملطي: هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني: عالم القرآت. من فقهاء الشافعية: من أهل " ملطية " نزل بعسقلان، وتوفي بها سنة(٣٧٧ هـ). له تصانيف في الفقه وغيره، منها " التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع" و " قصيدة " في ٥٩ بيتا، عارض بها قصيدة لموسى ابن عبيد الله الخاقاني، في وصف القراءة والقراء .الأعلام للزركلي ٣١١/٥ .

٣التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – أبي الحسين محمد الملطي ص ١١١ .

الفصل الثامن: الميزان.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الميزان عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الميزان عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الميزان مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

المبحث الأول :

مفهومالميزان عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول: الميزان عند أهل السنة والجماعة.

الميزان في اللغة:

قال ابن منظور:"الوَزْنُ ثَقْلُ شيء بشيء مثلِه... ويقال للآلة التي يُوزَنُ بها الأَشياء مِيزانٌ أَيضاً،قال الجوهري: أَصله مِوْزانٌ انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعه مَوَازين وجائز أَن تقول للمِيزانِ الواحد بأَوْزانِه مَوازِينُ"[1].

أما في الشرع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"(الميزان) هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة"[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين[3] رحمه الله تعالى:" الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد"[4].

---

١ لسان العرب ٤٤٦/١٣ .

٢ مجموع الفتاوى ٣٠٢/٤ .

٣ ابن عثيمين:هو العلامة الفقيه المفسر أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي. (١٣٤٧هـ . ١٤٢١هـ)، عضو هيئة كبار العلماء ورئيس قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود ، له كتب ومؤلفات كثيرة منها: الشرح الممتع على زاد المستقنع ، شرح العقيدة الواسطية ، مجموع فتاوى ، مناسك الحج والعمرة ، الاعتدال في الدعوة ، الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه ، رسالة في سجود السهو ، القول المفيد على كتاب التوحيد ، كتاب العلم ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.وغيرها ، للاستزادة أنظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد للدكتور ناصر الزهراني .

٤ شرح لمعة الاعتقاد ص١٢٠ .

وقد ذكر أهل السنة الميزان في جملة العقائد التي قرروها، ومن ذلك :

ما جاء في شرح السنة:"والإيمان بالميزان يوم القيامة يوزن فيه الخير والشر له كفتان وله لسان".[1]

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :"والميزان حق له كفتان توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق".[2]

وقال الأشعري:"واختلفوا في الميزان، فقال أهل الحق: له لسان وكفتان توزن في احدى كفتيه الحسنات وفى الاخرى السيئات".[3]

وصفه:

أمّا بالنسبة لكفتي الميزان فإنّهما قد ثبتتا بالنص المرفوع،فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول:أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول: لا يارب فيقول:بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول:احضر وزنك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال:إنك لا تظلم. قال:فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)[4].

---

١ البربهاري ٢٥/١ .

٢ اللالكائي ١٧٧/١ .

٣ مقالات الإسلاميين ص٤٧٢ .

٤ رواه الترمذي واللفظ له،باب:فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم(٢٦٣٩) ،٢/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب ، ورواه ابن ماجه ، كتاب الزهد برقم(٤٣٠٠) ، ٣٥٦/٥ .

وأمّا كونه موصوفًا بأن له لسانا فقد ذكر ذلك بعض مصنفي العقائد، ولكن ذلك الوصف لم يرد مرفوعا عن النبي ﷺ ، وإنما ورد في أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن البصري رحمه الله.

. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:(الميزان له لسان وكفتان يوزن فيه الحسنات، والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فتثقل على السيئات " . قال: " فيؤخذ فيوضع في الجنة عند منازله ثم يقال للمؤمن الحق بعملك " . قال: " فينطلق إلى الجنة فيعرف منازله بعمله " . قال: " ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخفف، والباطل خفيف فيطرح في جهنم إلى منازله منها ويقال له: الحق بعملك إلى النار " .قال: " فيأتي النار فيعرف منازله بعمله، وما أعد الله فيها من ألوان العذاب " قال ابن عباس:" فلهم أعرف بمنازلهم في الجنة والنار بعملهم من القوم فينصرفون يوم الجمع راجعين إلى منازلهم)[1]

. وقال الحسن البصري:(للميزان لسان وكفتان).[2]

وقد استشهد كثير من العلماء بهذين الأثرين على إثبات اللسان والكفتين للميزان، ولم أقف على تصحيح أو تضعيف لهما.

. ومن النصوص الواردة في إثبات الميزان:

أولا: من القرآن الكريم:

*قوله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(الأنبياء٤٧)

١أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، فصل وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، ٤٤٧/١ .

٢ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٧١/٣ .

*وقوله تعالى:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾(المؤمنون١٠٢)

ثانيا: من السنة النبوية:

١.و عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)[١] .

٢.و عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:(يد الله ملأى،لا يغيضها نفقة،سحاء الليل والنهار ،وقال:(أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده)،وقال:(عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع)[٢].

٣.وعن أبى مالك الأشعري ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض،والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)[٣].

٤.وعن سلمان ﷺ:عن النبي ﷺقال:(يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات و الأرض لوسعت فتقول الملائكة:يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من

١ متفق عليه، رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي، باب فضل التسبيح١٠٧/٨ ، ورواه مسلم ، باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء ،٧٠/٨ .

٢ رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب قول الله تعالى:﴿لما خلقت بيدي﴾ ،١٥٠/٩ ، لا يغيضها: لا ينقصها ، سحاء: دائمة .

٣ رواه مسلم ، باب فضل الوضوء ،١٤٠/١ .

خلقي فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك و يوضع الصراط ...)[1] .

٥.وعن أنس بن مالك عن أبيهﷺ قال:سألت النبي ﷺأن يشفع لي يوم القيامة،فقال:(أنا فاعل،قال:قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال:اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قال:قلت: فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال:فاطلبني عند الميزان،قلت:فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن)[2].

. المباحث المتعلقة بالميزان:

١. هل الميزان واحد أم متعدد؟

اختلف أهل العلم في كون الميزان يوم القيامة واحد أم هي موازين متعددة، ومنشأ الخلاف كونه ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ الجمع،بينما ورد في السنة المطهرة تارة بلفظ الجمع وتارة بلفظ المفرد.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:"فصل:ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع و جاءت السنة بلفظ الإفراد والجمع فقيل:يجوز أن يكون هنالك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله...و يمكن أن يكون ميزانا واحدا عبّر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى:﴿كَذَّبَتْعَادٌالْمُرْسَلِينَ﴾(الشعراء ١٢٣) و﴿كَذَّبَتْقَوْمُنُوحٍالْمُرْسَلِينَ﴾(الشعراء ١٠٥) وإنما هو رسول واحد. و قيل: أراد بالموازين جمع موزون أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان"[3].

---

١ أخرجه الحاكم في مستدركه ، رقم(٨٧٣٩)،٦٢٩/٤ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم .

٢ رواه الترمذي برقم(٢٤٣٣) ٦٢١/٤ ، وقال:هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه،وصححه الألباني .

٣ التذكرة ٧٣٤/١ .

٢. ما الذي يوزن: العمل أم العامل؟

اختلف أهل العلم في ذلك :

فمنهم من قال:الذي يوزن هو العمل، وهذا القول لابن عباس نسبه إليه البغوي[١] .

ومنهم من قال:الذي يوزن هو العامل،وهذا القول ذكره ابن كثير في تفسيره[٢]، واستشهد عليه بحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال :(إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا ﴿فَلَانُقِيمُلَهُمْيَوْمَالْقِيَامَةِوَزْناً﴾(الكهف ١٠٥))[٣].

ومنهم من قال:الذي يوزن هو صحائف الأعمال، وهذا القول لابن عمر نسبه إليه القرطبي[٤]. وكل قول من هذه الأقوال له شواهد يستند عليها.

ولكن الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى،قام بالجمع والتوفيق بين هذه الأقوال المختلفة فقال:" قلت والذي استظهر من النصوص –والله أعلم– أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال قال رسول الله ﷺ: (توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصي عليه فيمايل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن ﷻ يقول لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع

١ معالم التنزيل ٢١٥/٣ .

٢تفسير القرآن العظيم٣٩٠/٣ .

٣ رواه البخاري ، باب:﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾ الآية، ١١٧/٦ .

٤ الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٧ .

الرجل في كفة حتى يميل به الميزان)[1] . فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة"[2] .

٣. الحكمة في الوزن وإقامة الميزان يوم القيامة:

اجتهد بعض أهل العلم فذكروا الحكمة في الوزن وإقامة الموازين يوم القيامة،فقال السفاريني: "فإن قيل ما الحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ أجاب الثعلبي[3]:بأن الحكمة في ذلك تعريف الله عبيده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر. وقال العلامة الشيخ مرعي[4]: بل الحكمة فيه إظهار العدل وبيان الفضل حيث إنه يزن مثقال الذرة من خير أو شر ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(النساء ٤٠)"[5] .

---

١ رواه الإمام أحمد برقم(٧٠٦٦) ،٢٢١/٢. وقال شعيب الأرنؤوط :هذا إسناد حسن على خطأ فى اسم أحد رواته، ورواية قتيبة عن ابن لهيعة كرواية أحد العبادلة.

٢ معارج القبول ص٨٤٩ .

٣ الثعلبي: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبي توفي سنة ٤٢٧ هـ . الأعلام للزركلي ٢١٢/١ .

٤ مرعي: هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى:مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء. ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفى فيها سنة ١٠٣٣ هـ. له نحو سبعين كتابا، منها (بديع الإنشاء والصفات) يعرف بإنشاء مرعي، و (ديوان شعر) و (إحكام الأساس في أول بيت وضع للناس) و (غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى) في فقه الحنابلة، و (دليل الطالب) فقه، و (أرواح الاشباح في الكلام على الأرواح) و (الكلمات السنيات) تفسير، و (مسبوك الذهب في فضل العرب) و (رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار) و (دليل الطالبين لكلام النحويين) رسالة وغيرها . الأعلام للزركلي ٢٠٣/٧ .

٥ لوامع الأنوار ١٨٤/٢ .

وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"...فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم".[1]

وأخيرا يقال سواء كان الميزان يوم القيامة واحدا أو متعددا،وسواء كان الموزون هو العمل أو العامل أو صحيفة العمل ، وسواء علمنا الحكمة في وضع الميزان أو لم نعلمها، فنحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى الحكيم العليم الخبير لا يفعل شيئا إلا وهو في غاية الحكمة والدقة والإتقان قال سبحانه وتعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة/٧).

ومثل هذه الأمور لا تؤثر في إيماننا بالميزان، بمعنى أننا نؤمن به على هيئته التي هو عليها سواء علمناها أم لم نعلمها ،ولا يوجد كبير فائدة في الإغراق في معرفة ذلك وتطلبه والبحث عنه ما لم يرد دليلقاطع في ذلك،إذ لو كان له كبير أثر في الإيمان لبيّنه لنا الشارع وما جعله مجالا للاجتهاد، وهاهنا فائدة وهي أن مسائل العقيدة ليست كلها توقيفية بل هناك مسائل هي في مجال الاجتهاد[2] . والله تعالى أعلم . .

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٣١٢/١٢ .

[2] انظر: مشروعية الاجتهاد في فروع الاعتقاد ، للدكتور: شريف أحمد الخطيب.

المبحث الثاني :

مفهوم الميزان عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الميزان عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

خالفت بعض الفرق في مسألة الميزان، فذهبت إلى إنكاره وزعمت أن لا داعي لنصبه وأن الأعمال عبارة عن أعراض يستحيل وزنها، وممن ذهب لذلك منهم فرقة الجهمية والمعتزلة والخوارج.

وقد حكى كتاب الفرق والمقالات ذلك عنهم،فقد قال الأشعري رحمه الله تعالى:"واختلفوا في الميزان:فقال أهل الحق:له لسان وكفتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفى الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة.

وقال أهل البدع[1]:بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفّات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن، و أنكروا الميزان وقالوا يستحيل وزن الأعراض؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة. وقال قائلون[2] بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار .

وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها"[3].

---

١ لعل مراد الأشعري رحمه الله تعالى هنا(بأهل البدع): الخوارج، والشيعة، إذ أنه نصّ بعدها على مذهبهم في الميزان.

٢ لعل ابن حزم رحمه الله تعالى هو من أصحاب هذا القول إذ أنه أثبت الميزان ، ولكنه أنكر وصفه بالكفتين واللسان.

٣مقالات الإسلاميين ص٤٧٢ .

وذكر ذلك أيضا ابن حزم رحمه الله تعالى فقال:"وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأة و إقداما، وتنطع آخرون فقالوا[1]: هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا إقدام آخر لا يحل، قال الله ﴿ﷻوَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور١٥) "[2].

وكلام الإمام ابن حزم يرحمه الله تعالى يظهر منه إنكاره لما ثبت من وصف الميزان بالكفتين، ولعله رحمه الله تعالى لم يثبت عنده، أو لم يصح عنده في ذلك شيء، لأنه قال بعد ذلك:"وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن أو بما جاء عن رسول الله ﷺ،ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان، ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلناه به فإذ لا يصح عليه السلام في ذلك شيء فلا يحل لأحد أن يقول على الله ﷻ ما لم يخبرنا به".[3]

وسيأتي عرض شبهات كل فرقة والرد عليها على حدة إن شاء الله تعالى.

---

١ لم أقف على من قال بهذا القول.

٢ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٥٤ .

٣نفسه .

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في الميزان مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبه الجهمية في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه الشيعة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الرابع: شبه المعتزلة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: الميزان عند الجهمية.

أنكرت الجهمية وضع الموازين يوم القيامة ، واعترضت على أن يكون ثمة ميزان حقيقي له لسان وكفتان.

وقد حكى ذلك عنهم بعض العلماء من أمثال الملطي رحمه الله تعالى في تنبيهه حيث قال – لما استعرض الفرق المتشعبة من الجهمية وأهم أفكار كل فرقة منهم – :"ومنهم صنف أنكروا الميزان، أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم"[1]

وقال بوجه الخصوص عن قائدهم الجهم بن صفوان:"وأنكر جهم الميزان والله ﷻيقول:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(الأنبياء٤٧) "[2].

وكذلك نسب البغدادي للجهمية إنكار الميزان[3].

وجاء في كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام نسبة هذا الإنكار للجهمية، حيث قال صاحبه:"الميزان من أمور الآخرة الغيبية التي يجب الإيمان بها وقد أنكرته الجهمية"[4].

---

١ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع/أبي الحسين محمد الملطي ص٩٨ .

٢ نفس المرجع ص١١٠ .

٣ أصول الدين ص٢٤٥ .

٤د/غالب عواجي ١١٥١/٣ .

وإنكار الجهمية للميزان لم يكن له ما يبرره ، إذ لم ينقل عنهم دليل أو نص شرعي اشتبه عليهم وكان سببًا في إنكارهم، وإنّما هو محض العناد والاستكبار كما ذكر ذلك عنهم صاحب كتاب فرق معاصرة، قال:" كما أنكروا أن يكون هناك ميزان حقيقي له كفتان ولسان، معرضين عن النصوص الثابتة بذلك"[1] .

١د/غالب عواجي ١١٥٣/٣ .

المطلب الثاني: الميزان عند الخوارج وشبههم فيه.

أنكر الخوارج أيضًا الميزان الحسي الذي يكون يوم القيامة ، جاء في كتاب الإباضيةمذهب إسلامي معتدل:"الميزان ليس حسيا وإنما هو الفصل الحق بين أعمال الخلق"[1].

فهم يعتبرون أن معنى ذلك يرجع إلى تمييز الله تبارك وتعالى بين أعمال العبيد ونياتهم الحسنة منها والسيئة، بدون الحاجة إلى إثبات ميزان حقيقي كما وردت به وبوصفه النصوص الشرعية.

كما بيّن ذلك صاحب كتاب فرق معاصرة تنتسب للإسلام، فقال:"وأما الميزان الذي جاءت به النصوص وثبت أن له كفتين حسيتين مشاهدتين توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف، ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال، بمعنى: تمييزه بين الحسن منها والسيئ، وإن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة،وعلى الصفات التي جاءت في السنة النبوية"[2] .

قال إمامهم السالميّ في أرجوزته (أنوار العقول):

وإنّما الميزان في الحسبان عدل وإنصاف من الرحمن

لا مثل قول ذي الخلاف إذ غدا يؤولنه كفة واعمدا[3]

وقال في شرحه:"واختلفت الأمة في تأويله فذهب أصحابنا وجمهور المعتزلة إلى أنه عبارة عن ثبوت السعادة لقوم والشقاوة لآخرين على سبيل الاستعارة التمثيلية، حيث شبه ثبوت العمل

---

١ لعلي يحيى معمر ص١١ .

٢د/غالب بن علي عواجي١/٢٧٢ .

٣ مشارق أنوار العقول ٢/١٢٥ .

الصالح بثقل الموازين، والعمل السيئ بخفتها،على وجه لا يظلم أحد فيه شيئا،وهو معنى قول الناظم: عدل وإنصاف،فإن من ثبت له العمل الصالح لا ينقص منه شيئا، ومن ثبت له العمل السيئ لا يزاد عليه شيئا، وذلك هو العدل والإنصاف، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾(الأعراف ٨)،ففسر الوزن بأنه الحق،﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ فالقسط بدل من الموازين لا صفة لها، ويعضده قوله تعالى:﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾(الكهف ١٠٥)، فإنه دل على أن الكافر لا يقام له وزن يوم القيامة، فيلزم القائل بثبوت الوزن الحقيقي أن يقول: أنه خاص بما عدا الكافر ، وهم لا يقولون بذلك"[١].

شبههم:

تضمن النقل السابق عن إمامهم السالميّ أبرز الشبهات لديهم في إنكار الميزان، وهي في:

١.قوله تعالى:﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ (الأعراف ٨).

ووجه استدلالهم بها هو:تفسير الوزن بأنه الحق.[٢]

٢. وقوله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ (الأنبياء٤٧).

ووجه استدلالهم بها هو: أن القسط بدل من الموازين، لا صفة لها.[٣]

٣.وقوله تعالى:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ (الكهف١٠٥).

ووجه استدلالهم بها هو :أنه دل على أن الكافر لا يقام له وزن يوم القيامة، فيلزم القائل بثبوت الوزن الحقيقي أن يقول: أنه خاص بما عدا الكافر ، وهم لا يقولون بذلك.[٤]

---

١ مشارق أنوار العقول ص.١٢٥

٢ نفسه .

٣نفسه .

٤نفسه .

الرد عليهم:

لقد ابتعد القوم عن الصواب إذ فهموا أن هذه الآيات تدل على ما ذهبوا إليه، وإنّما أوتوا من اجتزائهم لها، وعدم الأخذ بالنص كاملا. فبعض هذه الآيات التي استدلوا بها مجرد تلاوتها كاملة كاف في الرد عليهم.

١. ففي الآية الأولى في قوله تعالى:﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف ٨).

فيقال له إن كان الوزن هنا معناه الحق كما ذكرتم، فما معنى باقي الآية:﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ؟

ليس لهذا معنى إلا الميزان المعروف الذي توزن به الأشياء فتوصف بالخفة أو الثقل،وهذا المعنى هو الذي فهمه السلف الصالح رضوان الله عليهم، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" قوله عز وجل:﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ يعني: يوم السؤال، قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب"[١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:" والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان"[٢]

---

١ معالم التنزيل ٢١٤/٣ .

٢ الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/٧ .

وقد بيّن الإمام الطبري أنّ الراجح من معنى الآية هو تفسير الوزن بالميزان ذي الكفتين واللسان، فقال رحمه الله تعالى:"قال أبو جعفر[1]: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار[2]، من أن ذلك هو"الميزان" المعروف الذي يوزن به،وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه:(فمن ثقلت موازينه)، موازين عمله الصالح (فأولئك هم المفلحون)، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله:"ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق"، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت"[3].

إذن فلا تعارض بين كون الوزن بالحق، وبين وجود موازين حقيقية يوم القيامة، بل يجمع بينهما بأن يقال: بوجود موازين حقيقية يوم القيامة، وأن الوزن بها يكون بالحق والعدل.

٢. وأمّا استشهادهم على نفي الموازين بقوله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(الأنبياء٤٧)

فإنّه استشهاد في غير محله،وقد تعنت القوم في هذا الموضع، لأنهم لما رأوا أن هذه الآية ستكون حاجزا وسدا منيعا أمام إنكارهم للموازين، لجأوا إلى الإعراب، فقالوا:إن لفظة القسط هنا في الآية هي بدل عن الموازين،وهذا يتفق مع مذهبهم، وأنكروا أن تكون القسط صفة للموازين،لأن هذا يستلزم إثبات الميزان .

---

١ أبو جعفر: الطبري.

٢ عمرو بن دينار: هو عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، أبو محمد الأثرم(٤٦ – ١٢٦ هـ): فقيه، كان مفتي أهل مكة. فارسي الأصل من الابناء. مولده بصنعاء، ووفاته بمكة. قال شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه. وقال النسائي: ثقة ثبت. واتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي ذلك. قال ابن المديني: له خمسمائة حديث . الأعلام للزركلي ٧٧/٥ .

٣ جامع البيان في تأويل القرآن ٢١١/١٢ .

والملاحظ بالرجوع للكثير من التفاسير التي لها عناية باللّغة، وكذلك بالرجوع لكتب إعراب القرآنأن النصب في كلمة (القسط) إنّما يرجع لأحد وجهين: وهي إمّا كونها صفة للموازين، أو كونها مفعول لأجله، أي الموازين لأجل القسط. ولم أقف على احتمال كونها بدلا كما ذهب إليه هؤلاء.

ومن ذلك قول أبي حيان الأندلسي[1] رحمه الله تعالى:"القسط مصدر وصفت به الموازين مبالغة كأنها جعلت في أنفسها القسط ، أو على حذف مضاف أي ذوات الْقِسْطَ ويجوز أن يكون مفعولا لأجله أي لأجل الْقِسْطَ"[2].

ويقال لهم: حتى لو كانت كلمة القسط بدلًا عن الميزان، فهي بنفس معنى المبدل منه، بدليل أنّ كلمة القسط قد ورد ذكرها في بعض النصوص مفردة بدون ذكر الميزان، ومع ذلك فقد فسرها العلماء بالميزان، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:"وأما قوله ﷺ:(يخفض القسط ويرفعه) فقال القاضي عياض قال الهروي[3] قال بن قتيبة: القسط الميزان، وسمي قسطا لأن القسط العدل، وبالميزان يقع العدل. قال:والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من

١ أبو حيان الأندلسي: هو محمد بن حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني، الأندلسي (أثير الدين، أبو حيان) (٦٥٤ – ٧٤٥): أديب نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ، مؤرخ. ولد بمطخشارش من أعمال غرناطة في آخر شوال، وسمع الحديث بالأندلس وافريقية والإسكندرية والقاهرة والحجاز من نحو اربعمائة وخمسين شيخا، وتولى تدريس التفسير بالمنصورية والإقراء بجامع الأقمر. وتوفي بالقاهرة في ١٨ صفر،. من تصانيفه الكثيرة: البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب، عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي، الأعلام بأركان الإسلام والتذييل والتكميل في شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو. معجم المؤلفين ١٢/ ١٣٠ .

٢ البحر المحيط ٦/٢٩٤ . وانظر: تفسير الكشاف للزمخشري ٣/١٢٠، وتفسير اللباب لابن عادل ١/ ٥١٠ ، ومفاتيح الغيب ٢٢/١٥٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/٩١٩ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن النيسابوري ٥/٢٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠ .

٣ الهروي: هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني، أبو عبيد الهروي: باحث من أهل هراة (في خراسان) له (كتاب الغريبين – خ) غريب القرآن وغريب الحديث، و (ولاة هراة). توفي سنة ٤٠١ هـ . الأعلام للزركلي ١/ ٢١٠ .

أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله فشبه بوزن الميزان"[1].

هذا بالنسبة للرد على شبهتهم من الآية في كلمة القسط ، ثم إذا ما أتموا قراءة الآية:﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء٤٧) فماذا يكون قولهم فيها؟

وقد بينت الآية أن هذه الموازين فيها من الدقة ما يشمل دقائق الأمور ومثاقيل الذر،قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:"(وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) ..." مثقال" بالنصب على معنى وإن كان العمل أو ذلك الشيء مثقال. ومثقال الشيء ميزانه من مثله. (أَتَيْنا بِها) مقصورة الألف قراءة الجمهور، أي:أحضرناها وجينا بها للمجازاة عليها ولها. يجاء بها أي بالحبة. ولو قال به أي بالمثقال لجاز. وقيل: مثقال الحبة ليس شيئا غير الحبة فلهذا قال:" أتينا بها". وقرا مجاهد وعكرمة:" آتينا" بالمد على معنى جازينا بها"[2].

٣. وأمّا الآية الثالثة في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ (الكهف١٠٥)

الجواب عليهم: أن نفي الجزء لا يقتضي نفي الكل،أي أن نفي حصول الوزن لفئة بعينهامن . الكفار . لايلزم منه نفي الموازين على كل حال ولكل أحد، بل إن الله سبحانه وتعالى أخبر بأن هؤلاء الكافرين لا وزن لهم؛ لعدم الفائدة منه أصلا، إذ إن أعمالهم كلها سيئة، فليس لهم مع الكفر حسنة توزن.

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى :"﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم

---

١ شرح صحيح مسلم ١٣/٣ .

٢ الجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/١١ .

شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها"[١] .

والشرع هو الذي قد أثبت الوزن والميزان للخلائق، وهو الذي نفاه عن بعضهم كهؤلاء الكفار المذكورين في الآية، وكالسبعين ألفا من المؤمنين الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فهاتان الطائفتان مخصوصتان بالدليل من عموم الوزن للخلائق.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في ذلك:"وظاهره التعميم لكن خص منه طائفتان: فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر، ولم يعمل حسنة فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان فهذا يدخل الجنة بغير حساب، كما في قصة السبعين ألفا، ومن شاء الله أن يلحقه بهم وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح ، وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين"[٢] .

وقد ردّ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته على هؤلاء وأمثالهم من المنكرين للميزان الحسي، فقال رحمه الله تعالى:

أفما تصدق أن أعمال العبا ... د تحط يوم العرض في الميزان

وكذاك تثقل تارة وتخف أخـ ... ـرى ذاك في القرآن ذو تبيان

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/٤٨٧ .

٢فتح الباري ١٣/٥٣٨ .

وله لسان كفتاه تقيمه   والكفتان إليه ناظرتان

ما ذاك أمرا معنويا بل هو الـ   محسوس حقا عند ذي الإيمان[١]

---

١ نونية ابن القيم ص٣٥١ .

المطلب الثالث: الميزان عند الشيعة وشبههم فيه.

اختلفت الشيعة فيما بينها في مسألة الميزان بين مثبت له وآخر منكر .

فكان شيخهم المفيد[1] مثلا من علمائهم الذين ذهبوا إلى إنكاره ،فقد قال:"الحساب هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها،والمواقفة للعبد على ما فرط منه،والتوبيخ على سيئاته والحمد على حسناته،ومعاملته في ذلك باستحقاقه،وليس هو كما ذهبت العامة إليه من مقابلة الحسنات بالسيئات،والموازنة بينهما على حسب استحقاق الثواب والعقاب عليهما،إذ كان التحابط بين الأعمال غير صحيح ،ومذهب المعتزلة فيه باطل غير ثابت،وما اعتمده الحشوية[2] في معناه غير معقول ، والموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها،ووضع كل جزاء في موضعه ،وإيصال كل ذي حق إلى حقه،فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها،إذ الأعمال أعراض،والأعراض لا يصح وزنها،وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز والمراد بذلك أن ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب، وما خف منها ما قل

---

١ الشيخ المفيد: هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم(٣٣٦ - ٤١٣ هـ): محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الاصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفي ببغداد.له نحو مئتي مصنف، منها (الأعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام) و (الإرشاد) في تاريخ النبي ﷺ والزهراء والأئمة، و (الرسالة المقنعة) فقه، و (أحكام النساء) و (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات) و (الأمالي) مرتب على المجالس، و (نقض فضيلة المعتزلة) وغيرها.قال الذهبي: أكثر من الطعن على السلف، وكانت له صولة، في دولة عضد الدولة . الأعلام للزركلي ٢٢/٧

٢الحشوية: مصطلح يطلقه أهل الكلام(الأشاعرة) على أهل السنة، من باب التعييب فيهم وأنه ليس لديهم إلا حشو كلام لا فائدة فيه، قال التويجري:(الحشوية مأخوذة من الحشو ، وحشو الكلام الفضل الذي لا يعتمد عليه، وحشو الناس أراذلهم. ومرادهم بالحشوية هنا أي:من العامة الذين هم حشو الناس أو نسبة إلى حشو القول الذي هو فضل الكلام)،شرح الفتوى الحموية للتويجري ٥٨٦/١ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة فلا يدري من هم هؤلاء. وقد قيل: إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد، فقال: كان عبدالله بن عمر حشويا. وكان هذا اللفظ في اصطلاح من قاله يريد به العامة الذين هم حشو، كما تقول الرافضة عن مذهب أهل السنة مذهب الجمهور) أنظر منهاج السنة ٥٢٠/٢ .

قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب،والخبر الوارد في أن أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام هم الموازين فالمراد أنهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل، ويقال فلان عندي في ميزان فلان، ويراد به نظيره، ويقال كلام فلان عندي أوزن من كلام فلان،والمراد به أن كلامه أعظم وأفضل قدرا، والذي ذكره الله تعالى في الحساب والخوف منه إنما هو المواقفة على الأعمال، لأن من وقف على أعماله لم يتخلص من تبعاتها، ومن عفى الله تعالى عنه في ذلك فاز بالنجاة، فمن ثقلت موازينه بكثرة استحقاقه الثواب فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه بقلة أعمال الطاعات فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، والقرآن إنما أنزل بلغة العرب وحقيقة كلامها ومجازه، ولم ينزل على ألفاظ العامّة وما سبق إلى قلوبها من الأباطيل"[1].

قد جاء في بعض كتب معاصريهم أن ورود مثل هذه الأمور في الدين إنما هي من باب تقريب أمور الآخرة الغيبية لأذهان الناس، وليس المقصود منها حقيقتها، وذلك مثل ما ورد في كتاب محاضرات في الإلهيات، فقد جاء فيه:"لا شكّ أنّ النشأة الآخرة،أكمل من هذه النشأة وانّه لا طريقلتفهيم الإنسان حقائق ذاك العالم وغيوبه المستورة عنّا إلاّ باستخدام الألفاظالتي يستعملها الإنسان في الأمور الحسيّة "[2].

ثم ذكر بعد إنكاره للميزان المعنى المراد عندهم من موازنة الأعمال،وأن الميزان إنما يقصد به المثقال الذي توزن الأمور بمقابلته،وليس ذا الكفتين واللسان ،ومعنى كونه مثقالا: أي أن الميزان هو الحق والصفة الكاملة من كل تكليف من تكاليف الشريعة صلاة أو صيام أوحج ...الخ، حيث تقاس أعمال العباد بمقابلة هذه الهيئة الكاملة للفعل التي أرادها الله عز وجل.

---

١ تصحيح اعتقادات الإمامية ص١١٥ .

٢ محاضرات في الإلهيات لجعفر السبحاني ص٤٤٨ .

فقد قال:"ولسيّدنا الأستاذ العلاّمة الطباطبائي[1] . قدّس سرّه . في المقام تحقيقلطيف استظهره من الآيات القرآنية وحاصله:«أنّ ظاهر آيات الميزان هو أنالحسنات توجب ثقل الميزان، والسيئات خفَّته، فإنّها تثبت الثقل في جانب الحسناتدائماً والخفّة في جانب السيئات دائماً، لا أن توزن الحسنات فيؤخذ ما لها من الثقلثمّ السيئات ويؤخذ مالها من الثقل، ثمّ يقاس الثقلان فأيّهما كان أكثر كان القضاءله، ولازمه صحّة فرض أن يتعادل الثقلان كما في الموازين الدائرة بيننا من ذيالكفتين والقبّان وغيرهما.

ومن هنا يتأيّد في النظر أنّ هناك أمراً آخر تقاسبه الأعمال، والثقل له، فما كان منها حسنة انطبق عليه ووزن به وهو ثقل الميزان،وما كان منها سيئة لم ينطبق عليه ولم يوزن به وهو خفّة الميزان، كما نشاهده فيماعندنا من الموازين، فإنّ فيها مقياساً وهو الواحد من الثقل كالمثقال يوضع في إحدىالكفتين ثمّ يوضع المتاع في الكفة الأخرى، فإن عادل المثقال وزناً بوجه على مايدلّ عليه الميزان أخذ به، وإلاّ فهو الترك لا محالة. والمثقال في الحقيقة: هو الميزانالذي يوزن به، وأمّا القبّان، وذو الكفتين ونظائرهما فهي مقدّمة لما يبيّنه المثقالمن حال المتاع الموزون به ثقلاً وخفة.

ففي الأعمال واحد مقياس توزن به،فللصلاة مثلاً ميزان توزن به وهي الصلاة التامّة التي هي حقّ الصلاة، وللزكاة والإنفاق نظير ذلك، وللكلام والقول حقّ القول الذي لا يشتمل على باطل، وهكذا كمايشير إليه قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (آل عمران١٠٢)، فاللّه سبحانه يزن الأعمال يوم القيامة بالحقّ، فمااشتمل عليه العمل من الحقّ

---

١ الطباطبائي: هو العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ولد في مدينة تبريز عام ١٣٢١ هـ ، رحل إلى حوزة النجف الأشرف في العراق وتعلم فيها ١٠ سنين، ثم رجع إلى إيران وأقام في تبريز، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف عشر سنين، ثم رحل إلى مدينة قم المقدسة فأقام فيها، وبدأ فيها بالتدريس واهتم بالفلسفة والتفسير والأخلاق. من مؤلفاته:تفسير الميزان، وأصول الفلسفة الواقعية ،و حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري، وحاشية على كفاية الاصول للآخوند الخراساني، و الرسائل السبع في اصول المعارف. رسالة في سنن النبي ﷺ . وغيرها. توفي سنة ١٤٠٢هـ ، أنظر مقدمة تحقيق سنن النبي ﷺ للطباطبائي تحقيق محمد هادي الفقهي ص١٥ .

فهو وزنه وثقله. وعلى هذا فالوزن في الآية بمعنالثقل دون المعنى المصدري، وإنّما عبّر بالموازين . بصيغة الجمع . لانّ لكلّ أحدموازين كثيرة من جهة اختلاف الحقّ الذي يوزن به باختلاف الأعمال، فالحقّ في الصلاة. وهو حقّ الصلاة . غير الحقّ في الزكاة والصيام والحجّ وغيرها وهوظاهر» "[1].هذا فيما يتعلق بقول من أنكر.

أمّا المثبتون فكان منهم من ردّ على أولئك المنكرين وصرّح باعتقاده بموازين حقيقية كما أخبر الشارع بذلك،فقد قال علّامتهم المجلسي بعد أن استعرض قول من أنكر:"قد سبق الكلام منا في الإحباط ، وأما إنكار الميزان بهذه الوجوه فليس بمرضي لما عرفت من وجوه التوجيه فيه، نعم قد سبق بعض الأخبار الدالة على أن ليس المراد الميزان الحقيقي، فبتلك العلة يمكن القول بذلك، وإن أمكن تأويل بعض الأخبار بأن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم الحاضرون عند الميزان الحاكمون عليها،لكن بعض الأخبار لا يمكن تأويلها إلا بتكلف تام، فنحن نؤمن بالميزان ونرد علمه إلى حملة القرآن، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان، والله الموفق وعليه التكلان"[2].

فقد أنصف هنا وبين اعتقاده بميزان حقيقي يوم القيامة، مع كونه قد فوّض علمه إلى حملة القرآن ولم يذكر له وصفا مما ثبت له إلا أنه أحسن حالا ممن أنكر.

وهناك فئة ظاهر كلامهم الإثبات إلا أن حقيقته تأويل معنى الموازين الموضوعة يوم القيامة بأنهم الأنبياء والأوصياء،ويستشهدون بالأثر الوارد عندهم عن جعفر الصادق في ذلك،وكان شيخهم الصدوق ممن ذهب إلى ذلك، فقد ذكر عند كلامه عن الاعتقاد في الحساب والميزان،أنهم يعتقدون بصحة ذلك، ثم لما تحدث عن الميزان بشكل خاص لم يزد على أن أورد

---

١ محاضرات في الإلهيات لجعفر السحباني ص٤٤٨ .

٢ بحار الأنوار ٢٥٣/٧ .

أثر جعفر الصادق فقال:(وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾(الأنبياء٤٧) فقال:(الموازين:الأنبياء والأوصياء)"[١].

شبههم:

كان ورود الميزان في القرآن بمعنى العدل في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُالْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(الحديد ٢٥) من الشبهات التي تمسكوا بها في إنكارهم للميزان وأنه لا يراد به إلا العدل.

جاء في كتاب محاضرات في الإلهيات:"وعلى ذلك فلا وجه لحمل الميزان علىالميزان المتعارف، خصوصاً بعد استعماله في القرآن في غير هذا الميزان المحسوس، قالسبحانه:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُالْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، لا معنىلتخصيص الميزان هنا بما توزن به الأثقال، مع أنّ الهدف هو قيام الناس بالقسط فيجميع شؤونهم العقديّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.وبذلك يعلم أنّتفسير الميزان بالعدل، أو بالنبيّ، أو بالقرآن كلّها تفاسير بالمصداق..."[٢].

وأما بالنسبة لشبهتهم الأخرى التي استندوا عليها فقد كانت أثر جعفر الصادق عليه السلام السابق الذكر،لما سئل عن قول الله عز وجل:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾(الأنبياء٤٧) فقال:(الموازين:الأنبياء والأوصياء)[٣]. فقد تأوّلوا لأجله معنى الموازين بأنهم الأنبياء والأوصياء.

---

١ الاعتقادات في دين الإمامية/الشيخ الصدوق ص٧٣ .

٢ لجعفر السبحاني ص٤٤٨ .

٣ الاعتقادات في دين الإمامية/الشيخ الصدوق ص٧٣ .

الرد عليهم:

. أما بالنسبة لقول الله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد٢٥) فيقال لهم:

صحيح أن معنى الميزان في هذه الآية هو العدل كما ورد عن كثير من أئمة التفسير،قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:"يقول تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات،{وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ}وهو: النقل المصدق{وَالْمِيزَانَ} وهو: العدل. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما. وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة"[١].

ولكن هذا المعنى الوارد هنا لا يسوّغ أن يحمل الميزان الوارد يوم القيامة بإرادة العدل والإنصاف، بدليل وروده في كتاب الله ﷻ في مواضع عدّة تفيد معنى زائدًا على مجرد العدل والإنصاف،بل يفهم منه الآلة التي يوزن بها أعمال العباد يوم القيامة، ومن الآيات التي أفادت هذا المعنى :

قوله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(الأنبياء٤٧)

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ } أي ذوات القسط، والقسط: العدل، { لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا } لا ينقص من ثواب حسناته ولا يزاد على سيئاته، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان وكفتان"[٢].

---

١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٧/٨ .

٢ معالم التنزيل ٣٢١/٥ .

وكذلك الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ذكر في تفسيره لهذه الآية قولين لأهل العلم في الميزان، القول الأول:هو الميزان ذو الكفتين واللسان الذي يكون يوم القيامة، والقول الثاني هو العدل، ثم قال بعد ذلك:"والذي وردت به الاخبار وعليه السواد الأعظم القولالأول"[1].

ومن الآيات التي جاء فيها الميزان بنفس هذا المعنى:قوله تعالى:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون ١٠٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} بأن رجحت حسناته على سيئاته {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل ، { وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ } بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته { فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ }..."[2].

والآيات في ذلك كثيرة بحيث لا مسوّغ لردها بشبهة كون الميزان ورد في بعض النصوص بمعنى العدل، فكما أنه ورد بمعنى العدل أحيانا فقد ورد كذلك بمعنى آلة وزن أعمال العباد في أحيان أخرى ،والنجاة في الأخذ بالكتاب كله ، والهلاك في تجزئته والأخذ ببعضه دون بعض،قال تعالى مستنكرا على من هذا صنيعه :﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(البقرة٨٥).

---

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٤/١١ .

٢ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ٥٥٩/١ .

. وأما بالنسبة لشبهتهم الثانية في أثر جعفر الصادق فيكفي ذكر كلام علّامتهم المجلسي في الرد عليهم بدون الخوض في سند هذا الأثر ومدى صحته، فقد قال:" وأما إنكار الميزان بهذه الوجوه فليس بمرضي لما عرفت من وجوه التوجيه فيه، نعم قد سبق بعض الأخبار الدالة على أن ليس المراد الميزان الحقيقي، فبتلك العلة يمكن القول بذلك، وإن أمكن تأويل بعض الأخبار بأن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم الحاضرون عند الميزان الحاكمون عليها،لكن بعض الأخبار لا يمكن تأويلها إلا بتكلف تام، فنحن نؤمن بالميزان ونرد علمه إلى حملة القرآن، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان، والله الموفق وعليه التكلان"[1].

فكأنه أراد أن يقول لهم أن هذا الأثر لا يسوّغ لكم إنكار الميزان حيث يمكن الجمع بينه وبين إثبات الموازين بالقول أن الأنبياء والأولياء يكونون حاضرين عند الميزان حاكمين عليه، بدون الحاجة إلى جعل الأنبياء والأوصياء هم ذات الموازين .

ثم إن أمكن تأويل هذا الأثر النافي للميزان والجمع بينه وبين إثبات الميزان الحقيقي فإن مثل هذا الجمع متعذر في الآثار الأخرى ولا يمكن إلا بتكلف شديد صعب مناله، ولسان حاله يقول: مع كل هذه الآثار التي ذكرتموها في إنكار الميزان فلا أجد عذرًا ولا مبررًا في إنكاره في مقابل الجم الغفير من الآيات المثبتة له والله الموفق وعليه التكلان.

وصدق في توكله على الله ﷻفهو نعم الهادي والمعين والنصير.

ولا يفهم من هذا الكلام موافقة البحث في كون الأنبياء والأوصياء سيكونوا حاضرين عند الميزان يوم القيامة ، فهذا غيب لا سبيل إلى علمه إلا بالنقل الصحيح، ولكن الرجل لم يستطع أن ينفك عن كلّ مذهبه، فأثبت الميزان وأوّل الأثر مع ما يتفق وإثباته.

---

١ بحار الأنوار ٢٥٣/٧ .

المطلب الرابع: الميزان عند المعتزلة وشبههم فيه.

افترقت المعتزلة في مسألة الميزان، فمنهم من نزع إلى إنكاره[1] ، ومنهم من نزع إلى إثباته كما حكى ذلك عنهم قاضيهم عبد الجبار حيث قال في معرض الرد على من نسب إليهم إنكار الميزان:"قيل له: إن أكثر أهل العدل يثبتون الموازين ولا ينكرونها كما نطق به الكتاب ،وإنما أنكره بعضهم من حيث أن الحسنات والسيئات هي الأعمال وقد نقضت،ولا يصح فيها الإعادة، ولو صح ذلك فيها لما صح أن توزن ، فقال لأجل ذلك إن الله تعالى ذكره وأراد به العدل، لما كان الميزان طريقا لمعرفة العدل ، وهذا لا يمنع من إثباتها ، وإنما يمنع من دونذلك "[2].

فظهر من كلامه أن منهم فريقا أنكر الميزان وأوّل ذلك بالعدل والإنصاف بين الخلائق يوم القيامة .

ويشهد لهذا ما حكاه كتّاب الفرق عن المعتزلة،و من ذلك ما ذكره صاحب المواقف[3] حيث قال:"وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم إلا أن منهم من أحاله عقلا، ومنهم من جوزه ولم يحكم بثبوته كالعلاف[4]

---

١ لم أقف على أسماء هؤلاء المنكرين،فكل من وجدته قد نسب إنكار الميزان للمعتزلة ، فإنه قد أبهم ذلك ولم يحدد أسمائهم، أنظر فضل الاعتزال ص٢٠٤، المواقف ص٥٢٢، فتح الباري١٣/ص٥٣٨ ، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢٢٩/٢، وغيرها.

٢ فضل الاعتزال ص٢٠٤ .

٣ صاحب المواقف: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاما. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا سنة ٧٥٦ هـ . من تصانيفه (المواقف) في علم الكلام، و (العقائد العضدية) و (الرسالة العضدية) في علم الوضع، و (جواهر الكلام) مختصر المواقف، و (شرح مختصر ابن الحاجب) في أصول الفقه، و (الفوائد الغياثية) في المعاني والبيان، و (أشرف التواريخ) و (المدخل في علم المعاني والبيان والبديع). الأعلام للزركلي ٢٩٥/٣.

٤العلاف: هو أبو الهذيل سبقت ترجمتهص ١٨١ .

وابن المعتمر[1]، قالوا: يجب حمل ما ورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والإنصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت أصلا"[2].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقد أنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: الأعمال عراض لا جرم لها فكيف توزن؟".[3]

وفريق منهم وهم الأكثر كما يقرر ذلك القاضي عبد الجبار في النقل السابق[4] عنه ذهبوا إلى إثباته،ولكن يظهر من كلامه – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المثبتين لأصل الميزان، ينكرون وصفه الوارد، بدليل أنه لما بين علة إنكار من أنكر والتي منها أن الله ﷻ قد ذكر في كتابه الموازين وأراد بها العدل، قال ردا عليهم :" وهذا لا يمنع من إثباتها ، وإنما يمنع من دون ذلك" كأنه أراد القول إن تسمية العدل بالميزان أحيانا لا يمنع من إثبات الميزان وإنما يمنع مما هو دون ذلك أي من التعنت بإثبات أوصاف له تماثل وصف موازين الدنيا.

وهؤلاء المثبتون للميزان كان لهم مفهوم خاص لعملية الموازنة بين الحسنات والسيئات يختلف عمّا هو عليه عند أهل السنة،ألا وهو أن الحسنات دائما مرجوحة أمام كفة السيئات الكبيرة، وإذا كان الأمر كذلك، فهل يتخفف العقاب الذي يستحقه المرء على فعل السيئات بمقدار ما لديه من ثواب للطاعات، ذهب بعضهم[5]: أن لا ، فالحسنات كلها تضمحل أمام

١بشر بن المعتمر: العلامة، أبو سهل الكوفي، ثم البغدادي، شيخ المعتزلة ، وصاحب التصانيف.كان من القرامي – الأصول — الكبار، إخباريا، شاعرا، متكلما،. وكان أبرص ذكيا فطنا، لم يؤت الهدى، وطال عمره فما ارعوى، وكان يقع في أبي الهذيل العلاف، وينسبه إلى النفاق. وله كتاب " تأويل المتشابه "، وكتاب " الرد على الجهّال "، وكتاب " العدل " وأشياء لم نرها ولله الحمد.مات سنة ٢١٠هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٠.

٢ كتاب المواقف ص٥٢٢ .

٣ النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير٢٢٩/٢ .

٤انظر الصفحة السابقة ٢٨٠ .

٥ المراد بالبعض هنا: أبو علي الجبائي.

السيئات ، وذهب بعضهم[1] أن نعم ، فالعقاب يتخفف منه على قدر ما لدى العبد من ثواب للطاعات مع رجحان السيئات عليها أبدا[2].

فصار بهذا الكلام لا داعي أصلا للموازين والحال أن كفة السيئات هي الراجحة دائما، والحسنات لا يعبأ بها في مقابل السيئات، أما في حال عدم وجود سيئات فلا داعي لوزن الحسنات لتحقق رجحانها أصلا على ألّاشيء،فصار إثبات من أثبت لا يختلف كثيرا عن نفي من نفى.

وقد حكى الإمام الأشعري ذلك القانون عنهم في مقالاته فقال:" وقال قائلون بإثبات الميزان وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها وان السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها"[3].

---

١ والمراد بالبعض هنا: أبو هاشم الجبائي .

٢ أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٦٢٨ .

٣ مقالات الإسلاميين ص٤٧٣ .

شبههم:

الذي يظهر من المعتزلة: أن شبههم في إنكار وضع الموازين يوم القيامة إنما هي شبه عقلية فلسفية مبنية على قانون الأعراض والجواهر[1] ، وهي أن الأعمال لما كانت قد انتقضت فإنه يستحيل وزنها والحال كذلك، ولو قدر إعادتها فيستحيل وزنها كذلك لكونها أعراضا لا يثبت لها ثقل ولا خفة في الميزان.[2]

كذلك كان مذهبهم في التحسين والتقبيح العقليين[3] سدا حائلا دون إثبات الميزان،وبيان ذلك أن: مقادير الأعمال معلومة لله تبارك وتعالى،فوضع الموازين لوزن الأعمال يوم القيامة وهي معلومة عنده سبحانه وتعالى يقبح فعله[4].

وهذه الشبهات الزائفة قادتهم إلى تأويل الميزان بالعدل مستندين على أنه قد ورد في القرآن ما يؤيد ذلك من قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد٢٥)

فقالوا إنه من المؤكد أن المراد بالميزان الذي أنزل مع الكتاب في الآية السابقة إنما هو العدل لا حقيقة الآلة التي يوزن بها، وبهذا ساغ لهم أن يؤوّلوا الميزان الذي سيكون يوم القيامة بالعدل والإنصاف.

١(الأعراض: يختص بالممكن الذي لا يقوم بنفسه بل بغيره ، والجواهر: يختص بالممكن الذي يقوم بنفسه) المواقف للإيجي ٢٧/١ .

٢ أنظر فضل الاعتزال ص٢٠٤ .

٣ التحسين والتقبيح العقليين: هو (ما يعلمه العبد بضرورته وفطرته من حسن بعض الأعمال وقبح بعضها وأن ذلك من لوازم الفطرة) الصواعق المرسلة لابن القيم ١٤٩٣/٤ .وهؤلاء يقولون:(يجب بالعقل ويعاقب على تركه، والسمع مقرر لما وجب بالعقل مؤكد له، فجعلوا وجوبه والعقاب على تركه ثابتين بالعقل، والسمع مبين ومقرر للوجوب والعقاب، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم من أتباع الأئمة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين)مدارج السالكين لابن القيم ٤٨٨/٣ .

٤ أنظر المواقف ص٥٢٢ .

وقد حكى صاحب المواقف تأويلهم للميزان، والشبه التي أدت إلى ذلك، فقال:"قالوا يجب حمل ما ورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والإنصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت أصلا، لا على آلة الوزن الحقيقي؛ وذلك لأن الأعمال أعراض قد عدمت فلا يمكن إعادتها،وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها إذ لا توصف الأعراض بالخفة والثقل بل هما مختصان بالجواهر ، وأيضا فالوزن للعلم بمقدارها وهي معلومة لله تعالى بلا وزن فلا فائدة فيه فيكون قبيحا تنزه عنه الرب تعالى "[١].

الرد عليهم:

سيتم الرد على تلك الشبه التي أوردوها للفائدة، وعلى وجه الإجمال، وذلك لأن هذا البحث مختص بذكر الشبهات النقلية والرد عليها دون الشبهات العقلية.

١. أمّا بالنسبة لما يتعلق بكون الأعمال أعراض، وقد انتقضت فيستحيل وزنها، وأنّه لو قدر إعادتها فإنها لا تتصف بالثقل والخفة حتى توزن، وإنّما ذلك من خصائص الجواهر.

فالجواب عليها:

ذكر في المبحث الأول من هذا الفصل[٢] أن الذي يوزن في الميزان:إمّا العمل ، أو العامل، أو صحائف العمل. وقال ابن كثير:"وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم".[٣]

وكل من صحائف العمل والعامل جواهر ـ على حدّ تعبيرهم ـ توصف بالثقل والخفة فلا مانع من وزنها.

---

١ كتاب المواقف ص٥٢٢ .

٢انظر: ص ٢٥٥ .

٣ تفسير القرآن العظيم ٣/٣٩٠ .

وأمّا العمل الذي وصفوه بكونه عرض لا يمكن وزنه، فقد أجيب[1] عنه: بأنّ هذه الأعمال تقلب يوم القيامة إلى أجسام وتوزن.

٢. وأمّا بالنسبة لما يتعلق بتقبيحهم لإقامة الموازين يوم القيامة، لأن مقادير الأعمال معلومة لله سبحانه وتعالى.

فالجواب عليه قد تولاه الإمام الطبري رحمه الله تعالى، فقال:"فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه وِجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال ؟ ...قيل له ... وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله:﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾(الجاثية ٢٨/٢٩). فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[2].

---

١ (قال بن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على ان الاعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، قال: وقد روى بعض المتكلمين عن بن عباس ان الله تعالى يقلب الأعراض اجساما فيزنها).فتح الباري لابن حجر ٥٣٨/١٣ .

٢ جامع البيان في تأويل القرآن ٢١٢/١٢ .

٣. وأما بالنسبة لما يتعلق بالآية في قول الله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد٢٥)

فالرد على تأويلهم فيها وكونها لا تعارض وجود موازين حقيقية قد سبق بيانه في المبحث السابق عند الرد على الشيعة في مثل ذلك فليرجع إليه هناك[1]،حيث ذكر فيه جملة من الآيات التي فيها ذكر الميزان وأن المقصود به ذو الكفتين واللسان.

وأمّا الأحاديث في ذلك فكثيرة سبق إيراد شيء منها في بداية الفصل[2]، إلا أن هؤلاء القوم لا يعتدون بها لعلة كونها أخبار آحاد لا تثبت بها العقائد، ولعلّ هذا هو السبب الذي أدّى المثبتين منهم إلى إنكار أوصافه لكونها ثبتت بأخبار الآحاد. والله تعالى أعلم .

جاء في كتاب أصل الاعتقاد:"هؤلاء الذين لا يحتجون بأحاديث الآحاد في العقيدة أنكروا جملة من العقائد منها: ...الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة، الإيمان بالصراط ..."[3].

١انظر ص٢٧٧.

٢انظر ص٢٥٣.

٣لعمر الأشقر ص ٧٥ .

الفصل التاسع: الحوض.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحوض عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الحوض عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحوض مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

المبحث الأول:

الحوض عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: الحوض عند أهل السنة والجماعة.

المراد بالحوض في اللغة:

قال ابن منظور:"حاض الماء وغيره حوضا وحوضه حاطه وجمعه، وحضت أحوض اتخذت حوضا واستحوض الماء اجتمع، والحوض مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض وحوض الرسول ﷺ الذي يسقي منه أمته يوم القيامة"[١].

أما شرعا:

قال الشيخ حافظ حكمي:"وحوض خير الخلق نبينا محمد ﷺوهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷻ حق لا مرية فيه"[٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:"... يشخب من الكوثر ميزابان إلى الحوض، والحوض في العرصات، قبل الصراط،..."[٣].

إذن فالحوض: هو مورد الماء الذي أكرم الله ﷻ به رسوله ﷺ في عرصات القيامة، يمده نهر الكوثر – نهر من الجنة – بالماء ،ويرد عليه من أمته ﷺ من كان على سنته، فيشربون منه شربة لا يظمؤون بعدها أبدا.

١لسان العرب ١٤١/٧ .

٢ معارج القبول ص٨٧١ .

٣النهاية في الفتن ص١٩٠ .

الأدلة على ثبوت الحوض:

أمّا بالنسبة للقرآن الكريم:

. فقد ورد ذكره في كتاب الله ﷻ على سبيل الاحتمال في قوله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ*فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(سورة الكوثر ١/٢/٣).

قال الإمام السفاريني رحمه الله تعالى:"وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح ، وأما قوله تعالى ({ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }) ، ففيه اختلاف هل الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذي في الجنة"[١].

عن ابن عباس ﵁ قال:(الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر[٢]:قلت لسعيد[٣]: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة،فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه)[٤].

. وأما بالنسبة للسنة:

١.فعن أنس بن مالك ﵁ يقول: قال النبي ﷺ للأنصار:(إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض)[٥]

١لوامع الأنوار ٢/٢٠٢ .

٢ أبو بشر: جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري البصري ثم الواسطي أحد الائمة والحفاظ.. وثقه أبو حاتم الرازي وغيره. وقال أحمد بن حنبل: أبو بشر أحب إلينا من المنهال بن عمرو وأوثق. وقال يحي القطان: كان شعبة يضعف حديث أبي بشر عن مجاهد، وقال: لم يسمع منه شيئا، وقال شعبة أيضا: أحاديث أبي بشر، عن حبيب بن سالم ضعيفة. وقال أبو أحمد بن عدي: أرجو أنه لا بأس به. قال نوح بن حبيب: كان أبو بشر ساجدا خلف المقام حين مات رحمه الله. مات سنة ١٢٤هـ، وقيل: سنة ١٢٣هـ، وقيل:سنة ١٢٥هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٥ .

٣ سعيد: هو سعيد بن جبير سبقت ترجمته ص٥٥ .

٤ رواه البخاري كتاب بدء الوحي، باب: في الحوض ، ٨/١٤٩.

٥ رواه البخاري ، باب قول النبي ﷺ للأنصار: اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ٥/٤١ .

٢.وعن سهل بن سعد ﷺ قال : قال النبي ﷺ:(إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم)[١].

٣.وعن أنس بن مالك ﷺ قال : سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قال قلت فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن)[٢].

٤.وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(إن في حوضي من الأباريق بعدد نجوم السماء)[٣].

. وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن عدد كبير من الصحابة الكرام في إثبات الحوض المورود يوم القيامة، بما لا يدع مجالا للشك في التصديق والإيمان به،وقد حكى جم غفير من العلماء تواتر النصوص الدالة عليه.

قال الشيخ حافظ حكمي:"وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ واشتهر، واستفاض بل تواتر في كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن..."[٤] .

---

١ رواه البخاري ، باب في الحوض ، ١٤٩/٨ .

٢ رواه الترمذي ،باب ما جاء في شأن الصراط،برقم(٢٤٣٣) ، ٦٢١/٤ ، قال:هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح .

٣ رواه الترمذي ، باب ما جاء في صفة الحوض ،برقم(٢٤٤٢)، ٦٢٨/٤ ، وقال:هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني: صحيح .

٤ معارج القبول ص٨٧١ .

وقد حكى الكتاني تواتر أحاديث الحوض عن عدد من الأئمة الذين ذكروا ذلك،وأن منهم من أوصل عدد رواتها إلى أربعة وعشرين ، وثلاثين ، وخمسين، وثمانين،مما يدل على شهرتها واستفاضتها[1].

أوصافه:

بينت النصوص أوصاف الحوض المورود بيانا مفصلا، يشمل حجمه طولا وعرضا ،وزواياه، وكيزانه،ولون مائه ، ومذاقه، وصفة من يرده ، ومن يحال بينه وبين الشرب منه...الخ.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ساق الروايات المتكاثرة في إثبات الحوض:"فقد تلخص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة صفة هذا الحوض العظيم، والمورد الكريم، من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك وهو في غاية الإشباع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه ينبت في حال من المسك، ورضراض من اللؤلؤ، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"وفي عرصة القيامة: الحوض المورود لمحمد ﷺ ، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا"[3].

ومن الأحاديث الواردة في بيان أوصافه:

---

١ نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص٢٣٦ .

٢ النهاية في الفتن والملاحم ص ٢٠٧ .

٣الواسطية ص ٣٣ .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال رسول الله ﷺ:(حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الوَرِق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا »[1].

وعن أبي ذرﷺ قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال:(والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية،آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة،من شرب منه لم يظمأ،عرضه مثل طوله، ما بين عمان[2] إلى أيلة[3]، ماؤه أشد بياضا من اللبن،وأحلى من العسل)[4].

وعن أنس ﷺ،قال نبي الله ﷺ:(ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء)[5].

وعن أنس بن مالك ﷺأن نبي الله ﷺ قال مثله،وزاد:(أو أكثر من عدد نجوم السماء)[6].

---

١ متفق عليه، رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي،باب في الحوض، ١٤٩/٨، ورواه مسلم واللفظ له ، باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ، ٦٦/٧ ، الورق : الفضة.

٢عمان: بضم المهملة وتخفيف النون بلد على ساحل البحر من جهة البحرين . فتح الباري ٤٧١/١١ .

٣أيلة مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام وهي الآن خراب. فتح الباري ٤٧٠/١١ .

٤ رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ، ٦٩/٧ . يشخب:يسيل/ المصحية:التي لا غيم فيها/ الميزاب:أنبوبة تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر.

٥ رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ، ٧١/٧.

٦ رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ٧١/٧ .

- وأما بالنسبة للنصوص التي وردت في بيان مقدار الحوض فمنها ما يلي:

عن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال:((أمامكم حوض كما بين جرباء و أذرح))[1].

وعن حارثة[2] ﵁ أنه سمع النبي ﷺقال:(حوضه ما بين صنعاء والمدينة). فقال له المستورد[3]: ألم تسمعه قال:(الأواني)؟.قال:لا. فقال المستورد:(ترى فيه الآنية مثل الكواكب)[4].

وعن أنس بن مالك ﵁، أن رسول الله ﷺ قال:(إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)[5].

وسبق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ الذي فيه أن الحوض مسيرة شهر وزواياه سواء[6].

والملاحظ من هذه الأحاديث الاختلاف في تحديد مقدار الحوض ومسافته،وقد وجّه العلماء هذا الاختلاف بعدد من التوجيهات،ومن أحسنها ما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله

---

١ رواه البخاري واللفظ له، كتاب بدء الوحي،باب في الحوض ، ١٤٩/٨ ، ورواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ،٦٩/٧. جرباء و أذرح : قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال. صحيح مسلم ٦٩/٧.

٢ حارثة: هو حارثة بن وهب الخزاعي أمه أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعية، فهو أخو عبيد الله بن عمر لأمه، وله رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر وغيرها. وله في الصحيحين أربعة أحاديث، منها قوله: صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان الناس بمنى ركعتين. روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومعبد بن خالد وغيرهما.الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦١٩/١ .

٣ المستورد: هو المستورد بن شداد بن عمرو بن حسل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري. وأمه دعد بنت جابر بن حسل بن الأحب، أخت كرز بن جابر. ولما قبض النبي ﷺ كان غلاماً. قاله الواقدي. وقال غيره: إنه سمع من النبي سماعاً وأتقنه. وسكن الكوفة، ثم سكن مصر. روى عنه أهل الكوفة وأهل مصر، أسد الغابة ١٦٣/٥.

٤ متفق عليه، رواه البخاري كتاب بدء الوحي،باب في الحوض ١٥١/٨ ، و رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ٦٨/٧ .

٥ متفق عليه، رواه البخاري كتاب بدء الوحي،باب في الحوض ١٤٩/٨ ، ورواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته ٧٠/٧ .

٦انظر: ص ٢٩٣.

تعالى،حيث قال:"فصل:ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب و اختلاف و ليس كذلك،و إنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة،و ذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطبا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها،فيقول لأهل الشام:ما بين أذرح و جربا،و لأهل اليمن:من صنعاء إلى عدن و هكذا ،و تارة أخرى يقدّر بالزمان، فيقول:مسيرة شهر، و المعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.و الله أعلم"[1]

وقال الإمام السفاريني:"قال بعض العلماء: وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف؛ لأنه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف في الرواية ؛ لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا ، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة ، وقد سمعوه في مواطن متعددة ، وكان النبي ﷺ يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلمالمتكلم ويفهم السائل، وبحسب ما يسنح له ﷺ من العبارة، ويحدد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون من الإشارة"[2].

١التذكرة ص ٧٠٦ .

٢ لوامع الأنوار ٢/٢٠١ .

*من يذاد ويطرد عن الحوض :

ثبت بالشرع أن هناك أقوام يحرمون من الشرب من الحوض،ويذادون عنه.

"والذود عن الحوض نوعان:عام،وخاص.

أما العام:فهو لكل من كان من غير أمة محمد ﷺ؛ وذلك كرامة لأمته ﷺحتى تختص بهذا الحوض دون غيرها من الأمم، وكذلك حتى يرد كل قوم على الحوض الخاص بنبيهم، ليعلم من اتبعه ممن خالفه.

وأما الذود الخاص:فهو لكل من بدل أو أحدث من هذه الأمة بعدهﷺ،سواء كان ذلك بالكفر والارتداد،أم بالنفاق ،أم بأي صورة من صور التبديل والإحداث"[1].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

ماجاء عن أنسﷺ، عن النبي ﷺقال:(ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهماختلجوا دوني[2] فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك)[3].

وعن سهل بنسعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ:(إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم)[4].

---

١ أنظر شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ ٣١٥/١ .

٢ اختلجوا دوني أي اقتطعوا أو انتزعوا مني .

٣ رواه البخاري واللفظ له،كتاب بدء الوحي،باب في الحوض، ١٤٩/٨ ، ورواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، ٧٠/٧ .

٤رواه البخاري واللفظ له،كتاب بدء الوحي،باب في الحوض، ١٤٩/٨ ، ورواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، ٦٥/٧ ، الفرط : المتقدم والمراد الشفيع.

وعن أبي هريرة ﷺ:أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺقال:(يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلؤون[1] ، عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)[2].

وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت:قال النبي ﷺ:(إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا ربمني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم))فكان ابن أبي مليكة[3] يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا﴿أَعْقَابِكُمْتَنكِصُونَ﴾ (المؤمنون ٦٦)ترجعون على العقب[4].

وعن أم سلمة زوج النبى ﷺأنها قالت:كنت أسمع الناس يذكرون الحوض،ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ،فلما كان يوما من ذلك والجارية تمشطني،فسمعت رسول الله ﷺيقول: (أيها الناس).فقلت للجارية:استأخري عني. قالت:إنما دعا الرجال ولم يدع النساء.فقلت:إني من الناس. فقال رسول الله ﷺ:(إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عنى كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول سحقا)[5].

وعن أبي هريرة أن النبى ﷺقال:« لأذودن عن حوضي رجالا كما تذاد الغريبة من الإبل»[6].

---

١ يحلأون عنه:أي يطردون يقال حلأت الإبل عن الماء فهي محلاة أي مطرودة. تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم للحميدي ٤٥٨/١ .

٢رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي،باب في الحوض، ١٥٠/٨ .

٣ ابن أبي مليكة: هو عبد الله بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي المكي: قاض، من رجال الحديث الثقات. ولاه ابن الزبير قضاء الطائف، توفي سنة ١١٧ هـ . الأعلام للزركلي ١٠٢/٤ .

٤رواه البخاري واللفظ له، كتاب بدء الوحي،باب في الحوض، ١٥١/٨، و رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، ٦٦/٧ .

٥ رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، ٦٦/٧ .

٦ رواه مسلم،باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، ٧٠/٧ .

. هل يكون الحوض قبل الصراط أم بعده؟

اختلف العلماء في ذلك، ورجّح الإمام ابن كثير كونه قبل الصراط ،فقال رحمه الله تعالى: "إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده قلت:إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ: (أعرفكم غراً محجلين[1] من آثار الوضوء)، ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط"[2].

---

١ غرا بضم المعجمة وتشديد الراء: جمع أغر، أي ذو غرة. وأصل الغرة: لمعه بيضاء تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهره وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ.محجلين بالمهملة والجيم: من التحجيل، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحجل بكسر المهملة، وهو: الخلخال والمراد به هنا أيضا النور. فتح الباري لابن حجر ٢٣٦/١ .

٢النهاية في الفتن والملاحم ص ٢٠٨ .

. هل الحوض من خصائص نبينا محمد ﷺ ؟

إن الحوض المورود يوم القيامة ليس من خصائص نبينا محمد ﷺ، بل قد ورد في السنة أن لكل نبي حوضا يوم القيامة.

فعن الحسن البصري عن سمرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:(إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة)[1]

نسأل الله جلّ جلاله أن يوردنا حوض نبيه ﷺ، وأن يسقينا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا، –اللهم آمين–.

---

١ رواه الترمذي،باب صفة الحوض ، برقم(٢٤٤٣) ٦٢٨/٤ . قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح ، قال الشيخ الألباني : صحيح .

المبحث الثاني :

الحوض عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الحوض عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

خالفت بعض الفرق في مسألة الحوض، فمنهم من أنكره رأسا وأولئك هم المعتزلة، ومنهم من انقسم فيه بين منكر، وبين متردد في الجزم به ، وأولئك هم الخوارج.

وقد حكى بعض كتّاب العقائد والفرق والمقالات تلك المخالفة عنهم إما إجمالا أو تفصيلا ،فكان ممن ذكر ذلك:

- الإمام الأشعري رحمه الله تعالى فقد قال:".. وأنكر قوم الحوض ودفعوه "[١].

- وقد أشار الإمام ابن كثير إلى إنكار فئام من الناس للحوض عند سرده للأحاديث الواردة فيه، فقال رحمه الله تعالى:"ذِكرَ مَا وَرَدَ فِي الْحَوض المحمدي - سَقَانَا اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَة -من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها"[٢].

- وقال الإمام عبد القاهر البغدادي:"وقلنا في منكري الحوض لا سقاهم الله منه"[٣].

فنجد فيالنصوص السابقةالإشارة إلى طوائف أنكرت الحوض المورود بدون تحديد لهويتها.

١مقالات الإسلاميين ص٤٧٣ .

٢ النهاية في الفتن ص ١٨٨ .

٣ أصول الدين ص٢٤٦ .

وقد وردت نصوص أخرى فيها تحديد لهوية هذه الطوائف:

- مثل ما جاء في شرح الطحاوية:"أنَّ الحوض خالف فيه المبتدعة من الخوارج والرافضة والمعتزلة "[1].

- وفي الفتوى الحموية: "وأنكر بعض المبتدعة حوضه ﷺ، ومنهم الخوارج والمعتزلة "[2].

هذا ذكر للمخالفين في مسألة الحوض إجمالا ، وفيما يأتي تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى.

---

١ للشيخ صالح آل الشيخ ٣٠٩/١ .

٢أنظر: تعليق الدكتور التويجري في الحاشية ص ٤٣٥ .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الحوض مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شبه الخوارج في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه المعتزلة في الحوض مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: الحوض عند الخوارج وشبههم فيه.

خالفت فرقة الخوارج أهل السنة والجماعة في مسألة الحوض المورود بين منكر له وهم عامّة الخوارج، وبين متردد في إثباته وهم الإباضية.

. أمّا بالنسبة للمنكرين . عامّة الخوارج . :

فقد ورد في إحدى الروايات لأثر ابن عباس ﷺ ،إنكارهم للحوض المورود،فعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول:(إن رسول الله ﷺرجم، ورجم أبو بكر، ورجمت، وسيكون قوم يكذبون بالرجم، والدجال، والحوض، والشفاعة، و بعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار)[1].

وقد وضّح لنا الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى هوية هؤلاء المنكرين المقصودين هنا وأنهم هم الخوارج والمعتزلة،فقال بعد إيراده لهذا الأثر:قال أبو عمر:"الخوارج والمعتزلة يكذبون بهذا كله عصمنا الله من الضلال برحمته"[2].

وجاء في رسالة الخوارج . تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية . مايلي:" ذكر صاحب إحدى الرسائل المخطوطة في الفرق الإسلامية اعتقاد طائفة من الخوارج، فقال:(وهم قوم يرون القرآن مخلوقا،وينكرون الميزان والصراط والشفاعة والحوض وعذاب القبر،وقولهم قول المعتزلة"[3].

١ ذكره ابن كثير في: النهاية في الفتن والملاحم ٢٠١/١ ، والبيهقي في البعث باب ما جاء في حوض النبي ﷺ برقم(١٥٩) ، ١٢٩/١، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٤٨٠/٧ ، بدون ذكر الحوض .

٢ الاستذكار ٤٨٠/٧، وأبو عمر هو المؤلف ابن عبد البر.

٣ رسالة الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية للدكتور غالب عواجي ص٢٧٠ نقلا عن:(رسالة في افتراق الفرق الإسلامية ص٢٩٩، ولم يبين الدكتور غالب حفظه الله لمن هذه الرسالة).

. وأمّا فرقة الإباضية منهم، فقد قال علاّمتهم السالمي شارحا للأبيات التي أوردها في الحوض :"..................... والحوض حق فاترك الجدالا

يرده من أمّـة الرسـول من قد وفى بعهده المسؤول

وهذه المسألة مما يسع جهله لمن لم يبلغه تواتر الأخبار، ويجوز التصديق بخبر الواحد فيها؛ لأنها من زيادة الفضائل لنبينا ﷺ،فالتصديق بها تصديق بمزيد فضيلة له؛ ولذا قال المصنف[1]:والحوض حق ولم يقل والإيمان واجب ولم يذكره مع المسائل التي يجب اعتقادها في أول الفصل.

قوله:(فاترك الجدالا):أي في حقيقته فإن الأخبار واردة به كما رأيت فإن أنكرتها وهي في نفس الأمر مطابقة للواقع كنت منكرا لما هو حق في نفس الأمر، فالوقوف إن لم تصدق أولى من الإنكار وأسلم،فإنها وإن كانت لا تقوم بها حجة عليك فلا يصح تكذيبك لراويها ، وهكذا يجب في كل حديث ورد وفيه محتمل للحق أن لا يرد ، فإن قامت به حجة فذاك، وإلاّ فأمر راويه إلى الله"[2].

فالظاهر عندهم أنّهم أثبتوا الحوض ولم ينكروه، ولكنهم جعلوه من زيادة الفضائل التي ستكون للنبي محمد ﷺ، ولذلك لم يعدّوه ضمن العقائد التي يتعين الجزم والإيمان بها، بل هو عندهم من المسائل التي يسع فيها الجهل، ويسوغ فيها الخلاف،رغم كونهم قد صرّحوا بأنها قد ثبتت بالتواتر ، وهذا بحد ذاته عندهم يلزم بالجزم به ، ولكنهم قد استدركوا وقالوا: إنّ من لم يبلغه هذا التواتر فإنه يسعه الجهل به.

---

١ هو نفسه الإمام السالمي لأنه هو صاحب الرجز والشرح.

٢ مشارق أنوار العقول ص١٢٣ .

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب بل قد صرّحوا بأنه حتى من بلغه أحاديث الحوض ورأى من نفسه أنه لم يصدق بها لكونها مخالفة للواقع، فله أن يتوقف فيه لكن لا ينكره،لكونه قد يكون مطابقا للواقع وهو لا يعلم. وعلى هذا بنوا اعتقادهم في الحوض .

والرد عليهم في ذلك :

أن يقال لهم إنّ هذا الأمر منكم يدل على التناقض والاضطراب في المنهج لديكم، فكيف يسوغ منكم إنكار جملة من العقائد بحجة أنّها ثبتت بأحاديث الآحاد، وأن العقائد بزعمكم لا تثبت إلا من طريق الحديث المتواتر، ثم عندما أتيتم إلى مسألة الحوض وقد صرحتم بورودها عن طريق التواتر[1]. وهذا يلزمكم بالجزم والإقرار بها واعتقادها . ومع ذلك ترددتم فيها!!

فمثل هذا منكم يدل على أن الأمر عندكم لا يخضع لا للمتواتر ولا للآحاد، وإنّما لأهواء محكّمة، نعوذ بالله من ذلك.

وكذلك يقال لهم:إنّ قولكم في هذه المسألة أنّه يسوغ للمرء فيها التوقف وعدم التصديق بحجة عدم معرفته بتواترها، أو بحجة كونها مخالفة للواقع، فإنّ هذا يفتح باب شر عظيم، إذ أنّه ينجر على كافّة العقائد ، فهل كلّما ادّعى شخص عدم معرفته بتواتر مسألة من مسائل الدين ساغ له التوقف فيها ؟!!

إنّ هذا الأمر ليؤذن بنقض عرى الدين عروة عروة ، بل إنه يأتي على بنيانه من القواعد فينسفه، بل هو يسوّغ حتى للكافر كفره!! نعوذ بالله من الزيغ والضلال .

١ قال السالمي:(قوله:(والحوض حق):أي اعطاء الحوض لسيد المرسلين ﷺ في الآخرة حق وردت به الأحاديث المتواترة،قال بعضهم أقول: وقد تلقتها الأمة بالقبول). نفس المرجع ص١٢١.

المطلب الثاني: الحوض عند المعتزلة وشبههم فيه.

نسب أكثر من واحد من أهل العلم للمعتزلة إنكار الحوض وتأويله،ومن ذلك ما نقله الإمام الحافظ ابن حجر عن الإمام القرطبي رحم الله تعالى الجميع، حيث قال:".....وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحالوه على ظاهره، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهرة وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق منّ حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف، قلت: أنكره الخوارج وبعض المعتزلة وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد[1] أحد امراء العراق لمعاوية وولده.."[2]

وذكر مثل ذلك عنهم الإمام أبو الحسن الأشعري،فقال:"وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف"[3].

وجاء في أحد شروح الطحاوية:"أما المعتزلة فخالفوا في إنكاره أصلاً، فأنكروا الحوض، وقالوا: هذه الصفة التي وردت لا تُعْقَلْ"[4].

١عبيد الله ابن زياد: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه (٢٨ - ٦٧ هـ): وال فاتح، من الشجعان، جبار، خطيب. ولد بالبصرة، وكان مع ولده لما مات بالعراق، فقصد الشام، فولاه " عمه " معاوية خراسان (سنة ٥٣ هـ) وكان خصوم ابن زياد يدعونه " ابن مرجانة " وهي أمه . أنظر الأعلام للزركلي ١٩٣/٤ .

٢فتح الباري ٤٦٧/١١ .

٣ الإبانة عن أصول الديانة ص٢٤٥ .

٤ للشيخ صالح آل الشيخ ٣١٨/١ .

ولكن عند الرجوع لأمّات كتب المعتزلة[1] لوحظ أنه ليس لهم كلام في مسألة الحوض، فكان الاعتماد هنا على نقول أهل العلم عنهم، والذي لا يظن مع العلم بنزاهتهم إلا أنهم علموا يقينا بأن هؤلاء ـ أي المعتزلة ـ ينكرون الحوض ويتأولونه، ولكنهم لم ينقلوا عنهم أي شبهة تبرر هذا الإنكار منهم.

---

١ مثل شرح الأصول الخمسة ، وفضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار ، ونحوهما، فقد تم الرجوع إليها ولكن لم يوجد لهم فيها كلام حول مسألة الحوض، حتى كتب مخالفيهم كالأشاعرة فإنهم لم يذكروا تفاصيل لهذه المسألة، واكتفوا بالإخبار بوجود منكرين للحوض بدون تحديد لهوية هذا المنكر.

الفصل العاشر: الصراط

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الصراط عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الصراط عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الصراط مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المبحث الأول :

الصراط عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول: الصراط عند أهل السنة والجماعة .

الصراط في اللغة:

قال الرازي:"[صرط] ص ر ط : الصِّراطُ و السِّراطُ و الزِّراطُ الطريق"[1] .

أمّا في الشرع:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"والصراط منصوب على متن جهنم – وهو الجسر الذي بين الجنة والنار – يمر الناس عليه على قدر أعمالهم"[2].

- وقال السفارينيرحمه الله تعالى :" وفي الشرع :جسم ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون ، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار ، وخلق من حين خلقت جهنم "[3].

- وفي أحد شروح الطحاوية:"الصراط طريق موضوع على ظهر جهنم؛ يعني فوقها – فوق جهنم–، وهو طريق يُوصِلُ من العَرَصَات من أرض المحشر إلى ساحات الجنة؛ يعني ما قبل دخول الجنة"[4].

إذن فالصراط هو: الجسر المنصوب على متن جهنم. أجارنا الله منها. يجوزه الخلائق على قدر أعمالهم.

. والإيمان بالصراط واجب بالإجماع ،وقد حكى الأشعري عن أهل السنة هذا الإجماع ، فقال رحمه الله تعالى:" الإجماع الأربعون:وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك"[5].

١مختار الصحاح/للرازي ١٥١/١ .

٢الواسطية ص٣٤ .

٣ لوامع الأنوار ١٨٩/٢ .

٤ للشيخ صالح آل الشيخ ٧٣١/٢ .

٥ رسالة إلى أهل الثغر/ الأشعري ٢٨٦/١ .

النصوص الدالة عليه:

جاء ذكر الصراط في كتاب الله ﷻ مجملا،وفي سنة رسوله ﷺ مفصلا،ومن ذلك:

*قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ (مريم ٧١)
ذكر المفسرون عددا من المعاني للورود هنا، ومن هذه المعاني:الجواز والمرور على الصراط . قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه، ولهذا قال:﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب"[1].

*وعن عائشة رضي الله عنها قالت:سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ:﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾(ابراهيم ٤٨) فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال « على الصراط »[2].

*وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال:(هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ....الحديث....ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٩٨/١.

٢ رواه مسلم ، باب فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ، ١٢٧/٨.

قال:(فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو...)[1]

*وعن أبي سعيد ﷺ قال رسول الله ﷺ:(يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم ومخدوج به، ثم ناج ومحتبس به، ومنكوس فيها)[2].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"وفي حديث أبي سعيد فناج مسلم ومخدوش ومكدوس في جهنم حتى يمر أحدهم فيسحب سحبا، قال بن أبي جمرة[3] يؤخذ منه أنّ المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدوش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقساما تعرف بقوله بقدر أعمالهم"[4]

*وعن سلمان ﷺ:عن النبي ﷺقال:((يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت فتقول الملائكة:يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. و يوضع الصراط مثل حد الموس

---

١ رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي، باب الصراط جسر جهنم، ١٤٦/٨ ، ورواه مسلم ، باب معرفة طريق الرؤية ١١٢/١ ، المخردل:المقطع بالكلاليب.

٢ رواه ابن ماجه ، باب ذكر البعث ، رقم(٤٢٨٠) ، ١٤٣٠/٢، وصححه الشيخ الألباني، (حسك) جمع حسكة،نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم،ورقه كورق الرجلة وأدق،وعند ورقة شوك ملز صلب ذو ثلاث شعب (السعدان):نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه . (فناج مسلم الخ) أي يكونون على أنحاء فبعضهم مسلمون من آفته . وبعضهم مخدوجون أي ناقصون من خلقتهم . وبعضهم منكوس أي يلقي في النار على رأسه.

٣ ابن أبي جمرة: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد: من العلماء بالحديث، مالكي. أصله من الأندلس ووفاته بمصر سنة ٦٩٥ هـ . من كتبه " جمع النهاية" اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، و " بهجة النفوس" في شرح جمع النهاية، و " المرائي الحسان " في الحديث والرؤيا. الأعلام للزركلي ٨٩/٤ .

٤ فتح الباري ٤٥٤/١١ .

فتقول الملائكة : من تجيز على هذا ؟ فيقول : من شئت من خلقي فيقول : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك))[1] .

الأعمال التي تقارن صاحبها على الصراط:

. وورد في بعض الأحاديث ذكر بعض الأعمال التي تنفع صاحبها وتقارنه على الصراط، ومن ذلك الأمانة وصلة الرحم، وذلك كما في الحديث التالي:

*عن حذيفة بن اليمان و أبي هريرة ﷺ قالا:قال رسول الله ﷺ:(يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف الجنة فيأتون آدم عليه الصلاة و السلام فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : و هل أخرجتكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك، اعمدوا إلى إبراهيم خليل الله. فيأتون إبراهيم فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذاك إنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى النبي موسى الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذاك، اذهبوا إلى كلمة الله و روحه عيسى، فيقول عيسى: لست بصاحب ذاك فيأتون محمدا ﷺ فيقوم، فيؤذن له و يرسل معه الأمانة و الرحم، فيقفان بالصراط يمينه و شماله، فيمر أولكم كمر البرق، قلت: بأبي و أمي أي شيء مرّ البرق؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ثم يرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الرّيح، و مرّ الطير، و شدّ الرّحال، تجري بهم أعمالهم، و نبيكم قائم على الصراط: رب سلّم سلّم. قال: حتى تعجز أعمال الناس حتى يجيء الرجل فلا يستطيع أن يمر إلا زحفا، قال: و في حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، و مكردس في النار، و الذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفا)[2].

---

١ أخرجه الحاكم في مستدركه رقم(٨٧٣٩)، ٦٢٩/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم .

٢ أخرجه الحاكم في مستدركه رقم(٨٧٤٩) ، ٦٣١/٤ ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

قال ابن حجر:"وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا أي يقفان في ناحيتي الصراط وهي بفتح الجيم والنون بعدها موحدة ويجوز سكون النون، والمعنى: أنّ الأمانة والرحم لعظم شأنهما، وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل"[1].

. وقد تضمنت هذه الأحاديث ذكر لأوصاف الصراط المنصوب على متن جهنم، قال السفاريني رحمه الله تعالى:"الصراط أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، وأحمى من الجمرة"[2]،وعليه كلاليب تخطف الناس،أجارنا الله منها.

أما بالنسبة لطول الصراط ومسافته:

فالصواب التوقف في ذلك لعدم ورود الدليل الصحيح عليه، ولكنّا نعلم أنّ المرور على الصرط يتفاوت بحسب العمل،جاء في فرق معاصرة:"كما أنه قد ورد في تحديد مسافة الصراط أقوال كثيرة تفتقر إلى دليل من الشرع، فهي من اجتهادات العلماء واستنباطهم، وينبغي معرفة أن المسافة وطولها أو قصرها إنما تعود إلى العمل، فالاجتياز عليه إنما هو بقدر العمل كما ثبت ذلك في عدة نصوص"[3].

وأخيرا: فالصراط ظلمة لا ينيرها إلا نور التوحيد والإيمان، وكلما زاد توحيد العبد وإيمانه زاد نوره على الصراط ، وكلما تلطخ العبد بالمعاصي خفت نوره ، حتى تطفئه ظلمة الكفر والشرك والعياذ بالله.

قال شارح الطحاوية:"ودون هذا الصراط ظُلْمَةٌ لا يَتَبَيَّنْ أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة.

---

١ فتح الباري ٤٥٣/١١ .

٢ لوامع الأنوار ١٨٩/٢ .

٣ للدكتور غالب عواجي ١١٥٠/٣ .

وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظلمة ويسيرون ويتهافتون في النار تهافت الجراد"[1].

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إلى ذلك عند حديثه عن المثل المضروب للمنافقين في سورة البقرة ،بأن هؤلاء المنافقين لما كان نورهم في الدنيا مستعارا من غيرهم،لا من عند أنفسهم حقيقة ، كان ذلك سببا في إطفاء نورهم على الصراط في الآخرة،فقال رحمه الله تعالى:"...ومنها أن في هذا المثل إيذانا وتنبيها على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون نورًا ظاهرا كما كان نورهم في الدنيا ظاهرا، ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ويبقون في الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور، فإنه لا يمكن أحدا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر؛ فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه"[2].

وقال أيضا:"ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا له مادة من الإيمان أعطي في الآخرة نورا ظاهرا لا مادة له ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه. ومنها أن مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرع سيرا هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتا على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومنخطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومخردل أي مقطع بالكلاليب مكردس في النار، كما أثر فيهم تلك الكلاليب في الدنيا جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد"[3].

نسأل الله تعالى أن يجيرنا من ذلك ، وأن يتم لنا نورنا في الدنيا والآخرة .

---

١ شرح الطحاوية /الشيخ صالح آل الشيخ ٧٣٢/٢ .

٢ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية/ ابن قيم الجوزية ٣٣/١ .

٣ المرجع السابق ٣٧/١ .

المبحث الثاني :

الصراط عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الصراط عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

هناك فرق خالفت أهل السنة والجماعة في مسألة الصراط والمرور عليه، وهذه الفرق هي: الخوارج، و المعتزلة ، والجهمية .

والمقصود بالمخالفة هنا لأهل السنة والجماعة:إما بإنكار الصراط بالكلية،أو بإنكار الصراط الحسي مع إثبات صراط معنوي . ألا وهو الأوامر والنواهي الإلهية . ،أو بإثباته مع إنكار ما ثبت من وصف له في النصوص الصحيحة.

وقد ذكر ذلك كتاب الفرق والعقائد في كتبهم ، ومن ذلك:

- قال الأشعري رحمه الله تعالى:"واختلفوا في الصراط ،فقال قائلون[1]: هو الطريق إلى الجنة وإلى النار، ووصفوه فقالوا: هو أدق من الشعر، وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء. وقال قائلون[2]: هو الطريق، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعر، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه "[3].

- وقال الشيخ الحكمي:"وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة"[4].

---

١ يقصد بهم أهل السنة والجماعة.

٢ هؤلاء هم المعتزلة.

٣مقالات الإسلاميين ص٤٧٢ .

٤معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصولص٨٥٦ .

- وجاء في شرح الطحاوية:"وقد أنكر بعض الطوائف الصراط، وهم المعتزلة، وقالوا: ليس هناك صراط حسي، وقالوا: إن الصراط إنما هو المراد الصراط المعنوي "[1].

- وقال البغدادي في حكاية مذهب أهل الحق:"وقالوا بالحوض والصراط والميزان، ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض، ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم"[2].

فبيّن أن المنكر للصراط يعاقب بجنس عمله فلا تثبت له قدم على الصراط ، وينزلق عنه والعياذ بالله.

١فضيلة الشيخ عبد العزيز الراجحي ٦٥٦/٢ .

٢الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣٣٩ .

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في الصراط مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبه الجهمية في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الخوارج في الصراط مع بيان وجه الاستدلال

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في الصراط مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: الصراط عند الجهمية.

نقل بعض الأئمة إنكار الجهمية وتكذيبهم للصراط ،ومن ذلك ما ذكره الملطي حيث أشار إلى أن النصوص المثبتة للصراط تكذّب ما ذهب إليه جهم بن صفوان من إنكار له ، فقال:"والآثار جاءت بتكذيب جهم في إنكاره أن الله يجيز على الصراط عباده..."[1].

ثم شرع بعدها بسرد جملة من الأحاديث التي فيها إثبات الصراط ،وكأنه أراد بذلك الرد عليه.

وكذلك جاء في الفتوى الحموية نسبة هذا الإنكار للجهمية، وفيه:"وأنكره الجهمية، والمعتزلة، وجماعة من الخوارج، وتأولوا النصوص الواردة فيه بأن المراد منه هو الطريق، وأنكر آخرون أن يكون أدق من الشعر وأحد من السيف. وقالوا:لأن ذلك تعذيب ولا يمكن العبور عليه، والنصوص ترد على كلا الطائفتين وحجة عليهم،وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها والتسليم لها "[2].

وجاء أيضا نسبة هذا الإنكار للجهمية في كتاب الحياة الآخرة ، وفيه:"وإذا كان أولئك قد نفوا وجود الصراط ،فإن زعيم المنكرين لوجوده هو الجهم بن صفوان،فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه البشر قبل ذهابهم إلى الجنة" .[3]

---

١ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع /الملطي ص١٠١ .

٢ أنظر: تعليق الدكتور التويجري في الحاشية ٤٣٧/١ .

٣ الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار للدكتور غالب عواجي ١٢٨٢/٣ .

شبههم:

أمّا بالنسبة لما يتعلق بشبههم: فقد وجد مع البحث أنّ إنكار الجهمية للصراط قد خلى عن أي شبهة أو دليل .

وقد أشار صاحب كتاب الحياة الآخرة إلى ذلك، فقال:"وهو في إنكاره هذا ليس له ما يستند عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولا برهان، شأنه شأن غيره ممن ينفي الصراط الحسي في يوم القيامة دون دليل. قال خالد العلي[١]:(ولا تذكر المصادر الحجج والبراهين التي استند عليها الجهم في نفي الصراط المادي "[٢].

---

١ خالد العلي: هو أحد الباحثين نقل عنه الدكتور غالب عواجي من رسالة له بعنوان:جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص٢٤٣.

٢ الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار للدكتور غالب عواجي ١٢٨٢/٣ .

المطلب الثاني: الصراط عند الخوارج وشبههم فيه.

انقسمت الإباضية من الخوارج إلى قسمين في مسألة الصراط ، فالأغلب منهم على إنكار الصراط الحسي المضروب على متن جهنم ، وقليل منهم ذهبوا إلى إثباته.

وقد جاء في كتاب فرق معاصرة تنتسب للإسلام بيان لهذا الانقسام الحاصل فيهم، وفيه:"وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط، وقالوا: إنه ليس بجسر على ظهر جهنم ، وذهب بعضهم –وهم قلة– إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم"[1].

وقد صرّح الإباضية بأنكار الصراط الحسي الذي يكون يوم القيامة ،وأوّلوا الوارد في النصوص بأن المقصود منه طريق الإسلام وتعاليمه ، وأن ما ورد من وصفه بدقة الشعرة وحدة السيف غير صحيح ، وإن صح فإنما هو للدلالة على صعوبة تعاليم الدين ومدى المشقة الحاصلة عند التمسك بها في زمان الشهوات و الفتن والمغريات، وقد جاء في كتاب الإباضية مذهب إسلامي معتدل: "الصراط ليس طريقا حسيا فوق جهنم ، إنما هو طريق الإسلام ودين الله الذي ارتضاه لعباده.
ووصفه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة . إن صح . يقصد به صعوبة الاستمساك بالإسلام والسير في نهجه القويم وسط أمواج الرغبات الجامحة ، والشهوات الطامحة ، والفتن المتلاطمة في خضم الحياة "[2].

وقد بيّن إمامهم السالمي عقيدتهم في الصراط في أرجوزته (أنوار العقول)، فقال:

وقوله الصراط فهو الحق لا جسر كما بعضهم تأولا

وقال في شرحها:" هو عبارة عن الحق المشروع، وذكر أصناف السالكين فيه تمثيل لرتب

---

١ للدكتور: غالب عواجي ٢٧٢/١ .

٢ لعلي يحيى معمر ص١١ .

المكلفين، كما صرَّح به الغزالي[1] في(المضنون به على غير أهله) وبيّن هنالك: أنّ ما بين الحق والباطل أحد من السيف، وأدق من الشعرة، فالأشياء إما حق أو باطل"[2].

شبههم :

قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ (مريم٧١)
اشتبه عليهم لفظ الورود في الآية ، فقالوا كيف يمكن أن يرد المؤمنون النار ويدخلوها ،والحال أن من دخل النار فلن يخرج منها أبدا . في مذهبهم .، فأولوا عند ذلك لفظ الورود بأنه إنما يقصد به رؤية النار لا دخولها. ولعل ذلك من الشبه التي قادتهم إلى نفي الصراط .
قال صاحب معارج القبول :" وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة"[3].

مناقشتهم:

يقال لهم:إن كان الذي أشكل عليكم لفظة الورود في الآية فلابد من توضيح معناها الوارد عن السلف،فقد أثر عنهم عدد من المعاني للورود في الآية ،وقد ذكرها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره فقال رحمه الله تعالى:" واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله

---

١ الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ): فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين)، و (تهافت الفلاسفة) و (الاقتصاد في الاعتقاد) و(محك النظر) و (معارج القدس في أحوال النفس) و (الفرق بين الصالح وغير الصالح) و (مقاصد الفلاسفة)، وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٢/١٩ ، الأعلام للزركلي ٢٢/٧.
٢ مشارق أنوار العقول ص١٢٨ .
٣معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول/ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ص٨٥٦ .

في هذا الموضع، فقال بعضهم[1]: الدخول...، وقال آخرون[2]: بلّ هو المرّ عليها...، وقال آخرون[3]: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين...، وقال آخرون[4]: بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول...، وقال آخرون[5]: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمَّى ومرض...، وقال آخرون[6]: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم..."[7].

ثم بعد سرده لهذه الأقوال المأثورة في معنى الورود، رجّح رحمه الله تعالى أحدها— وهو السادس – فقال:"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار. وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها"[8].

وقد بيّن كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن المراد بالورود في الآية هو المرور على الصراط دون الدخول، مع كون كلمة الورود تحتمل كلا المعنيين، فقال:"وكذلك لما قال النبي ﷺ:(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)[9] ، لم يرد به المرور على الصراط ، فإن ذاك ذاك لا يسمى دخولا ولكن سماه الله ورودا بقوله:﴿وإن منكم إلا واردها﴾(مريم ٧١). ولفظ الورود يحتمل العبور والدخول وأيضا فالورود والدخول قد يراد: ورود أعلاها.

---

١ وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم، أنظر: تفسير القرطبي ١٣٦/١١ .

٢ هو قول ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي ، أنظر: تفسير القرطبي ١٣٦/١١ .

٣هذا القول مروي عن ابن عباس ، أنظر زاد المسير ٢٥٥/٥ .

٤قاله ابن زيد ، أنظر زاد المسير ٢٥٦/٥ .

٥روي عن مجاهد ، أنظر زاد المسير ٢٥٧/٥ .

٦ روي عن عبد الله بن مسعود، زجابر بن عبد الله، وغيرهما، أنظر تفسير الطبري ٢٣٣/١٨ .

٧ جامع البيان في تأويل القرآن /لابن جرير الطبري ٢٣٠/١٨ .

٨ المرجع السابق ٢٣٤/١٨ .

٩ رواه النسائي في سننه الكبرى ،كتاب التفسير، سورة الفتح ، برقم(١١٥٠٨) ، ٤٦٤/٦ .

وقد ثبت في الصحيح أنهم إذا عبروا على الصراط منهم من يمر كالطرف، ومنه من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل. وفسر النبي ﷺ الورود بهذا. وهذا عام لجميع الخلق. فلما قالت حفصة أليس الله يقول:﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (مريم٧١) لم تكن هذه معارضة صحيحة لما أخبر به[١]. فبيّن لها النبي ﷺ بعد أن زبرها: أن الله قال:﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾(مريم٧١)فتلك النجاة هي المعنى الذي أراده بقوله:(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)"[٢].

فهذه هي المعاني التي رجّحها السلف رضوان الله عنهم أجمعين.

وتفسير الورود بالرؤية -كما ذهب إليه الخوارج- قد ورد أيضا عن بعض السلف كما ذكر ذلك الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، حيث قال:" وقالت فرقة[٣]: بل هو ورود إشراف واطلاع واطلاع وقرب. وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنة" وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ" أي يؤمر بهم إلى النار،قال الله تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ﴾ (القصص ٢٣) أي: أشرف عليه، لا أنه دخله".[٤]

ولكن تفسير الورود بالرؤية إن قيل به، فإنه لا يلزم منه إنكار الصراط والمرور عليه، فإنّ الصراط قد ثبت بنصوص أخرى كثيرة كما تقدم ذكره.[٥]

---

١ يقصد به ما أخبر به النبي ﷺ من كونه (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) .

٢ درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٢٩ .

٣نسب ابن الجوزي هذا القول إلى: عبيد بن عمير في زاد المسير ٥/٢٥٦ .

٤ الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٧ .

٥انظر: المبحث الأول من نفس الفصل ص ٣١٣ .

ثم يقال لهم: إن تفسير الورود بالدخول و الذي أنكرتموه، وفررتم منه هو أحد التفاسير المأثورة عن السلف وعن ابن عباس ﷺ تحديدا[1].وقد ردّ على أحد رؤوسكم ممن أنكر هذا التفسير . وهو نافع بن الأزرق[2] . في المناظرة التي دارت بينهما في ذلك والتي فيها أن ابن عباس ﷺقال:(الورود: الدخول، وقال نافع: لا. فقرأ ابن عباس:﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾(الأنبياء ٩٨) أورود هو أم لا ؟ وقال:﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾(هود ٩٨) أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع)[3].

فبيّن رحمه الله تعالى أنه لا إشكال في تفسير الورود بالدخول ، لأن الدخول سيتناول كل فريق بحسبه ،أما المؤمنون فدخول ثم خروج ويكون ذلك بالمرور على الصراط .وأما الكافر فدخول بلا خروج أعاذنا الله منها.

والظّن والله تعالى أعلم أن مكمن الشبهة عندهم هنا يعود إلى معتقدهم في الإيمان ، حيث أنهم جعلوا الناس أحد رجلين مؤمن كامل الإيمان فهو في الجنة ولن يدخل النار إطلاقا، وكافر فهو في النار أبدا، وأما العاصي فهو قد خرج من الدين وكفر بعصيانه رب العالمين فيكون حكمه حكم الكفار. ومن هذا المعتقد أشكل عليهم لفظ ورود النار فأولوه بمجرد النظر إلى النار، وأنكروا المرور عليها عبر الصراط الذي سماه بعضهم بالدخول.

---

١ هناك من العلماء من رأى أن تفسير الورود بالدخول غير صحيح ورد على أدلة من قال أنه بمعنى الدخول وللفائدة:ينظر شرح الطحاوية /للشيخ الراجحي ٦٥٨/٢ .

٢ نافع ابن الأزرق: هو نافع بن الازرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الازارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وله (أسئلة) رواها عنه، وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على (عثمان) ووالوا عليا، إلى أن كانت قضية (التحكيم) بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في (حروراء) وهى قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم، بالخوارج . وكان (نافع) جبارا فتاكا، قاتله المهلب بن أبى صفرة ولقي الاهوال في حربه وقتل يوم (دولاب) على مقربة من الاهواز سنة ٦٥ هـ . أنظر الأعلام للزركلي ٣٥١/٧ .

٣ جامع البيان في تأويل القرآن /لابن جرير الطبري ٢٣٠/١٨ .

وأخيرًا يقال لهم : على فرض أن هذه الآية من الآيات التي اشتبهت عليكم ،ولم يثبت بها المرور على الصراط في الآخرة ،فأين أنتم من مجموع النصوص الصريحة والتي جاءت بذكر الصراط ووصفه[1] .

١سبق إيراد جملة من هذه النصوص ص ٣١٣.

المطلب الثالث: الصراط عند المعتزلة وشبههم فيه.

افترقت المعتزلة في مسألة الصراط ، فذهب بعضهم[1] إلى إنكاره بالكلية ، وأنه لا يراد به صراط حسي في الآخرة، وإنما المراد به الصراط المعنوي . أي الأدلة الدالة على الجنة والنار. قال القاضي عبد الجبار:" عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار."[2]

وذهب بعضهم[3] إلى إنكار وصف الصراط الوارد في النصوص الشرعية،وقالوا بعدم صحة هذا الوصف، قال القاضي عبد الجبار:"فإن قيل:أفيصح ما يذكر في الصراط ؟ قيل له:أما على ما تقوله العامة[4] في وصفه، وعلى ما تقول في بعض الأخبار ، فلا يصح ذلك، وإنما الذي يصح ، أن يكون طريقا لأهل الجنة والنار بعد المحاسبة"[5].

وقال أيضا في موضع آخر :"فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية، من أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار؛ فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف، حتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ماهذا سبيله في الدقة والحدة"[6].

---

١ نسب القاضي عبد الجبار ذلك إلى عبّاد، وإلى بعض من مشايخه دون أن يسمهيم ، أنظر شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٨ .

٢ شرح الأصول الخمسة ص٧٣٨ .

٣ منهم القاضي عبد الجبار، فإنه قد أنكر الوصف الوارد للصراط.

٤ يقصد بالعامّة هنا أهل السنة الذين أثبتوا وصف الصراط.

٥ فضل الاعتزال ص ٢٠٤ .

٦ شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧ .

وقد علّل المعتزلة إنكارهم لهذا الوصف الثابت للصراط بأنّه لا يصلح أن يكون طريقا للمشاة، ولو صحّ لكان فيه تعذيب للمؤمنين،وفيه تكليف للخلق في وقت قد زال عنهم التكليف فيه، فقد قال القاضي أيضا:"فإن قيل هلا صح أن يقال:أنه أدق من الشعر وأحد من السيف ؟ قيل له: إن مثل ذلك لا يكون طريقا للماشي ولا يتمكن له ولا يصح في الآخرة ، ولا تكليف أن يؤمروا على وجه التعبد لو أمكن ذلك أيضا"[1].

وقد جاء في كتاب المواقف كلام جامع لمذهب المعتزلة في الصراط، وفيه:" واعلم أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه جميع الخلائق المؤمن وغير المؤمن ، وأنكره أكثر المعتزلة، وتردد قول الجبائي فيه نفيا وإثباتا فنفاه تارة وأثبته أخرى ، وذهب أبو الهذيل، وبشر بن المعتمر[2] إلى جوازه دون الحكم بوقوعه.
قالوا ـ أي المنكرون ـ : من أثبته بالمعنى المذكور وصفه بأنه أدق من الشعر وأحد من غرار السيف أي حده كما ورد به الحديث الصحيح، وأنه على تقدير كونه كذلك لا يمكن عقلا العبور عليه ، وإن أمكن العبور لا يمكن إلا مع مشقة عظيمة ، ففيه تعذيب المؤمنين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة وحينئذ وجب أن يحمل قوله تعالى ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (الصافات/٢٣) على الطريق إليها "[3] .

وقد أجاب القاضي عبد الجبار عن اعتراض قد يرد على إنكارهم لوصف الصراط وهو أنه: كيف يكون الصراط سهلا معبدا يعني بإنكاركم لوصفه ويشترك فيه أهل الجنة وأهل النار؟ فإن هذا يقتضي التسوية بينهم رغم اختلاف أحوالهم! فقال:"فإن قيل:كيف يكون طريقا سهلا مسلوكا ويشارك فيه أهل النار لأهل الجنة؟ قيل له:إنهم وإن شاركوا أهل الجنة في المشي،ففي قلوبهم من الغم الذي قد شاهدوا عند المحاسبة من أحوالهم،ما لا يؤثر ذلك

١ فضل الاعتزال ص ٢٠٤ .
٢ سبق ترجمته في ص ٢٨٢ .
٣ الإيجي ٣/٥٢٥ .

فيهم،وأهل الجنة ففي قلوبهم من السرور، ما لا يؤثر فيهم مساواة أهل النار في ذلك القدر"[1].

وهذا الكلام للقاضي يلتمس منه مدى الإصرار على إنكار الوصف الوارد للصراط .

شبهتهم :

قوله تعالى:﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد ١٣) .

قالوا: إن هذا السور مضروب على الصراط ، وفي هذا السور كذا ألف مكان للسُّيّار،كأنهم أرادوا القول باستحالة ذلك الوصف للصراط ـ أدق من الشعرة وأحد من السيف ـ مع وجود كل هذا عليه. ذكر ذلك القاضي عبد الجبار عند كلامه عن الصراط وإنكاره لأوصافه، فقال: "وقد دل القرآن على سور مضروب فيه، فيه كذا ألف مكان للسُّيّار، وهي[2] المكان الذي يجتازون منه إلى الجنة،ولذلك قال:﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ (الحديد١٣) فبينوا لهم أنهم أوتوا من قبل أنفسهم، فالصراط على ما ذكرناه ، هذا الطريق إلى الجنة والنار على ما بيناه"[3].

الجواب عنها من أوجه:

أولا: يقال لهم: إنما حصل لكم هذا الإشكال بسبب أنكم قستم عالم الغيب و ما يكون في الآخرة على عالم الشهادة الذي ترونه في دنياكم، وظننتم أن ما يحصل هنا هو عين ما

١ فضل الاعتزال ص٢٠٦ .

٢ولعل الصواب (وهو) .

٣ فضل الاعتزال ص ٢٠٤ .

يحصل هناك،وحينها أنكرتم وصف الصراط بعلة أنه في عالم الشهادة لا يتصور أن يكون طريق في دقة الشعرة وحدة السيف ثم يحمل فوقه مثل هذا السور الذي له باب،فكذلك يقاس عليه عالم الغيب.

ومن أكبر الأخطاء في باب الاعتقاد: أن يقاس عالم الغيب على عالم الشهادة ،لأن لكل منهما أحوالًا تخصه، لا يصح قياسها على الآخر بوجه من الوجوه، والواجب علينا في كل أمر غيبي الإيمان والتسليم بدون اعتراض بمخالفة ذلك لما هو في عالم الشهادة ، وقد كان الإيمان بالغيب من أوائل الصفات التي امتدح الله ﷻ بها المؤمنين في سورة البقرة، قال تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة ٣).

ثانيا: من أين لكم أصلا أن السور الوارد في سورة الحديد أنه يضرب به على متن الصراط، فقد يكون على الصراط ، وقد لا يكون عليه بل في موضع آخر، فالزعم بأن السور مضروب على الصراط لا وجه له بدون دليل صحيح يدل عليه ؛ إذ هذا من الأمور الغيبية التوقيفية التي لا سبيل إليها بدون الدليل الصحيح .

وقد جاء في تفسير السور المضروب بين المؤمنين والمنافقين عن السلف الصالح بأنه حاجز بين الجنة والنار بدون أن يذكر موضع معين له.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وإنما المراد بذلك:سورٌ يُضْرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة"[١] .

---

١ تفسير القرآن العظيم ١٨/٨ .

ثالثا: يقال لهم تنزلا معهم ، لنفرض أن هذه الآية يفهم منها نفي الصفات الواردة في الصراط ، فإنها تعارض بجملة النصوص[1] المثبتة لوصف الصراط .

وقد حكى إمام الحرمين[2] عن المعتزلة هذا الإنكار الذي ذهبو إليه، فقال:"فإن أبدوا مراء في الصراط ،وقالوا في الحديث المشتمل عليه إنه أدق من الشعر وأحد من السيف، وخطور الخلائق على ما هذا وصفه غير ممكن...)ثم ردّ عليهم قائلا:"فأما ماذكروه في الصراط فلا خفاء بسقوطه؛ فإنه لا يستحيل الخطور في الهواء والمشي على الماء ، وكيف ينكر ذلك من يلزمه الدين رغما الاعتراف بقلب العصا حية وفلق البحر ، وإحياء الموتى في دار الدنيا"[3].

١سبقت في المبحث الأول (الصراط عند أهل السنة) ص٣١٣ .

٢ إمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين(٤١٩ – ٤٧٨ هـ): أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها. وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، منها " غياث الامم والتياث الظلم" و " العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية" و " البرهان" في أصول الفقه، و " نهاية المطلب في دراية المذهب" في فقه الشافعية، و " الشامل " في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و " الإرشاد" في أصول الدين، و " الورقات" في أصول الفقه، و " مغيث الخلق" أصول. توفي بنيسابور.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٦٨/١٨ ، الأعلام للزركلي ١٦٠/٤.

٣ كتاب الإرشاد /للجويني ص٣٧٩ .

الفصل الحادي عشر: الشفاعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الشفاعة وأنواعها عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: مفهوم الشفاعة عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الشفاعة مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المبحث الأول:

الشفاعة وأنواعها عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: الشفاعة وأنواعها عند أهل السنة والجماعة.

الشفاعة لغة:

قال ابن فارس:"(شفع) الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشيئين. من ذلك الشَّفْع خلاف الوَتْر. تقول: كان فرداً فشفَعْتُه"[١].

وقال ابن منظور:" وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي:السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم. والمشفِّع الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع الذي تقبل شفاعته"[٢].

وبمثله قال الجرجاني[٣]:" الشفاعة:هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"[٤].

أمّا الشفاعة في الشرع:

فقال ابن حجر رحمه الله تعالى:"والشفاعة فيها معنى السؤال والتقاضي للإجابة...و لا تكون إلا في خير"[٥].

وقال أيضا:"الاستشفاع طلب الشفاعة، وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه"[٦].

وقال السفاريني:" الشفاعة:...عرفا: سؤال الخير للغير "[٧].

---

١ مقاييس اللغة ٢٠١/٣ .

٢ لسان العرب ١٨٤/٨ .

٣ الجرجاني:علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني(٧٤٠ - ٨١٦ هـ): فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية.ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فر الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات" و " شرح مواقف الايجي" و " شرح كتاب الجغميني " في الهيئة، و " مقاليد العلوم" و " تحقيق الكليات" و " شرح السراجية" في الفرائض، وغيرها . الأعلام للزركلي ٧/٥ .

٤ التعريفات ١٦٨/١ .

٥ فتح الباري ٣٠٠/٣

٦ فتح الباري ٤٣٣/١١ .

٧لوامع الأنوار للسفاريني ٢٠٤/٢ .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"(الشفاعة) مصدر من قول الرجل:"شفع لي فلان إلى فلان شفاعة، وهو طلبه إليه في قضاء حاجته. وإنما قيل للشفيع"شفيع وشافع" لأنه ثنى المستشفع به، فصار به شفعا فكان ذو الحاجة -قبل استشفاعه به في حاجته- فردا، فصار صاحبه له فيها شافعا، وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة"[1].

وفي أحد شروح الطحاوية هي:"اسم عام لكل دعاء للنبي ﷺ يوم القيامة لأمته، فكل دعوة يدعو بها ﷺ في العرصات يوم القيامة فإنها تعدُّ من الشفاعة"[2].

فالشفاعة إذن: هي كل دعاء من النبي ﷺ لأمته في يوم القيامة ، وهي أيضا دعاء غير النبيﷺ في ذلك اليوم ممن هو أهل أن يشفع عند الله ﷻ بالخير للغير ممن هم أهل للشفاعة ،كما سيتبين ذلك بالشروط لاحقا إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين،لكن ما له فيها أفضل مما لغيره؛ فإنه ﷺأفضل الخلق وأكرمهم على ربه ﷻ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه"[3].

. والشفاعة عند الخالق ﷻ تختلف عما هي عليه عند المخلوق،فإن الشفاعة عند المخلوق تصيّر كلا من المطلوب له والمطلوب منه شفعا بعد أن كان وترا، أما الشفاعة عند الواحد الأحد فتأثر في المطلوب له فتصيره شفعا، وأما الخالق المطلوب منه فإنه أحد وتر لا شريك له البتة.

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن ٣١/١ .

٢للشيخ صالح آل الشيخ (/٣٢٥ .

٣ مجموع الفتاوى ٣١٣/١ .

وقد بيّن العلامة ابن أبي العز الحنفي هذا المعنى اللطيف، فقال:"فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب بمعنى أنه صار شفعا فيه بعد أن كان وترا فهو أيضا قد شفع المشفوع إليه وبشفاعته صار فاعلا للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد،فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله إليه فلا شريك له بوجه... وإذا دعاه الداعي وشفع عنده الشفيع فسمع الدعاء وقبل الشفاعة لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء "[1] .

شروط الشفاعة:

للشفاعة عند الخالق سبحانه وتعالى يوم القيامة شرطان لا تتم بدونهما،وهما:

١.الإذن: قال فضيلة الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى:"وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه"[2].

٢.والرضا:أي رضاه سبحانه وتعالى عن الشافع وعن المشفوع له، "رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد؛ لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة؛ كما قال تعالى:﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(المدثر ٤٨) "[3] .

---

١ شرح الطحاوية ٢٦٤/١ .

٢معارج القبول ص٨٨٧ .

٣ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣٠٢ .

وقد تكرر ذكر هذه الشروط في نصوص الوحي،ولعل من أبرز ذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم:٢٦).

أنواع الشفاعة:

للشفاعة يوم القيامة أنواع متعددة وردت بها النصوص الشريفة كما ذكر ذلك العلامة السفاريني رحمه الله تعالى،حيث قال:" فإنها أي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتي ذكرها ثابتة بالنقل الصحيح بل المتواتر للنبي المصطفى محمد ﷺ كما أنها ثابتة لغيره أي غير نبينا محمد ﷺ من كل أرباب أي أصحاب الوفا بامتثال الأوامر ، والانتهاء عن الزواجر "[1].وسيعرض البحث هنا لهذه الأنواع والنصوص الدالة عليها،مع الاكتفاء بدليل واحد أو أكثر في كل نوع من الأنواع مما يبين المقصود.

١.الشفاعة العظمى في أن يفصل الله ﷻ في أهل الموقف (المقام المحمود):

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي محمد ﷺ لإراحة أهل الموقف يوم القيامة من طول الوقوف والانتظار بأن يفصل الله ﷻ فيهم ،وهي التي تعرف بالمقام المحمود له ﷺ الوارد في قوله تعالى:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾(الإسراء٧٩) وقد ذكر العلماء أقوالًا متعددة في تفسير المقام المحمود ، ورجّح الإمام ابن حجر كونها الشفاعة في الفصل بين العباد في الموقف،وفي إخراج المذنبين من النار،فقال رحمه الله تعالى:"والراجح أن المراد بالمقام المحمود: الشفاعة، لكن الشفاعة التي وردت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان الأول العامة في فصل القضاء، والثاني الشفاعة في إخراج المذنبين من النار)[2].

عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول:(إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا[3] كل أمة تتبع نبيها يقولون:

---

١ لوامع الأنوار ص٢٠٨ .

٢ فتح الباري باب صفة الجنة والنار ٤٢٧/١١ .

٣ جثا: بوزن عرا، جمع جاث أي: بارك على ركبتيه. فتح الباري ٩٦/١ .

يا فلان اشفع،حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)[1].

وقد جاء ماتضمنه هذا الأثرمنشورا ومفصلا في حديث أنس ﷺ في بيان كيفية المجيء إلى كل نبي من الأنبياء حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمدﷺ، فعنهﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك – وقال ابن عبيد[2] فيلهمون لذلك – فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا – قال – فيأتون آدمﷺفيقولون:أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لست هناكم[3] – فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها – ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله – قال – فيأتون نوحاﷺ فيقول لست هناكم – فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها – ولكن ائتوا إبراهيم ﷺ الذي اتخذه الله خليلا. فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول لست هناكم – ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها – ولكن ائتوا موسى ﷺالذي كلمه الله وأعطاه التوراة. قال فيأتون موسى عليه السلام،فيقول لست هناكم – ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها – ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته. فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم. ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ». قال:قال رسول الله ﷺ:« فيأتوني فأستأذن على ربى فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله، فيقال:يا محمد ارفع رأسك،قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة – قال فلا

---

١ رواه البخاري ،كتاب بدء الوحي ، باب﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، ١٠٨/٦ .

٢ ابن عبيد: هو محمد بن عبيد بن حساب الغبري البصري. من العاشرة. روى عنه مسلم وأبي داود والنسائي. قال أبو حاتم صدوق وقال الآجري عن أبي داود ابن حساب فوق الزبيري يعني عبدالله بن محمد بن المسور الزبيري بكثير. ابن حساب عندي حجة. وقال النسائي ثقة. قال محمد بن عبدالله الحضرمي مات سنة ٢٣٨هـ. وقال مسلمة ثقة وفي الزهره روى عنه مسلم عشرين حديثا.أنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٩٢/٩ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ٤٩٥/١ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ١٩٨/٢ .

٣ لست هناكم: معناه لست أهلا لذلك... قال القاضي عياض هذا يقولونه تواضعا واكبارا لما يسئلونه قال وقد تكون اشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره . شرح صحيح مسلم للنووي ٥٥/٣-٥٦.

أدرى في الثالثة أو في الرابعة قال – فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي: وجب عليه الخلود ». – قال ابن عبيد في روايته قال قتادة أي وجب عليه الخلود)[1].

٢.الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها:

وهذه الشفاعة أيضا خاصة به ﷺ، عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ:(أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة)[2].

وعنه رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:(آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)[3].

٣.الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين:

دليلها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[4]، وهذه الشفاعة لها فرعين:

الأول:الشفاعة في أقوام من أهل الكبائر استحقوا دخول النار ألا يدخلوها.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:"ودليل الثالثة قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول:(رب سلّم)[5]."[6].

ولعل مقصوده رحمه الله تعالى أن دعاء النبي ﷺ بالسلامة لمن يمر على الصراط من المذنبين من أمته كان شافعا لبعضهم، وسببا في نجاتهم من النار بإذن الله تعالى.

الثاني:الشفاعة في أقوام من أهل الكبائر دخلوا النار أن يخرجوا منها.

وهذا الفرع هو الذي وقع فيه النزاع،وأنكره المنكرون، قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى:" فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه،

---

١ رواه مسلم ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ،١٢٣/١ .

٢ رواه مسلم ، باب في قول النبي ﷺ:«أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا» ، ١٣٠/١ .

٣ رواه مسلم نفس الباب والجزء والصفحة .

٤ رواه أبو داوود ، باب في الشفاعة، ٧٣٩/٤ ،ورواه الترمذي ، باب منه ـأي من الشفاعة. برقم(٢٤٣٥) ، ٦٢٥/٤ ، وقال عنه الألباني :صحيح.

٥ رواه مسلم ، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ١٢٩/١ .

٦فتح الباري ٤٢٨/١١ .

وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة"[1]، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا إن شاء الله تعالى عند الكلام عن المخالفين[2].

ومن الأدلة على هذا النوع من الشفاعة،ما رواه أبو سعيد الخدريﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار،ثم يقول انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حمما قد امتحشوا. فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟!)[3].

وعنه أيضا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال بخطاياهم – فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ». فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[4].

٤.شفاعته ﷺفي أقوام من أمته أن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب:

وعن أبي أمامة ﷺ يقول:سمعت رسول الله ﷺ يقول:(وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب من كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته)[5].

هذا الحديث استشهد به الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى دليلا على هذا النوع بقوله: "ودليل الثانية قوله تعالى في جواب قوله ﷺ أمتي أمتي (ادخل الجنة من أمتك من لا حساب

---

١ معارج القبول ص٨٩٦ .

٢ص٣٥٠من نفس البحث.

٣ رواه مسلم ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، ١١٧/١ ، والحبة : بذور العشب البرية، امتحشوا : احترقت جلودهم حتى ظهرت العظام .

٤ رواه مسلم ، نفس الباب والجزء ص١١٨، الضبائر:الجماعات المتفرقة واحدها ضبارة.

٥ رواه الترمذي في سننه واللفظ له ، باب منه . أي ما جاء في الشفاعة . برقم(٢٤٣٧) ٤/ ٦٢٦ ، ورواه ابن ماجه في سننه،كتاب الزهد ، برقم(٤٢٨٦)٥/٣٤٨ ،وقال الشيخ الألباني: صحيح.

عليهم)، كذا قيل، ويظهر لي أن دليله سؤاله ﷺ الزيادة على السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فأجيب"[1].

٥. الشفاعة في أبي طالب عم الرسول ﷺ أن يخفف عنه من العذاب:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال:(لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه)[2].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:" لعله تنفعه شفاعتي ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجي واستشكل قوله ﷺ :(تنفعه شفاعتي) بقوله تعالى:(فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وأجيب بأنه خص، ولذلك عدوه في خصائص النبي ﷺ،وقيل معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث، والمراد بها في الآية الإخراج من النار، وفي الحديث المنفعة بالتخفيف،وبهذا الجواب جزم القرطبي. وقال البيهقي في البعث:صحة الرواية في شأن أبي طالب، فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية، ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق كل كافر، فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه. قال: وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه؛ تطييبا لقلب الشافع لا ثوابا للكافر؛ لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء".[3]

---

١ فتح الباري ٢٨/٤ ، وقد ورد في رواية عند الإمام أحمد بلفظ :(فاستزدت ربي)، برقم(٢٢) ٦/١ ، ولعلها أدل في المعنى أن ذلك حصل بشفاعته؛ ولكن لم ترد هنا في البحث لضعف إسنادها .

٢ رواه البخاري واللفظ له،كتاب بدء الوحي باب صفة الجنة والنار،١٤٤/٨ ، ورواه مسلم ، باب شفاعة النبيﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، ١٣٥/١ ، الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

٣فتح الباري ٤٣١/١١ .

٦.الشفاعة في رفع أهل الجنة إلى درجات أعلى مما هم عليه:

هذا النوع من أنواع الشفاعة تكاد تتفق عليه عامَة الطوائف بدون إنكار،رغم أنهم لم يوردوا عليه دليلًا بخصوصه،وكان الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى ممن حكى استدلال بعض من لقيهم على هذا النوع بحديث أنس بن مالكﷺ قال النبي ﷺ:(أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد)[١]،ولكن كان له رحمه الله تعالى في استدلالهم بهذا الحديث على هذا النوع نظر، ذلك أنه رأى أنّ دلالة الحديث تكون على الاستفتاح لباب الجنة، فقال رحمه الله تعالى:" ودليل الخامسة قوله في حديث أنس عند مسلم:(أنا أول شفيع في الجنة) كذا قاله بعض من لقيناه،وقال:وجه الدلالة منه أنه جعل الجنة ظرفا لشفاعته،قلت: وفيه نظر؛ لأني سأبين أنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به،والذي يطلب هنا أن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية أن يبلغها بشفاعته،وأشار النووي في الروضة إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه مع أنه لم يذكر مستندها"[٢].

ويقال – والله تعالى أعلم– لا يظهر مانع من جعل حديث أنس السابق دليلا على كلا النوعين من الشفاعة التي ذكرهما ابن حجر رحمه الله تعالى من استفتاح الباب لأهل الجنة، ومن رفع درجات بعض أهلها، وذلك لاحتمال حرف الجر الوارد في الحديث (في الجنة) لكلا المعنيين،بل إن دلّ على الابتداء بالاستفتاح كما رجّح الإمام ابن حجر فدلالته على ما يكون داخل الجنة ـ من رفع الدرجات ـ أولى، إذ هذا هو الأصل في مثل هذا الحرف.

وكذلك جاء في أحد شروح العقيدة الطحاوية عند إيراد هذا النوع من الشفاعة ما يصلح أن يكون دليلا عليها،وفيه:"وهذه يذكرها أهل العلم، ولم يورِدُوا عليها دليلاً بيِّنا، وهي شفاعة متفق عليها حتى عند أهل البدع، فيُسْتَدَلُّ لها:١. بالاتفاق ،

٢. بما استدل به ابن القيم رحمه الله في شرحه على تهذيب سنن أبي داوود حيث قال "ويستدل لها بقوله ﷺ لما صلى على أبي سلمة (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في

---

١ رواه مسلم ، باب فى قول النبى ﷺ:« أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا) ، ١٣٠/١ .

٢فتح الباري ٤٢٨/١١ .

المهديين)[1]. فقوله «وارفع درجته» دعاء في الدنيا له، وهذا معنى الشفاعة"[2].

. أما قولهم في الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم . أهل الأعراف . بأن يدخلوا الجنة: فهذا النوع استدلوا عليه بالأثر الوارد عن ابن عباس ﷺقال:(السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَالظالِمُ لِنَفْسِهِ، وَأَصْحَابُ الأَعْرَافِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ.)[3].

وهذا الأثر لا يثبت لأن سنده موضوع قال عنه الحافظ الهيثمي[4]:" وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني[5] وهو وضاع"[6]، وعليهفلا يصح الاستشهاد به على إثبات هذا النوع من الشفاعة.

وأقول والله تعالى أعلم: أن هذه الشفاعات وأنواعها مما هو حاصل يوم القيامة هو من الأمور الغيبية التوقيفية التي لا مجال للاجتهاد فيها، فما ورد به النص واضحا صريحا أثبتناه، وماعدا ذلك فإن الله لم يكلفنا علم ما لم نعلم،بأن نعتقد أنواعًا ونتطلب لها أدلة،فذلك مخالف لما هو عليه مذهب أهل السنة والجماعة الذي عرف عن أصحابه أنهم يستدلون ثم يعتقدون، لا أنهم يعتقدون ثم يستدلون،والملاحظ عند مراجعة كثير من كتب العقائد في هذه المسألة

---

١ رواه مسلم ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ، ٣٨/٣، ورواه أبو داود ، باب تغميض الميت ١٥٩/٣

٢ شرح الطحاوية ٣٢٩/١ .

٣ رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم(١١٤٥٤) ، ١٨٩/١١ .

٤ الهيثمي: هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ): حافظ.له كتب وتخاريج في الحديث، منها " مجمع الزوائد ومنبع والفوائد" و " ترتيب الثقات لابن حبان" و " تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية" و " مجمع البحرين في زوائد المعجمين " و " المقصد العلى، في زوائد أبي يعلى الموصلي" و " زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة" و " موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان " وغيرها. الأعلام للزركلي ٢٦٦/٤ .

٥ موسى بن عبد الرحمن الصنعانى: شيخ دجال يضع الحديث، روى عنه عبدالغنى بن سعيد الثقفى، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابا في التفسير جمعه من كلام الكلبى ومقاتل بن سليمان، وألزقه بابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، ولم يحدث به ابن عباس ولا عطاء سمعه، ولا ابن جريج سمع من عطاء. وإنما سمع ابن جريج من عطاء الخراساني عن ابن عباس في التفسير أحرفا شبيها بجزء، وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس شيئا ولا رواه، لا تحل الرواية عن هذا الشيخ ولا النظر في كتابه إلا على سبيل الاعتبار. المجروحين لابن حبان ٢٤٢/٢ .

٦مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٧٨/١٠ .

بخصوصها تجدهم يعددون أنواع الشفاعة ويقولون في غير ما نوع:هذا يذكره العلماء ولا يذكرون عليه دليلا،وهذا من الخطأ،فالواجب اتباع الدليل لا العالم، والله تعالى أعلم.

. الأعمال الموجبة للشفاعة:

جاءت بعض الأحاديث بذكر أعمال وأقوال من قام بها فإنه يرجى له حصول شفاعة الرسول الكريمﷺ ،وقدد عدد ذلك الإمام السفاريني[1] رحمه الله تعالى ، ومن تلك الأعمال على سبيل المثال:

*التوحيد والإخلاص:
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:قيل يا رسول الله:من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ:(لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه ، أو نفسه)[2].

*متابعة المؤذن وذكر الدعاء المأثور:
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيامة)[3].

---

١ أنظر: لوامع الأنوار ٢/٢١٥ .

٢ رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب الحرص على الحديث ، ٢/٣٥ .

٣ رواه البخاري ،كتاب بدء الوحي، باب الدعاء عند النداء، ١/١٥٩ .

*سكنى المدينة والصبر عليها:

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها – وقال – المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة »[1].

١ رواه مسلم ، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها.١١٣/٤، العضاه : كل شجر عظيم له شوك الواحدة عضة ، اللأواء : الشدة وضيق العيش ، اللابة: أرض ذات حجارة سود كثيرة والمدينة، بين لابتين.

المبحث الثاني :

الشفاعة عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الشفاعة عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

خالفت بعض الفرق في مسألة الشفاعة، فأنكرت بعض أنواعها الواردة بالدليل الصحيح، وهي الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخلوا النار في أن يخرجوا منها، وكان ممن ذهب إلى ذلك: فرقة الخوارج والمعتزلة .

وأمّا الشيعة فقد كان لهم وجه آخر في المخالفة في مسألة الشفاعة، فإنهم ذهبوا إلى أنّ أئمتهم وأولياءهم لهم الحق المشروع في الشفاعة لشيعتهم وأتباعهم.

وقد حكى كتّاب الفرق والمقالات ذلك عنهم[١] .

وقال الشيخ حافظ الحكمي كلاما استنكر فيه على هذه الفرق تخليدهم لأهل الذنوب والمعاصي في نار جهنم؛رغم كونهم في زمرة المؤمنين، يقرّون ويعتقدون بجملة ما يعتقده أهل الإيمان، وما كان جرمهم إلا ذنوب ارتكبوها لا يستهان بشأنها،ولكن لا يمكن أن تسوّى بالشرك والكفر اللذين يخلدان صاحبهما في النار، وشحذ لذلك أدلة كثيرة من نصوص الوحي تبين تفريق الشارع الحكيم بين هؤلاء وأولئك، فقال رحمه الله تعالى:"فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله ﷺويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد، فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله

١انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم٥٤/٤ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ص٤٧٤، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٥٨ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية(٣١٤/١ – ٣٤١/٢٧) ، وأصول الدين للبغدادي ص٢٤٤.

وقوله ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] وقوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] وغيرها من الآيات، وسائر الأحاديث الواردة"[١].

وفيما سيأتي مزيد بيان لقول كل فرقة على حدة، مع تفنيد أدلتها وشبهاتها في ذلك. إن شاء الله تعالى..

١ معارج القبول ص٨٩٦.

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في الشفاعة مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبه الخوارج في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الشيعة في الميزان مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: الشفاعة عند الخوارج وشبههم فيها.

جاء في أثر ابن عباس ﷺ قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول:(إن رسول الله ﷺرجم، ورجم أبو بكر، ورجمت، وسيكون قوم يكذبون بالرجم، والدجال، والحوض، والشفاعة، و بعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار)[1]. وذكر ابن عبد البر أن كلمة (قوم) في هذا الأثر تشير إلى ما سيكون من فرقتي الخوارج والمعتزلة.[2]

والذي يظهر – والله تعالى أعلم– لمن تتبع النصوص وأقوال العلماء أن فرقة الخوارج لم تنكر الشفاعة مطلقا، وإنما كان إنكارهم لنوع من أنواعها ،ألا وهو حصول الشفاعة لأهل الذنوب والمعاصي بخروجهم من النار وعدم الخلود فيها، فقد حكموا بخلودهم في نار جهنم، وبنوا ذلك على معتقدهم الفاسد في مرتكب الكبيرة، فعندهم أن صاحب الكبيرة كافر خارج عن الملة في الدنيا وهو خالد في النار يوم القيامة،وعلى ذلك فلا يستحق الشفاعة وليس هو من أهلها.وإنما تكون الشفاعة يوم القيامة للمحسنين فقط من أهل الإيمان، وقد جاء ما يؤيد هذا في أحد مراجعهم أن:"شفاعة الرسول ﷺ ثابتة، وهي قسمان:الشفاعة الكبرى يوم القيامة لبدء الحساب ولدخول المؤمنين الجنة وهي المقام المحمود الذي يختص به نبينا محمد ﷺ، والشفاعة الصغرى ولا تكون إلا للمؤمنين الموفين بزيادة الدرجات"[3].

وقد لخّص إمامهم السالمي عقيدتهم في الشفاعة في أرجوزته (أنوار العقول)، فقال:

شفاعة الرسول للتقي   من الورى وليس للشقي
ومن يقل بغير فقد كفر   كفر نعيم إن تأوّل ظهر
وإن يكن بغير ما تأول   فذاك شرك أي أشد منزل
لأنه مخالف الكتاب   وسنة الرسول والألباب
كليس للظالم من حميم   ولا شفيع من لظى الجحيم[4].

---

١ ذكره ابن كثير في: النهاية في الفتن والملاحم ٢٠١/١ ، والبيهقي في البعث برقم (١٥٩) باب ما جاء في حوض النبي ﷺ١٢٩/١، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٤٨٠/٧ ، بدون ذكر الحوض .

٢ الاستذكار لابن عبد البر ٤٨٠/٧ .

٣ نظرات حول المذهب الإباضي ، لمريم بنت سعيد القتبية ص١٧.

٤ مشارق أنوار العقول ص١٣٢ .

أما شبههم التي استندوا عليها في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر :

١. قوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(الأنبياء ٢٨)

٢. وقوله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة٤٨)

٣. وقوله تعالى:﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(غافر ١٨)

وهذه الآيات الثلاث قد استشهد بها السالمي على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر، وذكر وجه استدلالهم بها، فقال:" (قوله شفاعة الرسول للتقي) أي شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين. والتقي: هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات فلا شفاعة لغيره من الأشقياء لقوله تعالى :﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(الأنبياء ٢٨)، وقوله: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾(البقرة ٤٨)، وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(غافر ١٨)، وهذه الآيات عامة كما رأيت،ففي الأولى: تصريح بأنّ الشفاعة مقصورة على من ارتضاه الله، وفي الثالثة دليل على نفيها عن الظالم ، وهو اسم لكل من ظلم نفسه أو ظلم غيره، فلا تخص المشركين كما زعموا، فإنها وإن كان سبب نزولها فيهم فلا عبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ ، ويعضد هذه الآيات ما سيأتي من الأدلة القاطعة في تخليد أهل الكبائر، فإنهم متى ما ثبت تخليدهم في النار بالقطعيات الآتية، انتفت عنهم الشفاعة في الموقف ضرورة، فإن من ثبتت له الشفاعة في دخول الجنة لا يدخل النار فضلا من أن يخلد فيها"[1].

٤. ومن الآيات التي استشهدوا بها قوله تعالى:﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران١٩٢).

وقوله تعالى:﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة٢٠)

---

١ مشارق أنوار العقول ١٣٢/٢ .

وهذه الآيات من استدلال الخوارج وردت ضمن رواية عند الإمام مسلم رحمه الله تعالى، حيث روى عن:يزيد الفقير[1] قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج،فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس،قال:فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم – جالس إلى سارية – عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين[2]، قال:فقلت له:يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول:﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾(آل عمران ١٩٢) و﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾(السجدة٢٠)فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال:فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه،قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال:غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال:يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال أبو نعيم[3])[4].

فظهر من هذه الرواية أن هاتين الآيتين السابقتين مما كان يتمسك به الخوارج في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر.

---

١ يزيد الفقير: هو يزيد بن صهيب الفقير أبو عثمان الكوفي، ثقة مقل. حدث عن ابن عمر، وجابر، وأبي سعيد الخدري. وعنه الحكم، وعبد الكريم الجزري، وجعفر بن برقان، ومسعر، وعدة وله وفادة على عمر بن عبد العزيز. وثقه ابن معين، وأبو زرعة، وقال أبو حاتم: صدوق. قلت: لقب بالفقير، لانه اشتكا فقار ظهره، وهو من كبار شيوخ أبي حنيفة. سير أعلام النبلاء ٢٢٨/٥ .

٢ الجهنميين : هم قوم يخرجون من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة فتح الباري ٤٢٩/١١ .

٣ أبو نعيم: هو الفضل بن دكين (واسمه عمرو) ابن حماد التيمي بالولاء، الملائي، أبو نعيم(١٣٠ – ٢١٩ ه): محدث حافظ، من أهل الكوفة. من شيوخ البخاري ومسلم. وكان إماميا، وإليه نسبة الطائفة " الدكينية " وفي أيامه امتحن المأمون الناس في مسألة القول بخلق القرآن، ودعاه والي الكوفة، فسأله، فقال: أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ، الاعمش فمن دونه، يقولون القرآن كلام الله، وعنقي أهون من زري هذا !. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٢/١٠ .

٤رواه مسلم ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ،١٢٣/١ .

٥. ما رواه جابر بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال:(ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي) يحلف جابر بن زيد عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة ؛ لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك أن الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ما عنى القتل والزنى والسحر، وما أوعد الله عليه النار.[١]

. هذه جملة الشبهات التي استندوا عليها لنفي الشفاعة عن أهل الكبائر.

الرد عليهم:

١. أمّا بالنسبة لقوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (الأنبياء ٢٨)

فإن زعمهم بأنّ أصحاب الكبائر ليسوا ممن ارتضاهم الله ﷻ، فلا يستحقون الشفاعة،وإنّما الشفاعة للمتقين الذين اجتنبوا المحرمات وأدّوا الواجبات . وهم الذين ارتضاهم الله ﷻ . فهذا زعم باطل منهم، لأن هؤلاء . المتقين الذين هذه حالهم من الكمال . فإنهم لا حاجة بهم إلى الشفاعة أصلا، وإنّما أولئك الذين تلطخوا بأدران المعاصي هم أحوج الخلق إلى الشفاعة،لا سيما وأن لديهم من أصل التوحيد ما يجعلهم مرضيين عند الله ﷻ بقدره.

وأمّا الذين لا يرضاهم الله ﷻ مطلقا فهم المشركون والكفّار. ولا يمكن التسوية بحال من الأحوال بين المشرك الكافر بربه ، وبين الموحد الذي غلبته شهوته وهواه على اقتراف المعاصي.

وقد ردّ الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى على هذه الشبهة، فقال:"وقال بعض منكري الشفاعة:أن الشفاعة ليس إلا في المحسنين فقط ، واحتجوا بقوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ... وهذا لا حجة لهم فيه؛ لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه، وهذا حق وفضل لله تعالى على من قد غفر له ذنوبه بأن رجحت حسناته على كبائره، أو بأن لم تكن له كبيرة، أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع، فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى، وأمر به إلى

١ مسند الربيع بن حبيب برقم(١٠٠٤) ، ٢٢/٤ .

الجنة ففي ماذا يشفع له، وإنما الفقير إلى الشفاعة:من غلبت كبائره حسناته فأدخل النار ولم يأذن تعالى بإخراجه منها إلا بالشفاعة. "[1]

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:"فإن قالوا: فقد قال تعالى" وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى " والفاسق غير مرتضى،قلنا: لم يقل لمن لا يرضى وإنما قال" لِمَنِ ارْتَضى " ومن ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون بدليل قوله" لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً "[مريم ٨٧]. وقيل للنبي ﷺ:ما عهد الله مع خلقه قال: (أن يؤمنوا ولا يشركوا به شيئا). وقال المفسرون: إلا من قال لا إله إلا الله. فإن قالوا: المرتضى هو التائب الذي اتخذ عند الله عهدا بالإنابة إليه، بدليل أن الملائكة استغفروا لهم وقال﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] وكذلك شفاعة الأنبياء عليهم السلام إنما هي لأهل التوبة دون أهل الكبائر قلنا:عندكم يجب على الله تعالى قبول التوبة فإذا قبل الله توبة المذنب فلا يحتاج إلى الشفاعة ولا إلى الاستغفار. وأجمع أهل التفسير على أن المراد بقوله" فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا" أي من الشرك" وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ" أي سبيل المؤمنين. سألوا الله تعالى أن يغفر لهم ما دون الشرك من ذنوبهم كما قال تعالى﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾(النساء: ٤٨) "[2].

٢. وأمّا قوله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة ٤٨)

فهذه الآية في الكفّار، وهم المقصودون بالنفس هنا ـ أي النفس الكافرة ـ، فهي التي لا ينفع فيها لا جزاء ولا شفاعة،قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:" وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى" وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ" النفس الكافرة لا كل نفس"[3].

١الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥٤/٤ .

٢الجامع لأحكام القرآن٣٧٩/١ .

٣ نفسه

وقد بيّن الإمام الطبري رحمه الله تعالى أن هذه الآية وإن كان لفظها عامًا، إلا أنّه لا يؤخذ منها نفي الشفاعة عن أهل الكبائر بدليل النصوص الكثيرة التي خصّتهم من هذا العموم، فقال:"وهذه الآية وإن كان مخرجها عاما في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال:(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1] وأنه قال:(ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئا)[2]. فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين –بشفاعة نبينا محمد ﷺ لهم– عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه، وأن قوله:(ولا يقبل منها شفاعة) إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله ﷻ ".[3]

٣. وقوله تعالى:﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(غافر ١٨)

فهموا أنّ هذه الآية تنفي الشفاعة عن أهل الكبائر، لأنهم ظالمون، ويرد عليهم: بأنّ المقصود بالظالمين في الآية هم الكفّار، وقد ذكر هذا المعنى عدد من أهل التفسير، ومن هؤلاء:الطبري، والقرطبي ، وابن القيم، والبيضاوي[4].
. قال الطبري رحمه الله تعالى:"وقوله:(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ) يقول جلّ ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل"[5].

---

١ سبق تخريجه ص٣٤٢ .

٢ رواه مسلم، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، ١/١١١ .

٣ جامع البيان ١/٣١ .

٤البيضاوي: هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس – قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة ٦٨٥ هـ . من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل" يعرف بتفسير البيضاوي، و " طوالع الانوار" في التوحيد، و " منهاج الوصول إلى علم الاصول" و " لب اللباب في علم الاعراب" و " نظام التواريخ" كتبه باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها" و " الغاية القصوى في دراية الفتوي" في فقه الشافعية. الأعلام للزركلي ٤/١١٠

٥ جامع البيان في تأويل القرآن ٢١/ ٣٦٩ .

. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:"﴿ما لِلظّالِمِينَ﴾يعني الكافرين﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي : قريب ينفعُهم ﴿ولا شفيعٍ يُطَاعُ﴾ فيهم فتُقْبَل شفاعتُه"[١] .

. وقال الإمام القرطبي ،:"ليست هذه الآيات عامة في كل ظالم،والعموم لا صيغة له، فلا تعم هذه الآيات كل من يعمل سوءا وكل نفس، وإنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة في ذلك......ونحن وإن قلنا بعموم العذاب لكل ظالم عاص فلا نقول إنهم مخلدون فيها بدليل الأخبار التي رويناها،وبدليل قوله :﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ (النساء:٤٨) وقوله:﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧) "[٢].

. وقد ذكر البيضاويكلاما رائعا يؤكد فيه أنّ المراد بالظالمين في الآية هم الكفّار فقال:"ما للظالمين من حميم (قريب مشفق) ولا شفيع يطاع (ولا شفيع مشفع والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم".[٣]

٤. وأمّا قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران١٩٢).

و قوله تعالى:﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة٢٠)

فظنهم أنّ هذه الآيات في أصحاب الكبائر ،وأنّهم من أهل الخزي الذين لا يمكن أن يخرجوا من النار، هو ظنّ خطأ منهم، وقد ردّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺ في الرواية السابقة[٤] على الرجل الذي فهم هذا الفهم بأبلغ رد وأوجزه،وذلك أنّه سأل الرجل عن قراءته

---

١ زاد المسير ٢١٣/٧ .

٢الجامع لأحكام القرآن٣٧٩/١ .

٣ تفسير البيضاوي ٥/ ٨٨ .

٤انظر الرواية: ص٣٥٥ .

للقرآن، وما لابد أن يكون قد علمه من ذكر المقام المحمود أثناء قراءته ،ثم ذكر له ما ثبت بالأحاديث الصحيحة من الأحوال التي تكون في القيامة من وضع الصراط وغيره وما يكون من خروج أهل الكبائر من النار بعد أن عذبوا فيها.

واستجابة الرجل للحق مباشرة وازدجاره عن ذلك المذهب الباطل دلالة على طهارة قلبه وأنه ما حمله على ذلك الرأي إلا الجهل، فلما تبين له انتهى.

فالأصل في الرد على هذه الشبه يكون بذكر الآيات والأدلة التي فيها المعتقد الصحيح الدال على خلاف هذه الشبهات كما فعل ذلك الصحابي الجليل،ولكن هيهات هيهات أن ينفع هذا إلا ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (سورة ق ٣٧)،فإن البعض فيه من العناد والاستكبار ما يجعله يئوّل كل نص تستدل له به، فلا سبيل معه إلا ببيان وجه الدلالة من نفس النصوص التي استشكلت عليه.

فقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(آل عمران١٩٢) قال عنها الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:" وقد تمسك بهذه الآية أصحاب الوعيد وقالوا: من أدخل النار ينبغي ألا يكون مؤمنا، لقوله تعالى:" فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ" فإن الله يقول:﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾(التحريم: ٨). وما قالوه مردود، لقيام الأدلة على أن من ارتكب كبيرة لا يزول عنه اسم الإيمان، كما تقدم ويأتي. والمراد من قوله:" مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ" من تخلد في النار، قاله أنس بن مالك. وقال قتادة: تدخل مقلوب تخلد، ولا نقول كما قال أهل حروراء[١]. وقال سعيد بن المسيّب: الآية خاصة في قوم لا يخرجون من النار، ولهذا قال: (وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ) أي الكفار. وقال أهل المعاني: الخزي يحتمل أن يكون بمعنى الحياء، يقال: خزي يخزى خزاية إذا استحيا، فهو خزيان....فخزي المؤمنين يومئذ استحياؤهم في

١ حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا. أنظر معجم البلدان ٢/٢٤٥ .

دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها. والخزي للكافرين هو إهلاكهم فيها من غير موت، والمؤمنون يموتون، فافترقوا "[1].

وأما قوله تعالى:﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة٢٠): قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"وقوله:(وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) يقول تعالى ذكره: وأما الذينكفروا بالله، وفارقوا طاعته(فَمأْوَاهُمُ النَّارُ) يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ) في الدنيا (تُكَذّبُونَ) أن الله أعدّها لأهل الشرك به"[2].

فالآيات هنا سياقها في الكافر الخارج عن الملة،وقد سمي في الآية الأولى ظالما،وفي الثانية فاسقا،وما أريد إلا هو ،والفسق والظلم ألفاظ عامّة قد يراد بها الكفر ، وقد يراد بها ما هو دونه،ويفهم هذا بحسب السياق، فلما كان الحكم المترتب في الآية على كل من الظالم والفاسق هو الخلود في النار، علم أن الكافر هو المقصود بالتسمية،إذ لا ينطبق هذا الحكم في المعتقد الصحيح إلا عليه.

. فظهر من جملة الآيات السابقة أن المقصود بمن نفي عنه الشفاعةفي جملة الآيات السابقة هو الكافر المحض ،وليس أهل الإيمان من أصحاب الذنوب والمعاصي،فلما كان استدلالهم في غير موضعه بطل.

وبقي أن يقال:إنّ الآيات السابقة تدل على نقيض مقصودهم،فهي تدل على وقوع الشفاعة لأصحاب الكبائر بناءا على مفهوم المخالفة،وبيان ذلك:أن الشارع الكريم لما نفى الشفاعة عن أهل الكفر ،يفهم منه إثباتها لأهل الإيمان على مختلف درجاتهم ،ومعلوم أن الإيمان

١الجامع لأحكام القرآن٤/٣١٧ .

٢ جامع البيان في تأويل القرآن ٢٠/١٨٨ .

يتفاوت ويتفاضل فيه أصحابه،وصاحب الذنوب والمعاصي لا يمكن إخراجه من دائرة المؤمنين الموعودين بالشفاعة وإن قلّ إيمانه.

هذه الدلالة الناتجة عن مفهوم المخالفة ،فضلا عما هو نص صريح في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر مثل قوله ﷺ :(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1]، وأحاديث الجهنميين وغيرها، وهؤلاء المنكرون إذا ما بينت لهم هذه الأدلة الساطعة في دلالتها،بهتوا وتلونوا بكل لون، وفرّوا إلى حيلة التأويل ليسلم لهم مذهبهم، وقد بين ابن القيم حالهم تلك،فقال رحمه الله تعالى:" رد الخوارج والمعتزلة النصوص المتواترة الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وكذبوا بها ، وقالوا لا سبيل لمن دخل النار إلى الخروج منها بالشفاعة ولا غيرها ، ولما بهرتهم نصوص الشفاعة وصاح بهم أهل السنة وأئمة الإسلام من كل قطر وجانب ورموهم بسهام الرد عليهم ، أحالوا بالشفاعة على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من النار، فردوا السنة المتواترة قطعا ، وصاروا مضغة في أفواه الأمة وعارا في فرقها ،فإن أمر الشفاعة أظهر عند الأمة من أن يقبل شكا أو نزاعا ..ولكن إنما أتي القوم لأنهم في غاية البعد عما جاء به الرسول ﷺ ، أجانب عنه ليسوا من الورثة"[2].

٥. ما رواه جابر بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال:(ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي) يحلف جابر ابن زيد عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة ؛ لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك أن الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ما عنى القتل والزنى والسحر، وما أوعد الله عليه النار[3].

---

١ سبق تخريجه ص٣٤٢.

٢طريق الهجرتين ٥٦٩/١ .

٣ مسند الربيع بن حبيب برقم(١٠٠٤) ، ٤/ ٢٢ .

فيقال لهم ابتداء: أن هذا الحديث مطعون فيه من جهة ثبوته، فقد جاء في نقد مسند الربيع بن حبيب[1] . مصدر هذا الحديث ومرجع الإباضية في السنة و أصح الكتب عندهم بعد كتاب الله ﷻ . ما يلي:أنّه "تضمّن أحاديث ليس لها أصل ولا توجد إلا في هذا الكتاب، وكثير من هذه الأحاديث في نصرة معتقد الإباضية وبعضها في نصرة بعض آرائهم الفقهية..... ومن أمثلة الأحاديث التي تفرد بها هذا المسند:الحديث رقم (١٠٠٤)، وهو في الجزء الرابع (ص ٢٢)، وهذا نصه :« جابر بن زيد ، عن النبي ﷺ قال : ((ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي))، يحلف جابر عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعةٌ ؛ لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه ، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك : أن الشفاعة لأهل الكبائر ، فوالله ما عنى القتل و الزنى والسحر وما أوعد الله عليه النار ، وذكر أن أنس بن مالك يقول : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أَعينكم من الشعر ، ما كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ إلا من الكبائر)) ، فهذا الحديث فيه نصرة لمعتقد الإباضية في إنكار الشفاعة التي جعلها الله لعصاة الموحّدين من هذه الأمة وهو يعارض النصوص المثبتة للشفاعة في الصحيحين وغيرهما"[2].

إذا فمن جهة ثبوته فهو لا يثبت، وإذا ما فرض ثبوته جدلا ، فإنه معارض بأحاديث كثيرة لا يضاهيها سندا ولا متنا، تثبت حصول الشفاعة لأصحاب الكبائر ، وخروجهم من النار بما معهم من إيمان وإن عذبوا فيها أمدا من الدهر،ومعلوم أنّ هذه الأحاديث المتكاثرة المثبتة مقدمة على الحديث الواحد النافي ، إذ أن المثبت معه زيادة علم فيقدم.

---

١ الربيع بن حبيب: هو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي: عالم بالحديث، إباضي. من أعيان المئة الثانية للهجرة. من أهل البصرة. له كتاب في الحديث، سماه يوسف بن إبراهيم الورجلاني (الجامع الصحيح) مع حاشية عليه لعبد الله بن حميد السالمي.الأعلام للزركلي ١٤/٣.

٢ أنظر مسند الربيع بن حبيب دراسة نقدية للشيخ الدكتور/ سعد الحميد ص ٢٧٨،٢٧٩.

المطلب الثاني: الشفاعة عند الشيعة وشبههم فيها.

أمّا بالنسبة للشيعة فقد نحوا منحى آخر مخالفًا تماما لما عليه الخوارج والمعتزلة، فهم قد أثبتوا الشفاعة لكل أهل الإيمان بما فيهم أصحاب الكبائر.

ولكنهم بالغوا في الإثبات حتى جعلوا لأئمتهم وأوليائهم حقا مشروعا في الشفاعة لمن شايعهم مهما بلغ جرمهم ، فكان لذلك أثر سيء على شيعتهم وعوامهم حيث كثر فيهم التساهل في العبادات، ومقارفة السيئات اتكالا على ما سيحصل لهم من شفاعة أئمتهم.

وقد وردت نصوص كثيرة في كتبهم فيها الوعد بحصول الشفاعة لشيعتهم، ومنها:

. عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: " إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون:يا رب اكشف عنا هذه الظلمة: قال:فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله:ما هؤلاء بأنبياء ، فيقول أهل الجمع فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله:ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع فهؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله:ما هؤلاء بشهداء،فيقولون من هم؟ فيجيئهم النداء:يا أهل الجمع سلوهم:من أنتم؟ فيقول الجمع:من أنتم؟ فيقولون نحن العلويون،نحن ذرية محمد ﷺ ، نحن أولاد علي ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون، فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل : اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم ، فيشفعون[1] .

١ بحار الأنوار/المجلسي الباب ٢١ في الشفاعة ٣٧/٨ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون،والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنا لنشفع فنشفع و والله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيدخل أحباءه الجنة، وأعداءه النار [١].

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم:عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليه السلام قالا: والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك:﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الشعراء ١٠٠/١٠٢)، قال من المهتدين، قال: لأن الإيمان قد لزمهم بالإقرار . بيان:أي ليس المراد بالإيمان هنا الإسلام بل الاهتداء للأئمة عليهم السلام وولايتهم،أو ليس المراد الإيمان الظاهري[٢].

وعن علي عليه السلام قال:إن للجنة ثمانية أبواب:باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون،وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول: رب سلم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش:قد أجيبت دعوتك،وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفا من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت[٣]

والنصوص في ذلك كثيرة في مراجعهم.

---

١ المرجع السابق ص٣٧.

٢ المرجع السابق ص٣٧.

٣ المرجع السابق ص٣٩ .

والرد عليهم:

بأن يقال لهم :معلوم لدى الجميع أنّ الشفاعة ملك لله ﷻ وحده،مصداقا لقوله تعالى:﴿قُللِّلَّهِالشَّفَاعَةُجَمِيعاً﴾ (الزمر ٤٤)،وهذا أمر مسلّم به عند كل من السنة والشيعة.

ولن يُمكَّن أحد من الشفاعة لأحدٍ،كائنًا من كان إلا بإذن من الله ﷻ للشافع، وبرضاه سبحانه عن الشافع والمشفوع، قال تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم٢٦).

فإذا عُلِم هذا واستقر في الأنفس، فلا داعي من المبالغة في منح الأئمة والأوصياء حق الشفاعة في شيعتهم ،كما أنّه لا داعي من المبالغة في طمأنة شيعتهم وعوامهم بنوال الشفاعة، وكثرة اختلاق الأدلة الدالة على ذلك.

فإن الصالحين من آل بيت النبي الكريم ﷺ كغيرهم من المؤمنين في مسألة الشفاعة،فإنهم قد يشفعون إن تحققت فيهم الشروط بأن أذن الله لهم ورضي عنهم،وكذلك الحال في شيعتهم، فإنهم كغيرهم من الناس يوم القيامة لن ينالوا شفاعة أئمتهم أو غيرهم إلا إن كانوا ممن رضي الله عنهم ، وهذا هو الميزان الذي تستقيم به أمر الشفاعة يوم القيامة.

*وهناك مخالفة أخرى وُجِدت أثناء البحث في مراجعهم في مسألة الشفاعة، ألا وهي: **تجويزهم طلب الشفاعة من غير الله سبحانه وتعالى**، وانتقادهم لأهل السنة أن عدّوا ذلك ضربا من الشرك،وخصّوا بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحم الله الجميع.

ولأجل الإنصاف فإن هذا الطرح موجود في كتب متأخريهم، دون المتقدمين منهم، وذلك مثل ما جاء في كتاب (محاضرات في الإلهيات) جوابًا على سؤال: "هل يجوز طلب الشفاعة ؟ ذهب ابن تيمية وتبعه محمد بن عبد الوهاب . مخالفين الأمة الإسلامية جمعاء . إلى أنه لا يجوز طلب الشفاعة من الأولياء في هذه النشأة ولا يجوز للمؤمن أن يقول:(يا رسول الله اشفع لي يوم القيامة)، وإنما يجوز له أن يقول:(اللهم شفّع نبينا محمد فينا يوم القيامة)واستدلا على ذلك بوجوه تالية: ١. إنه من أقسام الشرك، أي الشرك بالعبادة..."[2]، إلى آخر كلامه في ذلك.

وكذلك جاء عن شيخهم علي البامياني[3] في معرض رده على بعض الشبه الواردة في مسألة الشفاعة، قال:"الشبهة الخامسة: إن طلب الشفاعة من الأولياء شرك بالله تعالى

---

١ محمد بن عبد الوهاب: هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ): زعيم النهضة الدينية الاصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها. وزار الشام. ودخل البصرة فأوذي فيها. وعاد إلى نجد، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة. ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. له:(رسالة في أن التقليد جائز لا واجب) و (كتاب الكبائر) وأكثر هذه الكتب مطبوع متداول. الأعلام للزركلي ٢٥٧/٦ .

٢ لجعفر السبحاني ص ٤٦٠ .

٣ الشيخ علي البامياني هوأحد مشايخهم المعاصرين، وهو من هيئة العلماء والأساتذة بالحوزة العلمية الزينبية ، أنظر http://alhawzaonline.com/exam/mewad.php ، من مؤلفاته: الشيعة الإمامية بين النصوص الدينية والتضليلات الإعلامية، وخلافة الإمام علي عليه السلام ، وغيرها.

أو محرم، وهذه الشبهة إنما هي من الوهابية حيث ذهب ابن تيمية، وهو خريج مدرسة محمد بن عبد الوهاب إلى أنه لا يجوز طلبها من غيره سبحانه لأن طلبها من غيره عبادة له، أو لا أقل من أنه محرم...".[1]

الرد عليهم:

يكفي أن يقال له: هداك الله ياشيخ بامياني ، فمنذ متى كان ابن تيمية متتلمذا على يد محمد بن عبد الوهاب والحال أن ابن تيمية سابق له بمئات السنين، فهذا أكبر دليل على عدم المعرفة بحقيقة قولهم.

ويكفي في الرد عليهم هنا توجيههم إلى كتب متقدميهم في المذهب، فقد خلت من مثل هذا المعتقد الفاسد واشتملت على ما يناقضه ، ومن ذلك ما جاء عن علاّمتهم المجلسي حين ساق جملة من آيات الشفاعة،ثم أورد تفسيرا لها يفهم منه خلوهم عن مثل هذه الأفكار، وإذعانهم بأن الشفاعة ملك لله ﷻ وحده، لا يستطيعها أحد من الخلق إلا بعد إذن الله ﷻ ورضاه، فقال:" وفي قوله تعالى:﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (الدخان ٤١) ، المولى:الصاحب الذي من شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره، فيدخل في ذلك ابن العم والناصر والحليف وغيرهم،أي لا يغني فيه ولي عن ولي شيئا،ولا يدفع عنه عذاب الله (ولا هم ينصرون)، وهذا لا ينافي ما ذهب إليه أكثر الأمة من إثبات الشفاعة،لأنها لا تحصل إلا بأمر الله تعالى وإذنه، والمراد بالآية أنه ليس لهم من يدفع عنهم العذاب وينصرهم من غير أن يأذن الله لهم فيه، ويدل عليه قوله:﴿إِلَّامَنرَّحِمَاللَّهُ﴾(الدخان

[1] بحث على الشبكة العنكبوتية بعنوان: الشيعة وشفاعة الأنبياء والأئمة للشيخ علي البامياني، يراجع الموقع :
http://alerfan0.jeeran.com/a9.htm

٤٢) أي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين، فإنه إمّا أن يسقط عقابهم ابتداء أو يأذن بالشفاعة فيهم "[1].

وكلامه هنا فيه من الشفافية ما يفهم منه إرجاعه أمر الشفاعة لله ﷻ وحده، دون ما سواه.

وكذلك فيما قرره غيره من متقدميهم كشيخيهم الصدوق والمفيد في مسألة الشفاعة فإنهما لم يتعرضا لشيء مما أشار إليه متأخريهم[2] .

وكذلك جاء في أحد تفاسيرهم كلاما في غاية الجودة ،وفيه:" تدل الآيات المباركات على أن الله سبحانه هو الكافل بأمور عبيده،وأنه الذي بيده الأمر، ويدبر شؤون عبده ويوجهه إلى كماله برحمته،وهو قريب منه يسمع نداءه ويجيب دعاءه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(الزمر ٣٦)، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة١٨٦) ، وعلى هذا فليس لمخلوق أن يستشفع بمخلوق مثله ويجعله واسطة بينه وبين ربه، ففي ذلك تبعيد للمسافة، بل وفيه إظهار للحاجة إلى غير الله وماذا يصنع محتاج بمحتاج مثله ؟ وماذا ينتفع العاصي بشفاعة من لا ولاية له ولا سلطان بل ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾(الزمر ٤) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(الزمر ٤٤) "[3]

فالكلام إلى هنا كلام جميل نابع عن فطرة التوحيد، ويكفي إيراده في الرد على أصحابه، ولكنه ما لبث أن استدرك فبادر باستثناء من زعم أنّهم مأذون لهم بالشفاعة وأنّه لا بأس بالاستشفاع بهم،بل إنّه يعد نوع من الخضوع لله ﷻ، فقال:" هذا كله إذا لم تكن الشفاعة بإذن من الله سبحانه،وأما إذا أذن الله بالشفاعة لأحد فإن الاستشفاع به يكون نحوا من

١ بحار الأنوار ٣٣/٨ .

٢ ينظر: الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق ص٦٦ ، و أوائل المقالات للمفيد ص٤٧ .

٣ البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٤٨٠ .

الخضوع لله والتعبد له، ويستفاد من القرآن الكريم أن الله تعالى قد أذن لبعض عباده بالشفاعة،إلا أنه لم ينوه بذكرهم عدا الرسول الأكرم ﷺ ..."[1].

ويرد عليه: بأن قولك أن الاستشفاع بهم إن كانوا من المأذون لهم بالشفاعة هو من الخضوع لله ﷻ ، فيه نظر وتفصيل ، فإن قصدت بالاستشفاع بهم أن يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعله من جملة من يشفع فيهم هؤلاءالأولياء . إن كانوا من المأذون لهم . فهذا هيّن، وهو من الخضوع لله ﷻ؛ إذ هو من باب الدعاء لله ﷻ، وإن قصدت بالاستشفاع بهم أن يطلب منهم ويسألهم مباشرة أن يمنحوهشفاعتهم فهذا هو الشرك.

فكلامكم في جواز (الاستشفاع) طلب الشفاعة يحتاج إلى تفصيل:

فإن قصدتم بقولكم :أن طلب الشفاعة هو بمنزلة دعاء الله ﷻ ،بمعنى أن يقول طالب الشفاعة :اللهم شفّع فيّ فلان، أو اجعله شفيعًا لي فهذا لا بأس به ، لأن فعله هنا يكون عبادة لله ﷻ ودعاءً[2].

وأما إن قصد بطلب الشفاعة منغير الله ﷻأن يكون اعتقاد طالب الشفاعة في الشافع: أنّك شافع لا محالة يوم القيامة، فاجعلني من جملة من تشفع فيهم،واشملني بهذه الرحمة التي بيدك، فهذا هو المرفوض إذ أن فيه الالتجاء إلى غير الله ﷻ والرغبة فيما عند ذلك الغير ، وهذا هو الشرك بالله ﷻ.

---

١ المرجع السابق .

٢قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:(حقيقة الأمر أي أمر الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فهذا هو حقيقة الشفاعة لا كما يظن المشركون والجهال أن الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداء فيمن شاء فيدخله الجنة وينجيه من النار ولهذا يسألونها من الأموات وغيرهم إذا زاروهم).أنظر:تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ٢٣٦/١ .

فهناك بون شاسع بين أن يقول : أدعوا الله أن تشفع لي[1] ، وأن يقول: اشفع لي عند الله، فليس بين الله ﷻ وبين أحد من الخلق جاه ولا نسب، وإنما هو محض تفضل وإكرام من الله ﷻ لعباده الصالحين.

وهذا الذي يفهم من التوجيه النبوي في السنة المطهرة،والتي اشتملت على أكمل الهدي وأتمه، واحتوت من رعاية الأدب مع الرب ﷻ ما يوجب على الموحد أن يلتزمه وينتهجه، فإن الرجل الذي سأل الرسول ﷺ مرافقته في الجنة،وجهه الرسول الكريم ﷺ إلى صورة من صور التعبد لله ﷻ ألا وهي كثرة السجود ﷻ، حتى يكرمه الله ﷻ وينال شرف تلك المنزلة العالية،عن ربيعة بن كعب الأسلمي[2] ﷺ قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي « سل ». فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة. قال « أو غير ذلك ». قلت هو ذاك. قال « فأعني على نفسك بكثرة السجود »[3].

فعلم بذلك أن كل الطرق الموصلة إلى شفاعة الأنبياء والصالحين مسدودة إلا طريقًا واحدًا، هو سؤالها من الله ﷻ بأن يمكن فلان من الشفاعة فيه، وهذا ما يقتضيه التوحيد . والله تعالى أعلم . .

١ وإن كان هذا اللفظ فيه ما فيه من المحذور الشرعي من تزكية ذلك الغير الذي يطلب منه الشفاعة ، فليس لأحد أن يقطع لأحد بأنه ممن أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة حتى يطلب ذلك منه غير رسول الله ﷺ.

٢ ربيعة بن كعب: هو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر أبو فراس الأسلمي حجازي روى حديثه مسلم وغيره من طريق أبي سلمة عن ربيعة بن كعب. قال الواقدي كان من أصحاب الصفة ولم يزل مع النبي ﷺ إلى أن قبض فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة وبقى إلى أيام الحرة ومات بالحرة سنة ٦٣هـ في ذي الحجة. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر٢/٤٧٤ .

٣ رواه مسلم ، باب فضل السجود والحث عليه ، ٢/٥٢ .

المطلب الثالث: الشفاعة عند المعتزلة وشبههم فيها.

لم تنكر المعتزلة حصول الشفاعة يوم القيامة مطلقا،وإنما كانت مخالفتهم وإنكارهم كسابقيهم ـ الخوارج ـ في من يستحقها؟ فأثبتوها للتائبين من المؤمنين فقط، ونفوها عن أصحاب الكبائر من أهل الإيمان، وتمسكوا بهذا الرأي بقوّة ، حتى عدّوا من أثبت الشفاعة لهؤلاء مخالفا، قال القاضي عبد الجبار:"وجملة القول في ذلك، هو أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبيﷺ ثابتة للأمة، لا، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن ؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين،وعند المرجئة[1] أنها للفساق من أهل الصلاة"[2].

وقد حكى الإمام الأشعري رحمه الله تعالى عن المعتزلة ذلك الإنكار،فقال:"أما بعد:فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم...وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين ودفعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين..."[3] .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذي حملهم على هذا الرأي هو اعتقادهم بأنه لا يمكن أن يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب، فإما ثواب دائم أو العكس، فقال رحمه الله تعالى حكاية عنهم:"وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم،وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية،وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها وعند هؤلاء

---

١ المرجئة: هم الذين يؤخرون العمل عن النية والعقد ، يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار. والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة أنظر:الملل والنحل للشهرستاني١/١٣٩،الفرق بين الفرق ١/١٩-١٩٥ .

٢ شرح لأصول الخمسة ص٦٨٧ .

٣الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص٢٤٧ .

ما ثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب "[1].

وقد صرّح القاضي عبد الجبار بهذا،فقال:"وقال أبو علي رحمه الله:إن أهل النار إذا دخلوا النار لم يصح خروجهم منها، لأنهم من أهل العقاب،ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب، لأن ذلك كالتضاد،ولو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة من أن يكونوا من أهل الثواب أو التفضل،والعقل قد دل على أن لا ثواب لهم، والسمع قد دلّ على أن المكلف في الجنة لا يجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل،وأن يكونوا من خدم أهل الجنة، فهذا أيضا يمنع مما قالوه في الشفاعة"[2] .

. ووجه آخر لمخالفتهم في مسألة الشفاعة وهو ما يتعلق بموضوعها،فقد زعمت المعتزلة أن موضوع الشفاعة هو إمّا في جلب النفع أو دفع الضر عن المشفوع له،وأنكرت على المرجئة كونها قصرت موضوع الشفاعة على مجرد دفع الضر،قال القاضي عبد الجبار:" وأما موضوعها فقد اختلف الناس فيه، فعندنا أن موضوع الشفاعة هو لكي يصل المشفوع له إلى حاجته،ثم أن حاجته إما أن تكون نفعا يناله من مال وحشمة وتمييز وخلعة، أو ضرر يدفع عنه. وقد خالف في ذلك المرجئة، وقالت:إن موضوعها إنما هو الضرر ، فقد يشفع ليخلع عليه ويميزه من الحجاب،ففسد ماظنوه"[3].

وفي الحقيقة أنّه عند مراجعة مذهب المعتزلة في باب الشفاعة نجد أنّ المعنى الذي أشاروا إليه في موضوع الشفاعة ـ من جلب النفع ودفع الضر ـ يؤول إلى شيء واحد، ألا وهو جلب المنفعة ، وإلا فما هو مقصودهم من دفع الضرر والحال أنهم ينفون الخروج من النار للعصاة من أهل التوحيد، في حين كونها أكبر ضرر يمكن تصوّره ويتشوّف المرء للخلاص منه.

١مجموع الفتاوى ١/ ١٤٨ .

٢فضل الاعتزال ص٢٠٩ .

٣شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩ .

يتعنت قائلهم ويقول: بل المقصود من دفع الضرر هو ما يتحصّل للمرء بجلب المنفعة له، فعند رفع منزلته مثلا فهذه منفعة دفع بها الضر الذي قد كان فيه من دنو منزلته.

فيقال له كلامكم هذا غير مسلّم به فليس كلّ من كان في منزلة دون المنزلة العليا يكون في ضرر، بل قد يكون رفعه للمنزلة العليا على وجه الترف والزيادة لاغير ، وعلى هذا يبقى ما أشرتم إليه من جلب النفع ودفع الضرّ ألفاظًا مترادفة لنفس المعنى، فيكون تفريقهم بينهما صوريا لا قيمة له ، ويكونوا قد وقعوا فيما عابوا به المرجئة.

بينما أهل السنة لما قالوا أنّ موضوع الشفاعة هو جلب المنفعة أو دفع المضرّة ، فالأمر عندهم على التحقيق، فالمشفوع له كما أنه انتفع بالشفاعة بأن رفعت درجاته، كذلك هو قد انتفت عنه المضرّة بهذه الشفاعة حين حالت بينه وبين دخول النار،أو حتى أخرجته منها بعد دخوله فيها.

أمّا بالنسبة لشبههم التي استندوا عليها في إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين:

فقد استوعب الفخر الرازي في تفسيره[1] أدلة المعتزلة من الكتاب والسنة وذكر أوجه استدلالهم بتلك النصوص،وردّ عليهم، وسيعتمد البحث هنا على ما ذكره الرازي من الشبهات في السنة؛ لشحّ ذلك في كتب المعتزلة،مع الاكتفاء في آيات الذكر الحكيم بما وجد في كتب المعتزلة أنفسهم .

١مفاتيح الغيب، (٣/٥٣) وما بعدها.

أولا: شبههم من القرآن الكريم:

ساق القاضي عبد الجبار عددا من تلك الأدلة التي استندوا عليها في إنكارهم لهذا النوع من الشفاعة،فقال:"وأيضا، فقد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ والحال ما تقدم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾(البقرة٤٨) ، وقوله تعالى:﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(غافر ١٨) ،فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة، فلو كان النبي شفيعا للظلمة لكان لا أجل وأعظم منه. ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى:﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾(الزمر ١٩)،وقوله:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(الأنبياء ٢٨)"[١].

الرد عليهم:

إنّ هذه الآيات التي استشهد بها المعتزلة هي نفس الآيات التي استدل بها الخوارج على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر [٢]، وكان الجواب عليها: أنّ هذه الآيات إنما سيقت في النفس الكافرة لا المؤمنة، والظلم الوارد في الآيات هنا – والموجب للخلود في النار– المراد به ظلم النفس بالكفر دون المعصية، وأصحاب الكبائر من جملة أهل الإيمان الذين لا يخلدون في النار لأجل توحيدهم ،وإن عذّبوا فيها أمدا بمعاصيهم، فيكون خطؤهم هنا: الاستشهاد بنصوص في غير بابها، وفي غير ماسيقت لأجله، وحتى إذا ورد الخلود في حق أهل المعاصي

١شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩ .

٢انظر: ص ٣٥٤ .

من أهل الإيمان فإنّما يقصد به تطاول المدّة عليهم،لا دوام المكث وسيأتي بيان هذا قريبا[1] إن شاء الله تعالى.

قال الإمام السفاريني رحمه الله تعالى في الرد على استدلالهم بقوله تعالى:﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(البقرة ٢٧٠)و قوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء ٢٨):"ونفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة لأنها طلب من خضوع ، والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة والاستعلاء ، على أنا نقول: لا يسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقا ، بل هو مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح ، وإن كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح ، بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقا لعدم الأساس الذي تبنى عليه الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الإيمان"[2] .

١انظر: ص ٣٩١.

٢لوامع الأنوار ص٢١٧ .

ثانيا: شبههم من الأحاديث:

ذكر الرازي في تفسيره أنهم تعلقوا بأربعة أحاديث زعموا أنها تدل على ماذهبوا إليه من إنكار الشفاعة للعصاة،وهي:

الأول:"ماروواه أبو هريرةﷺأن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال:(السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا ». قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال « أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ». فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال « أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ». قالوا: بلى يا رسول الله. قال « فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم. فيقال إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول سحقا سحقا)[1].

والاستدلال بهذا الخبر على نفي الشفاعة أنه لو كان شفيعاً لهم لم يكن يقول فسحقاً فسحقاً،لأن الشفيع لا يقول ذلك،وكيف يجوز أن يكون شفيعاً لهم في الخلاص من العقاب الدائم وهو يمنعهم شربة ماء.

الثاني:عن جابر بن عبد اللّه ﷺ أن النبي ﷺ قال:(يا كعب بن عجرة[2] أعيذك بالله من إمارة السفهاء قال وما ذاك يا رسول الله قال أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم ولم يردوا على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وأولئك يردون علي الحوض. يا كعب بن عجرة:الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. يا كعب بن عجرة:لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت، النار أولى به

١ رواه مسلم ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء ،١٥٠/١ .

٢ كعب بن عجرة: هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، حليف الأنصار: صحابي، يكنى أبا محمد، شهد المشاهد كلها. وفيه نزلت الآية:(ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة ٥١ هـ ، عن نحو ٧٥ سنة. له ٤٧ حديثا. الأعلام للزركلي ٢٢٧/٥ .

يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد بائع نفسه وموبق رقبته وغاد مبتاع نفسه ومعتق رقبته).[1]

والاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة أوجه. أحدها:أنه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه فكيف يشفع له،وثانيها:قوله:«لم يرد عليَّ الحوض»دليل على نفي الشفاعة لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى. وثالثها:أن قوله:«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت» صريح في أنه لا أثر للشفاعة في حق صاحب الكبيرة .

الثالث:عن أبي هريرة ﷺقال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظّمه وعظّم أمره قال:(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، ...)[2].
وهذا صريح في المطلوب ، لأنه إذا لم يملك له من اللّه شيئاً فليس له في الشفاعة نصيب.

الرابع:عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ :(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة:رجل أعطى بي ثم غدر،ورجل باع حرا فأكل ثمنه،ورجل استأجر أجيرا،فاستوفى منه ولم يوفه أجره)[3].والاستدلال به أنه ﷺ لما كان خصيماً لهؤلاء استحال أن يكون شفيعاً لهم، فهذا مجموع وجوه المعتزلة في هذا الباب"[4].

١رواه الإمام أحمد في مسنده برقم(١٥٣١٩) ٣٩٩/٣ ،وقال عنه شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات غير ابن خثيم فصدوق لا بأس به .

٢ رواه البخاري واللفظ له، باب الغلول ٩٠/٤ ، ورواه مسلم ، باب غلظ تحريم الغلول ، ١٠/٦ ، الغلول: هو الخيانة في المغنم. ثغاء: هو صوت الشاة. حمحمة: هو صوت الفرس عند العلف وهو دون الصهيل.

٣ رواه ابن ماجه في سننه ، باب أجر الأجراء ، برقم (٢٤٤٢) ، ٥١٠/٣ ، قال عنه الألباني أنه ضعيف،ذكره في ضعيف ابن ماجه ، برقم(٥٣٢) ،١٩٠/١ .

٤ ينظر مفاتيح الغيب ٥٣/٣-٥٥ .

أمّا خامسا: الاعتراض على حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1] .

قال القاضي عبد الجبار:" وقد تعلقوا في ذلك بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وقالوا :إن النبي ﷺ قد نص على صريح ما ذهبنا إليه. والجواب أن هذا الخبر لم تثبت صحته أولا، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به. ثم إنه معارض بأخبار رويت عن النبي ﷺ في باب الوعيد، نحو قوله:(لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق)[2] ، وقوله:(من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدا مخلدا)[3]إلى غير ذلك ، فليس بأن يوجد بما أورودوه أولى من أن يوجد بما رويناه فيجب اطراحهما جميعا، أو حمل أحدهما على الآخر، فنحمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله، ونقول:المراد به شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا. ومتى قالوا إن التائب في غنى عن الشفاعة ولا فائدة فيها،قلنا ليس كذلك، فإن ما استحق التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيرة، ولا ثواب إلا مقدار ما قد استحقه بالتوبة، فيه حاجة إلى نفع التفضل عليه. فإن قالوا: إن ذلك شيء قد وعده الله به حيث يقول:﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (النساء ١٧٣) فلا يثبت للشفاعة والحال ماذكرتموه تأثير.

قلنا: إنه تعالى لم يذكر أنه يزيدهم من فضله دون شفاعة النبي ﷺ، فلا يمتنع أن يكون تجويز التفضل هو هذا الذي قد وعد به،بل لا يمتنع أن يتفضل عليهم نوعا آخر من التفضل، ففضله أوسع مما يظنونه، وقد قال أبو الهذيل:إن الشفاعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر وذلك لا يصح، لأن الصغائر تقع مكفرة في جنب الطاعات"[4].

---

١ سبق تخريجه ص٣٤٢ .

٢ سيأتي تخريجه عند الرد على نفس شبهتهم في الحديثص ٣٩٠ .

٣ سيأتي تخريجه عند الرد على نفس شبهتهم في الحديثص ٣٩١ .

٤ شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠ .

الرّد عليهم :

. أمّا الحديث الأول: فإنّ مرتكب الكبيرة وإن أبعد عن الحوض، وقيل له سحقا عقوبة له في ذلك الموضع، فهذا لا يمنع من نجاته بعد ذلك بالشفاعة، قال ابن حجر:" واستبعد أيضا أنه لا يقال للمسلم ولو كان مبتدعا سحقا، وأجيب: بأنه لا يمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضى عليه بالتعذيب على معصية، ثم ينجو بالشفاعة ، فيكون قوله سحقا تسليما لأمر الله مع بقاء الرجاء وكذا القول في أصحاب الكبائر".[1]

. وأمّا الحديث الثاني: وفيه ثلاث شبه:

. شبهتهم الأولى: في قوله ﷺ:(ليس مني ولست منه)، بأنّه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه فكيف يشفع له؟!! ويجاب عليهم: أنّ هذه العبارة وإن كان فيه ذم وزجر،إلا أنه لا يفهم منها نفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة عموما، ولا تعني ذلك، وإنّما معناها: أي أنّه ليس على هدينا وسنتنا،قال النووي رحمه الله تعالى:"ومعناه عند أهل العلم أنه ليس ممن اهتدى بهدينا واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا ، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله : لست مني ، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول ، كقوله ﷺ:(من غش فليس منا)[2] وأشباهه".[3]

. وشبهتهم الثانية: في كون أهل الكبائر لا يردون الحوض،وقد أجاب عنها الإمام النووي رحمه الله تعالى حين بيّن أن المقصود بمن يبعد عن حوض النبي ﷺ ويمنع من وروده هم أحد ثلاثة أصناف: إمّا المنافقون، أو المرتدون، أو أصحاب الكبائر، وبيّن أنّ إبعاد أصحاب الكبائر لا يعني القطع بدخولهم النار، بل قد يكون غاية عقوبتهم، ثم لعلهم تدركهم الشفاعة فيدخلون

---

١ فتح الباري ١١/ ٣٨٦ .

٢رواه مسلم ، باب قول النبي ﷺ:(من غشنا فليس منا) ، ١/ ٦٩ .

٣ شرح صحيح مسلم ٢/ ٥٠ .

الجنة، فقال:" والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب ".[١]

. وشبهتهم الثالثة:في قوله:(لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت) فقد أجاب عنها الإمام النووي رحمه الله تعالى فقال:"وفى معنى (لا يدخل الجنة) جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا، أحدهما: أنه محمول على من يستحل ... مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا. والثاني: معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين اذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخّر، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولا، وإنّما تأولنا هذين التأويلين لأنا قدمنا أن مذهب أهل الحق أن من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة أولا، وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة، والله أعلم ".[٢]

وإذا كان الأمر كذلك فإنّه ليس من الصواب منع أو حرمان أهل الكبائر من شفاعة الشافعين.

. وأمّا الحديث الثالث: فقد أجاب عنه العلماء بأنّ قوله ﷺ:(لا أملك لك شيئا) أنّ هذه العقوبة التي جاءت في الحديث لابد أن تتحقق للغال؛ ليفتضح أمره بين الخلائق، ثم بعد ذلك، هو من جملة أهل المعاصي الذين يستحقون الشفاعة إن أذن الله لهم فيها، قال ابن حجر رحمه الله تعالى:"قوله (لا أملك لك شيئا) أي من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله وقوله:(قد بلغتك) أي فليس لك عذر بعد الإبلاغ. وكأنه ﷺ أبرز هذا الوعيد في مقام الزجر والتغليظ، وإلا فهو في القيامة صاحب الشفاعة في مذنبي الأمة..... قال المهلب: هذا الحديث وعيد لمن أنفذه الله عليه من أهل المعاصي، ويحتمل أن يكون الحمل المذكور لا

---

١ شرح صحيح مسلم ٣/ ١٣٦ .

٢ شرح صحيح مسلم ٢/ ١٧ .

بد منه عقوبة له بذلك ليفتضح على رؤوس الأشهاد وأما بعد ذلك فإلى الله الأمر في تعذيبه أو العفو عنه ".[1]

. وأمّا الحديث الرابع: زعمهم باستحالة أن يكون الرسول ﷺ شفيعا لهؤلاء المذكورين في الحديث لكونه أخبر أنه خصم لهم.

ويجاب عليهم: أنه ليس الرسول ﷺ هو المراد بالخصم في هذا الحديث، بل إن هذا الحديث من الأحاديث القدسية، أي أن الله ﷻ هو القائل فيه على لسان رسوله ﷺ، وهو المخبر سبحانه أنه هو الذي سيتولى خصومة هؤلاء المذكورين لشناعة فعلهم.

قال المناوي:"وهذا الحديث من الأحاديث القدسية فقد رواه البخاري[2] رحمه الله بلفظ :(قال الله تعالى) فوقع في هذه الرواية اختصارا ".[3]

ومعلوم أن الحقوق بين العبد وربه مبنية على المسامحة، وهو سبحانه أكرم الخصوم،وقد يعفو سبحانه عن هؤلاء الذين أخبر بخصومته لهم ،قال المناوي:"لكنه تعالى أكرم الخصوم وأغناهم والكريم إذا ملك أحسن وإذا حاسب سمح وإذا سئل وهب، والخبر مسوق لمعنيين: أحدهما: تعظيم هذه الخصال وأنها كبائر جرائم وخطايا عظائم يتعين الحذر منها.
الثاني: الإخبار عن كرم الله وفضله وأن الخصم الغني الكريم الرؤوف الرحيم، وإذا كان هو الخصم كان أرجى للعبد لأنه غني لا يتعاظمه ذنب ولا ينقصه شيء فيناقش فيه، بل يرضى خصوم من شاء من عنده كما جاء في كثير من الأخبار فيا له من حديث جمع الخوف والرجاء اللذين هما سهما العبودية".[4]
وإذا كان الأمر كذلك،فما الذي يمنع من حصول شفاعة الرسول ﷺ لهم إن عفى الله عنهم، وأذن بالشفاعة لهم؟!!

١فتح الباري ٦/ ١٨٦ .

٢ رواه البخاري ، باب إثم من باع حرا، ١٠٨/٣ .

٣ فيض القدير ٤١٦/٣ .

٤ نفسه .

. وأمّا خامسا:قدحهم في حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وقول القاضي عبد الجبار : "أن هذا الخبر لم تثبت صحته أولا، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به"[1].

فالذي يظهر من عبارة القاضي التعنت الشديد لديهم، وردّ الدليل لمجرد كونه مخالفا لمذهبهم، ويعلم ذلك من قوله عن الحديث:(لم تثبت صحته)، فيقال له: وأين أنتم من البحث عن ثبوته أو عدمه؟

فلو كان المرء وقّافا عند كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ،لكان الأولى به التحري والتدقيق عند وقوعه على نص يخالف مذهبه،والبحث والتنقيب عنه، فإن ثبت النص فإنه لا يجد غضاضة في أن يغير مذهبه للنص، وإلا فهو على ما هو عليه.
هذا حال من أراد الحق، وأمّا أن يقال هذا النص لم تثبت صحته، وإن ثبت فلا يقبل لكذا وكذا !! فهذا غير مقبول.

فأمّا بالنسبة لثبوت النص:فهو ثابت والحمد لله تعالى،وهو من الأحاديث المشتهرة بين العلماء.

. فقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى أن هذا الحديث قد أخرجه كل من:" أبي داود والترمذي والبيهقي وصححه عن أنس ﷺ، والحاكم عن جابر ﷺ، والطبراني عن ابن عباسوابن عمر ﷺ ،والبيهقي في الشعب عن كعب بن عجرة ﷺ، ومن مرسل طاوس[2] وقال: إنه

---

١ سبق إيراد قوله في ص٣٧٩ .

٢ طاووس: هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن(٣٣ - ١٠٦ هـ): من أكابر التابعين، تفقها في الدين ورواية للحديث، وتقشفا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن. توفي حاجا بالمزدلفة أو بمنى. وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء. الأعلام للزركلي ٣/٢٢٤ .

مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة فيما بين التابعين"[١].

وقال الإمام السخاوي رحمه الله تعالى:"حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي):الترمذي والبيهقي من حديث عبد الرزاق[٢] عن معمر[٣] عن ثابت[٤] عن أنس به مرفوعا وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال الترمذي إنه حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال البيهقي: إنه إسناد صحيح .

أخرجه أيضا هو وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم في صحيحيهما من حديث أشعث الحداني[٥] عن أنس. وهو وابن خزيمة من حديث سعيد بن أبي عروبة[٦] عن قتادة عن أنس

---

١ أنظر:الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي رقم الحديث(٢٦٩) (١٣٥/١) .

٢ عبد الرزاق: هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني(١٢٦ - ٢١١ ه): من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحوا من ١٧ ألف حديث. له (الجامع الكبير) في الحديث، قال الذهبي: وهو خزانة علم، وكتاب في (تفسير القرآن) و (المصنف في الحديث) ويقال له الجامع الكبير، حققه حبيب الرحمن الأعظمي الباكستاني المعاصر. الأعلام للزركلي ٣٥٣/٣ .

٣ معمر: هو معمر بن راشد بن أبى عمرو الازدي الحدانى بالولاء، أبو عروة(٩٥ - ١٥٣ ه): فقيه، حافظ للحديث، متقن، ثقة. من أهل البصرة. ولد واشتهر فيها. وسكن اليمن. وأراد العودة إلى بلده فكره أهل صنعاء أن يفارقهم، فقال لهم رجل: قيدوه. فزوجوه، فأقام. وهو عند مؤرخي رجال الحديث: أول من صنف باليمن .الأعلام للزركلي ٢٧٢/٧ .

٤ ثابت: هو ثابت بن أسلم الامام القدوة شيخ الاسلام أبو محمد البناني، مولاهم البصري، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب، ويقال: هم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار.ولد في خلافة معاوية. وقال أحمد العجلي: ثقة رجل صالح، وقال النسائي: ثقة، وقال أبو حاتم الرازي: أثبت صحاب أنس بن مالك الزهري، ثم ثابت، ثم قتادة.واختلفوا في وفاته فقيل سنة ١٢٣هـ، وقيل ١٢٧هـ، وهو ابن ٨٦ سنة. سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥ .

٥ أشعث الحداني: هو أشعث بن عبد الله ابن جابر الازدي ثم الحداني، البصري، الاعمى. وهو الذي يقال له أشعث البصري، وأشعث الاعمى، وأشعث الازدي، وأشعث الحملي. وكان من علماء البصرة كأشعث الحمراني. وهو صالح الحديث.وقد وثقه النسائي، وغيره.وفي حديثه وهم. أورده العقيلي في " الضعفاء " وقال الدار قطني: يعتبر به. سير أعلام النبلاء ٢٧٤/٦ .

٦ سعيد ابن أبي عروبة: هو سعيد بن أبى عروبة مهران، العدوي بالولاء، البصري، أبو النضر: حافظ للحديث، لم يكن في زمانه أحفظ منه.قال الذهبي: إمام أهل البصرة في زمانه. ورمي بالقدر. اختلط في آخر عمره، ومات في عشر الثمانين سنة ١٥٦ ه . له مصنفات. الأعلام للزركلي ٩٨/٣ .

بلفظ (الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي). وهو وحده من حديث مالك بن دينار[1] عن أنس بزيادة وتلا هذه

الآية: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾(النساء ٣١)، ومن حديث يزيد الرقاشي[2] عن أنس بلفظ (قلنا: يا رسول الله لمن تشفع؟ قال (لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء) ومن حديث زياد النميري[3] عن أنس بلفظ :(إن شفاعتي أو إن الشفاعة لأهل الكبائر). وفي الباب جماعة منهم جابر أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم، والبيهقي من حديث زهير بن محمد[4] عن جعفر بن محمد[5] عن أبيه محمد بن علي بن الحسين[6] عنه مرفوعا بلفظ الترجمة رواه عن

١ مالك بن دينار: هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالاجرة. توفي في البصرة. الأعلام للزركلي ٢٦٠/٥ .

٢يزيد الرقاشي: هو يزيد ابن أبان الرقاشي بتخفيف القاف ثم معجمة أبو عمرو البصري القاص بتشديد المهملة زاهد ضعيف من الخامسة مات قبل العشرين. أنظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٥٩٩/٢ ، المجروحين لابن حبان ٩٨/٣.

٣ زياد بن عبد الله النميري: يروي عن أنس، قال يحيى لا شيء، وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. أنظر:الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣٠١/١، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ الفقيه صفي الدين الأنصاري ١٢٥/١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٣٦/٣ .

٤ زهير بن محمد: هو زهير بن محمد المروروذى التميمي العنبري أبو المنذر كان يكون بمكة والمدينة. أحمد بن حنبل يقول: زهير بن محمد الخراساني مستقيم الحديث. يحيى بن معين يقول: زهير بن محمد الخراساني صالح. عبد الرحمن قال سألت أبي عن زهير بن محمد قال: محله الصدق وفى حفظه سوء وكان حديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق لسوء حفظه وكان من اهل خراسان سكن المدينة وقدم الشام فما حدث من كتبه فهو صالح وما حدث من حفظه ففيه أغاليط. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٨٩/٣ .

٥جعفر بن محمد: هو جعفر الصادق سبق ترجمته ص٢٢٨ .

٦ محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر(٥٧ – ١١٤ هـ): خامس الائمة الاثني عشر عند الامامية. كان ناسكا عابدا، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة. وللجلودي (عبد العزيز بن يحيى) المتوفى سنة ٣٠٢ كتاب (أخبار أبي جعفر الباقر). الأعلام للزركلي ٢٧٠/٦ .

زهير عمر بن أبي سلمة[1] ومحمد بن ثابت البناني[2] زاد ثانيهما في رواية الطيالسي[3] فقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة. وزاد الوليد بن مسلم[4] في روايته له عن عن زهير فقلت: ما هذا يا جابر: قال: نعم يا محمد إنه من زادت حسناته عن سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب وأما الذي قد استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة، وإنما الشفاعة شفاعة رسول الله لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره. ومنهم كعب بن عجرة أخرجه البيهقي في البعث من طريق الشعبي عنه قال: قلت يا رسول الله: الشفاعة الشفاعة! فقال:(شفاعتي) وذكره وهو عند عبد الرزاق ومن جهته البيهقي عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه رفعه به كالترجمة بزيادة (يوم القيامة)، وقال هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة فيما بين التابعين. ثم روي من جهة أبي مالك

---

١ عمر بن أبي سلمة: هو عمر بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني، الفقيه، مكثر عن والده، قال أبو حاتم: هو عندي صالح، وقال النسائي: ليس بالقوي.وقال ابن خزيمة: لا يحتج بحديثه. استشهد به البخاري. وروي أحمد بن زهير عن ابن معين: ليس به بأس ؛ وقال ابن معين أيضا: هو ضعيف. وقال أبو حاتم أيضا: لا يحتج به. قد كان قام مع ابن أخت له أموي، في مبدأ دولة بني العباس، فلم يتم له أمر، وظفر عبد الله بن علي عم السفاح، فقتل عمر في سنة ١٣٣هـ. سير أعلام النبلاء ١٣٣/٦ .

٢ محمد بن ثابت: هو محمد بن ثابت البنانى يروى عن أبيه ومحمد بن المنكدر، عداده في أهل البصرة:روى عنه أبو داود وعبد الصمد.يروى عن أبيه ما ليس من حديثه كأنه ثابت آخر، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه على قلته. أنظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢٥٢/٢، التاريخ الكبير للبخاري ٥٠/١ .

٣ الطيالسي: هو سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي(١٣٣ - ٢٠٤ هـ): من كبار حفاظ الحديث.فارسي الأصل. سكن البصرة وتوفي بها. كان يحدث من حفظه. سمع يقول: أسرد ثلاثين الف حديث ولا فخر ! له (مسند) جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين. الأعلام للزركلي ١٢٥/٣ .

٤ الوليد بن مسلم: هو الحافظ الأموي الوليد بن مسلم الأموي بالولاء، الدمشقي، أبو العباس(١١٩ - ١٩٥ هـ): عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له ٧٠ تصنيفا في الحديث والتاريخ، منها " السنن " و " المغازي ". وكان يقال: من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء. توفي بذي المروة، قافلا من الحج. الأعلام للزركلي ١٢٢/٨ .

الأشجعي[1]عن ربعي بن حراش[2] عن حذيفة بن اليماني أنه سمع رجلا يقول: اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد. قال: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد، ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين ".[3]

فكأن مراد الإمام السخاوي رحمه الله تعالى من شحذ كل هذه الروايات . بعد ذكر تصحيح الحديث . هو التعضيد بها ولو لم تكن على نفس درجته من الصحة.

. وامتدادا لهذا يأتي الرد على طعنهم فيه لو ثبت صحته بكونه حديث آحاد.

فيقال قد ثبتت صحته والحمدد لله، أما كونه آحادا يعني أنه لا يفيد إلا الظن كما زعموا، وهذا الموضوع مما شأنه العلم لا الظن.

فيجاب عليهم تأصيلا بأنه:من قال بأنّ حديث الآحاد لايقبل لأنه لا يفيد العلم؟ هذا مذهب خاص بكم وهو مخالف للصواب، ولو فرض صحته لردت معظم أحاديث رسول الله ﷺ ،إذ غالب الأحاديث من هذا الباب، والمتواتر منها قليل،بل يكاد بعض العلماءيجزم بندرته[4]، فالصواب أن الحديث متى صحّت نسبته للنبي ﷺ سندا ومتنا فإنه مقبول نأخذ منه العلم سواء كان متواترا،أو آحادا.

---

١ أبو مالك الاشجعي: هو سعد بن طارق، بن أشيم.كوفي صدوق. روى عن أبيه، وعبد الله بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وموسى بن طلحة، وأبي حازم الاشجعي، وربعي بن حراش.وعنه: الثوري، وأبو عوانة، وحفص بن غياث، وخلف بن خليفة، وأبو معاوية، ويزيد بن هارون وعبيدة بن حميد، وعدة. قال النسائي: ليس به بأس، وقال أحمد ويحيى: ثقة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، يكتب حديثه.

وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه في القنوت . سير أعلام النبلاء ١٨٤/٦ .

٢ ربعي بن حراش: هو ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي، أبو مريم: تابعي مشهور. من أهل الكوفة.ثقة في الحديث. كان أعور. يقال إنه لم يكذب قط. وكان له ابنان عصيا الحجاج بن يوسف، واختفيا، فطلبه الحجاج وقال: ما فعل ابناك يا ربعي ؟ فقال ربعي: هما في البيت، والله المستعان ! فقال الحجاج: قد عفونا عنهما لصدقك ! توفي سنة ١٠١ هـ . الأعلام للزركلي ١٤/٣ .

٣ المقاصد الحسنة ١/ ٤٠٥ .

٤أنظر قول ابن حبان في كون أحاديث الرسول ﷺكلها من أخبار الآحاد ص ١٩٢ من نفس البحث .

ثم إن التواتر قسمان :لفظ ، ومعنى.[1]

أما اللفظ فهو عزيز ، وهذا الذي وصفه العلماء بالندرة .

وأما المعنى فهو كثير جدا في حديث رسول الله ﷺ، وهذا الحديث من هذا الباب من المتواتر المعنوي، فهو ليس وحيدا في بابه، بل قد وردت أحاديث أخر كلها تدل على نفس المعنى، حتى أن العلماء حكوا أن مجموع الأحاديث في هذا الباب تبلغ حد التواتر،قال الكتاني:"وقال الشهاب[2] في شرح الشفا[3] لما تكلم على شفاعته ﷺ في بعض المذنبين ممن استوجب دخول النار ما نصه:(وهذه الشفاعة ثابتة بأحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن أنكرها من الخوارج والمعتزلة) "[4].

ومن هذه الأحاديث على سبيل التمثيل لا الحصر: ما رواه ابن عبد البر بسنده عن أسماء بنت عميس[5] رضي الله عنها أنها قالت:يا رسول ادع الله أن يجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، فقال

---

١ أنظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي ١٤٦/١ .

٢ الشهاب: هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري(٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ): قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءا يعيش منه فاستقر إلى أن توفي. من أشهر كتبه (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) و (شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري) و (طراز المجالس) و (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) و (خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا) و (ريحانة الندمان) و (عناية القاضي وكفاية الراضي) حاشية على تفسير البيضاوي و غيرها . الأعلام للزركلي ٢٣٨/١ .

٣الشفا : هو كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

٤نظم المتناثر ص٢٣٤ .

٥ أسماء بنت عميس: هي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمي: صحابية، كان لها شأن. أسلمت قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله ومحمدا وعوفا، ثم قتل عنها جعفر شهيدا في وقعة مؤتة (سنة ٨ هـ فتزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمدا ابن أبي بكر، وتوفي عنها أبو بكر فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحي وعونا. وماتت بعد علي نحو ٤٠ هـ . وصفها أبو نعيم بمهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . الأعلام للزركلي ٣٠٦/١ .

لها رسول الله ﷺ:(إذن تخمشك النار فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه النار)[1].

وروى بسنده أيضا عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبل:بعثت إلى الأحمر والأسود،وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي،ونصرت بالرعب شهرا فيرعب العدو مني مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا،وقيل لي سل تعط، فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة منكم إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئا)[2].

وروى بسنده أيضا عن ابن عمر ﷺ أنه قال: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول:(﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء ٤٨)، وقال:(إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي)[3].

فهذه بعض الروايات عسى أنها تفي بالغرض ، وتدحض الشبهة عن عقول متوهميها.

. وبقي اعتراض آخر لهم على الحديث بعد الطعن في ثبوته وكونه آحادا:وهو أنه معارض بأحاديث أخر في باب الوعيد، نحو حديث:(لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق)، وحديث:(من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدا مخلدا)إلى غير ذلك.

١التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد١٩/٦٧ .

٢نفسه ١٩/٦٨ .

٣نفسه ، قال عنه الألباني (حسن) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم – الألباني ٢/٩١.

.

والجواب عليه:

أمّا بالنسبة لحديث:(لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق).

فلم أجد حديثا بنفس هذا النص، ولكن بلفظ منان وهو ما رواه عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:(لا يدخل الجنة منان ولا عاق والديه ولا مدمن خمر)[1] .

أمّا النمام فقد جاء فيه حديث بخصوصه وهو مارواه حذيفة ﷺ:سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة نمام »[2].

والنصوص الواردة في نفي دخول الجنة ببعض الذنوب والمعاصي أكثر مما ذكروه، كقطيعة الرحم والكبر والقتل وغيرهما، ولا ينكرها أهل السنة، أو يقدحوا فيها دفاعا عن مذهبهم، وإنّما يوجهونها التوجيه الصحيح الذي تأتلف على ضوئه نصوص الشريعة ولا تختلف.

والجواب عليها: بما سبق[3] ذكره من كلام الإمام النووي رحمه الله تعالى في بيان معنى"لا يدخل الجنة) المترتبة على بعض الذنوب والمعاصي، وهي إمّا في حق المستحل لهذه الذنوب، أو بمعنى عدم دخوله الجنة ابتداء كدخول الفائزين، بل قد يعذب أولا، ثم يدخلها، وقد يعفى عنه فيدخلها مباشرة.

وقد بيّن الإمام المناوي رحمه الله تعالى هذا المعنى، فقال:"فيشفع لقوم في أن لا يدخلوا النار، ولآخرين دخلوها أن يخرجوا منها . ولا ينافيه قوله في الحديث المار:(إن الله أبى علي فيمن قتل مؤمنا)[4] لأن المراد المستحل، أو الزجر والتنفير"[5] .

---

١ رواه النسائي ، برقم(٥٦٧٢) ، ٣١٨/٨ ،بدون لفظ (والديه) ، ورواه أحمد برقم(٦٨٨٢) ، ٢٠١/٢ ، وصححه الألباني، وقال عنه شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف .

٢رواه مسلم ، باب بيان غلظ تحريم النميمة. ٧٠/١ .

٣انظر: ص٣٨١ .

٤ رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم(٩٨٠) ، ٣٥٥/١٧ .

٥فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢١٤/٤ .

إذن:فلا تلازم بين الإخبار بنفي دخول الجنة المتوعد به بعض أهل الكبائر، وبين منع الشفاعة عنهم.

. وأما حديث قتل النفس فهو مروي عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا »[1].

فالذي أشكل عليهم في الحديث: الوعيد بالخلود في النار على هذه الذنوب.

والجواب عنه أن الخلد الوارد في الحديث إنّما يراد به طول المدّة، لا دوامها.
ولفظ الخلود الأصل في إطلاقه:البقاء، والدوام. وقد يطلق ويراد به طول المدة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" ولكن مجرد ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية بل الخلود هو المكث الطويل، كقولهم قيد مخلد وتأبيد كل شيء بحسبه، فقد يكون التأبيد لمدة الحياة، وقد يكون لمدة الدنيا، قال تعالى عن
اليهود:﴿وَلَنيَتَمَنَّوْهُأَبَداًبِمَاقَدَّمَتْأَيْدِيهِمْوَاللّهُعَلِيمٌبِالظَّالِمِينَ﴾(البقرة ٩٥) ومعلوم أنهم يتمنونه في النار حيث يقولون:﴿يَامَالِكُلِيَقْضِعَلَيْنَارَبُّكَ﴾(الزخرف ٧٧) "[2].
وجاء في المفهم:"وقوله: خالدا مخلدا فيها أبدا: ظاهره: التخليد الذي لا انقطاع له بوجه ، وهو محمول على من كان مستحلا لذلك ، ومن كان معتقدا لذلك ، كان كافرا.
وأما من قتل نفسه ، وهو غير مستحل ، فليس بكافر ، بل يجوز أن يعفو الله تعالى عنه......ويجوز أن يراد بقوله : خالدا مخلدا فيها أبدا تطويل الآماد ، ثم يكون المراد بالخلود في النار: خروجه من النار من آخر من يخرج من أهل التوحيد ؛ ويجري هذا مجرى المثل،

١رواه البخاري ، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث ، ١٨١/٧ ، ورواه مسلم واللفظ له، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به فى النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ٧٢/١ ، يتحسى : يشرب ويتجرع ، يتوجأ : يطعن .
٢شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ٢٥٧/١ .

فتقول العرب : خلد الله ملكك ، وأبد أيامك ، ولا أكلمك أبد الآبدين، ولا دهر الداهرين، وهو ينوي أن يكلمه بعد أزمان ".[1]

. وأما آخر اعتراضاتهم على الحديث فهو بالتأويل، فذكروا أنّه وإن سلم الحديث من هذه المعارضات فإنه يحمل على التائبين.

فيقال لهم هذه آخر حيلكم التي خلصتم إليها، ولكنها للأسف لم تنفعكم بشيء بل أظهرت تناقض أقوالكم، لأن أصل مذهبكم أن التائب من الذنب لا يعذب بفضل توبته، لا بالشفاعة، ففي أي شيء يحتاج الشفاعة؟!

يقولون:يحتاجها في رفعة درجاته في الجنة. فيقال لهم هذا تحكّم من عند أنفسكم،لأن الشفاعة في أهل الكبائر والتي ورد فيها هذا الدليل الصريح أنكرتموها، والشفاعة في رفعة الدرجات والتي ليس عليها دليل صريح بخصوصها تجزمون بها،وهذا دليل على غلبة الهوى والانتصار للمذهب،والله تعالى أعلم. وقد بيّن ذلك الإمام ابن حجر في الفتح،فقال رحمه الله تعالى:(قال بن بطّال[2]: سلّم بعض المعتزلة وقوع الشفاعة، لكن خصّها بصاحب الكبيرة الذي تاب منها، وبصاحب الصغيرة الذي مات مصرا عليها، وتعقّب: بأن من قاعدتهم أن التائب من الذنب لا يعذب، وأن اجتناب الكبائر يكفّر الصغائر، فيلزم قائله أن يخالف أصله، وأجيب: بأنه لا مغايرة بين القولين، إذ لا مانع من أن حصول ذلك للفريقين إنما حصل بالشفاعة، لكن يحتاج من قصرها على ذلك إلى دليل التخصيص، وقد تقدم في أول

١المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس الأنصاري القرطبي،باب من قتل نفسه بشيء عذب به ٣١٠/١ .

٢ ابن بطال: هو شارح صحيح البخاري، العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام. أخذ عن: أبي عمر الطلمنكي، وابن عفيف، وأبي المطرف القنازعي، ويونس بن مغيث. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح الصحيح في عدة أسفار، رواه الناس عنه، توفي في صفر سنة ٤٤٩هـ.قلت: كان من كبار المالكية.ذكره القاضي عياض . سير أعلام النبلاء ٤٨/١٨ .

الدعوات الإشارة إلى حديث (شفاعاتي لأهل الكبائر من أمتي) ولم يخص بذلك من تاب، وقال عياض: أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف. وهي الخاصة بنبينا. والشفاعة في رفع الدرجات، وأنكرت ما عداهما، قلت: وفي تسليم المعتزلة الثانية نظر"[1].

وختام ذلك بكلام في غاية النفاسة والجودة للإمام السفاريني في هذا الباب،قال رحمه الله تعالى:" وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من إنفاذ الوعيد، بعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، فلا تعطل هذه النصوص وأضعاف أضعافها، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين ، ومن ثم قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتبارا لمقتضى العقاب ومانعه ؛ إعمالا لأرجحهما ، وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما وبناء الأحكام الشرعية والأحكام القدرية ، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود ، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها خلقا وأمرا ، وقد جعل – تعالى – لكل ضد ضدا يدافعه، ومانعا يمانعه، ويكون الحكم للأغلب منهما . والحاصل – والله أعلم – كون المذنب الملي وإن كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه ؛ في مشيئة مولاه ، إن شاء عذبه، وإن شاء عافاه. وعلى كل حال خلودأهل التوحيد في النار من المحال . فالصواب اجتنابه ، وعدم الالتفات إليه ، والتعويل على مذهب أهل الحق ، والركون إليه . وبالله التوفيق"[2] .

١فتح الباري ابن حجر ٤٢٨/١١ .

٢لوامع الأنوار ٣٧١/١ .

وذكر الآمدي[1] رحمه الله تعالى كلاما وصف به حال المعتزلة نفاة الشفاعة،فقال:" وأما إنكار الشفاعة للمذنبين والعصاة من المسلمين ، فذلك إنما هو فرع مذهب أهل الضلال في القول بوجوب الثواب ولزوم العقاب على الله تعالى ، وقد بينا ما في ذلك من الخلل وأوضحنا ما فيه من الزلل ، فإن الثواب من الله تعالى ليس إلا بفضله والعقاب ليس إلا بعدله ، وهو المتحكم بما يشاء في خلقه:﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف ٥٤) وما ذكروه من الآيات والظواهر السمعيات ، فمحمول على الكافرين المستحلين لما يأتونه المستوجبين لما يقترفونه ، دون العصاة من المؤمنين ومن أذنب ذنبا من المسلمين ، ودليل التخصيص في ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ (النساء/١١٦)،ومع قيام الدليل المخصص لها يمتنع القول بتعميمها "[2] .

---

١ الآمدي: هو علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي(٥٥١ – ٦٣١ هـ): أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيا إلى " حماة " ومنها إلى " دمشق " فتوفي بها. له نحو عشرين مصنفا، منها: " الاحكام في أصول الاحكام" و " منتهى السول " و " أبكار الافكار" ، الاول والثاني منه، في علم الكلام، و " لباب الالباب " و " دقائق الحقائق " و " المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين ". الأعلام للزركلي ٣٣٢/٤ .

٢غاية المرام في علم الكلام ٣٠٦/١ .

الفصل الثاني عشر:

الخلود والفناء في الدارين (الجنة والنار) .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الخلود والفناء في الدارين عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الخلود والفناء في الدارين عند المخالفين .

المبحث الثالث: شبه المخالفين في الفناء مع بيان وجه الاستدلال ومناقشتهم.

المبحث الأول:

الخلود والفناء في الدارين عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: الخلود والفناء في الدارين عند أهل السنة والجماعة.

الداران هما:الجنة:دار جزاء المؤمنين ، والنار:دار جزاء المخالفين من الكفار والعصاة.
وأمّا المقصود بالخلد والفناء فيهما فهو كما يلي:

الخلد في اللغة:

قال ابن فارس:" (خلد) الخاء واللام والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثبات والملازمَة، فيقال: خَلَدَ: أقام، وأخلَدَ أيضاً. ومنه جَنَّةُ الخُلْدِ".[1]

وقال ابن منظور:"الخُلْد دوام البقاء في دار لا يخرج منها خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْداً وخُلوداً بقي وأَقام ودار الخُلْد الآخرة لبقاءِ أَهلها فيها وخَلَّده الله وأَخْلَده تخليداً وقد أَخْلَد الله أَهلَ دار الخُلْد".[2]

وشرعا:

قال الطبري:" دار الخلد: يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد".[3]

وقال البغوي:"دَارُ الْخُلْدِ: دار الإقامة لا انتقال منها".[4]

وقال الشوكاني:"دار الخلد : دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها".[5]

الفناء لغة:

وقال الرازي[6]:"(فني)ف ن ي: فَنِيَ الشيء فَنَاءً باد،و تَفَانَوْا أفنى بعضهم بعضا في الحرب".[7]

---

١ مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٧ .

٢ لسان العرب ١٦٤/٣ .

٣ جامع البيان في تأويل القرآن ٤٦١/٢١ .

٤ معالم التنزيل ١٧٢/٧ .

٥ فتح القدير ٥١٤/٤ .

٦ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين: صاحب (مختار الصحاح) في اللغة، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة ٦٦٠ هـ وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري. ومن كتبه (شرح المقامات الحريرية) و (حدائق الحقائق) في التصوف، عند عبيد، و (أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل) و (الذهب الابريز في تفسير الكتاب العزيز) و (روضة الفصاحة) في علم البيان و (كنز الحكمة) ناقص،في الحديث، و(زهر الربيع من ربيع الابرار) عند آل الشطي في دمشق. توفي سنة ٦٦٦ هـ . الأعلام للزركلي ٥٥/٦ .

٧ مختار الصحاح ٢١٥/١ .

قال ابن سيده[1]:"والفَناء —ممدود– : الذَّهاب . فَنِيَ الشيءُ فَناءاً : أي ذهب ونَفِد"[2].
قال ابن منظور:"الفَناء نَقِيض البقاء"[3].

وشرعا:

قال ابن حزم:"وأما الفناء: فهو عدم الشيء وبطلانه جملة، وليس هو شيئا أصلا "[4].
قال ابن الجوزي:" في الحديث (تعوذ بالله من قرع الفناء): وهو خلو الديار"[5].

. والكلام عن الجنة والنار في هذا الفصل لن يكون حول نعيم الجنة وعذاب النار، ومن هم أهل هذين الدارين، فإنّ هذا موضعه في الترغيب والترهيب،والذي يهمنا هنا في هذا البحث في مسألة الجنة والنار . والذي هو محل النزاع . يتلخص في نقطتين:

١. في وجودهما.
٢. وفي فنائهما.

***أمّا بالنسبة للوجود:**

فيقصد به هل الجنة والنار مخلوقتان الآن، أم أنهما تخلقان يوم القيامة؟
مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك:أنّ الجنة والنار مخلوقتان و موجودتان، لا أنهما تخلقان يوم القيامة.

١ ابن سيده: هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن(٣٩٨ – ٤٥٨ هـ): إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف " المخصص" وهو من أثمن كنوز العربية، و " المحكم والمحيط الاعظم" و " شرح ما أشكل من شعر المتنبي " و " الانيق " في شرح حماسة أبي تمام، وغير ذلك.الأعلام للزركلي ٤/٢٦٣ .
٢ المخصص ٤/ ٤٤٢ .
٣ لسان العرب ١٥/١٦٤ .
٤ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٢٧ .
٥ غريب الحديث ٢/ ٢٣٦ .

. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" الباب الأول في بيان وجود الجنة الآن: لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها".[1]

. وقال ابن حجر رحمه الله تعالى:" (قوله باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة): أي موجودة الآن وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن ومنها ما يتعلق بصفتها وأصرح مما ذكره في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:(لما خلق الله الجنة)[2]".[3]

وقد قرر السلف في عقائدهم كثيرا كون الجنة والنار مخلوقتين موجودتين، ومنه:

. قول ابن أبي زمنين رحمه الله تعالى:"ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا "[4].

. وقول الإمام الآجرّي[5] رحمه الله تعالى:"كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأن نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبدا وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبدا قال محمد بن الحسين[6] رحمه الله : اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد أن الله ﷻ خلق الجنة والنار

---

١ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ١١/١ .

٢ سيأتي ذكره في ص٤٠٠.

٣ فتح الباري ٣٢٠/٦ .

٤ أصول السنة لابن أبي الزمنين ١٣٤/١ .

٥ الآجري: هو محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي محدث. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠هـ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها سنة ٣٦٠ هـ .له تصانيف كثيرة، منها (أخبار عمر بن عبد العزيز) و (أخلاق حملة القرآن) و (أخلاق العلماء) و (التفرد والعزلة) و (حسن الخلق) و(الشبهات) و (تغير الأزمنة) و (النصيحة) و (كتاب الاربعين حديثا) و (كتاب الشريعة) . الأعلام للزركلي ٩٧/٦.

٦ محمد بن الحسين هو نفسه الآجري.

والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلا ، وللنار أهلا ، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا ، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام ، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة ، فنعوذ بالله ممن يكذب بهذا "[١].

. وقول الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:" باب ما يستدل به على أن الجنة والنار قد خلقتا،وأعدتا لأهلهما فنسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار"[٢] .

ومن النصوص الدالة على كون الجنة والنار مخلوقتين موجودتين:

أولا: من القرآن الكريم:

١.قوله تعالى:﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣).

٢.وقوله تعالى:﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٤).

٣.وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى*عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى*عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم ١٣/١٥)

ثانيا: من السنة النبوية:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال:أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال:يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال:أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد). قال:(فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال:أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها

١ الشريعة ١٣٤٣/٣ .

٢ البعث والنشور ١٣٢/١ .

بالشهوات ثم قال:يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال:أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها).[1]

٢. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة ١٧)).[2]

٣.وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:(اختصمت الجنة والنار إلى ربهما،فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم. وقالت النار يعني – أوثرت بالمتكبرين. فقال الله تعالى للجنة:أنت رحمتي، وقال للنار:أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. قال:فأمّا الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنّه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثا. حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ، ويرد بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط قط).[3]

٤.وعن أبي هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:(اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير).[4]

---

١ رواه أبو داوود ، باب في خلق الجنة والنار ، ٣٨٠/٤ ، قال ابن حجر: أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي (الفتح ٣٢٠/٦). وتم تقديم هذا الرواية على روايات البخاري ومسلم لقول ابن حجر: أنها أصرّح في الدلالة على المطلوب من الروايات التي ذكرها البخاري، أنظر: الفتح ٣٢٠/٦ .

٢ رواه البخاري واللفظ له، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ١٤٣/٤، ورواه مسلم ١٤٣/٨ .

٣ رواه البخاري ، واللفظ له،باب ما جاء في قول الله تعالى:﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ ، ١٦٤/٩، ورواه مسلم ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ١٥٠/٨ .

٤ رواه البخاري واللفظ له ،باب صفة النار وأنها مخلوقة ١٤٦/٤، ورواه مسلم ، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضى إلى جماعة ويناله الحر فى طريقه ،١٠٨/٢ .

***وأمّا بالنسبة للفناء:**

فيقصد به هل الجنة والنار تفنيان ،أم أنهما أبديتان؟

ذهب عامّة أهل السنة وجماهيرهم إلى أن الجنة والنار أبديتان،لا تفنيان أبدا .

. بل حكى الإمام السفاريني رحمه الله تعالى أنّ هذا القول هو إجماع أهل السنة،فقال:

" فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع ، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة"[1] .

وقد قرر السلف في عقائدهم كثيرا مسألة دوام الجنة والنار وأبديتهما، ومنه:

. قول ابن أبي زمنين رحمه الله تعالى:" وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوها......ولو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام. ولكن ردد ذلك ليكون له الحجة البالغة"[2].

. وقد بوّب البيهقي رحمه الله تعالى ب:" باب قول الله عز وجل في المجرمين﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(الزخرف ٧٧)،وقوله :﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم ١٧)،والبيان أن أهل النار من الكفار لا يموتون ، وهم فيها خالدون ،كما أن أهل الجنة من المسلمين لا يموتون فيها ، وهم فيها خالدون"[3].

ثم سرد بعدها جملة من النصوص الدالة على ذلك.

. وقال الإمام الآجرّي رحمه الله تعالى:"باب ذكر الإيمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبدا وأن أهل النار من الكفار والمنافقين خالدون فيها أبدا. قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى: بيان هذا في كتاب الله ﷻ، وفى سنن رسول الله ﷺ...... أن أهل الجنة خالدون فيها أبدا في

---

١ لوامع الأنوار ٢/٢٣٤ .

٢أصول السنة لابن أبي الزمنين ١/١٣٩ .

٣ البعث والنشور١/٣٢٠ .

جوار الله ﷻ، في النعيم يتقلبون ، قال الله ﷻ:﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ*لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ*وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾(الواقعة ٣٢/٣٤). وأهل النار الذين هم أهلها في العذاب السرمد أبدا،﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾(الزخرف ٧٥) "[١].

ومن النصوص الدالة على ذلك:

أولا: من القرآن الكريم:

١.قوله تعالى:﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٦٤).

٢.قوله تعالى:﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾(الدخان ٥٦)

٣.وقوله تعالى:﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(الحجر ٤٨)

٤.وقوله تعالى:﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءوَمَصِيراً﴾(الفرقان ١٥).

٥.وقوله تعالى:﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(يونس ٥٢).

٦.وقوله تعالى:﴿ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(فصلت ٢٨).

٧.وقوله تعالى:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(الزخرف ٧٧).

---

١ الشريعة ١٣٧١/٣ .

ثانيا: من السنة النبوية:

١. عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ:(يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة: فيشرئبون وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار: فيشرئبون وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾(مريم ٣٩) وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾).[1]

٢. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:(من يدخل الجنة ينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه).[2]

٣. وعن عبد الله بن عمرو ﷺ في قوله ﷻ:(﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(الزخرف ٧٧) قال: يخلي عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم أجابهم:﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ فيقولون:﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾(المؤمنون ١٠٧) قال:فيخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم :﴿ {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾(المؤمنون ١٠٨) قال:فو الله ما ينبس القوم بعد هذه الكلمة إن كان إلا الزفير و الشهيق).[3]

---

١ رواه البخاري واللفظ له،باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ ١١٨/٦، ورواه مسلم ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ١٥٢/٨ .

٢ رواه مسلم ، باب في دوام نعيم أهل الجنة ،١٤٨/٨ .

٣ رواه الحاكم في المستدرك ،كتاب الأهوال ، برقم(٨٧٧٠) ،٦٤٠/٤ ، وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم .

. وهناك قول منسوب لجماعة من السلف، منهم: "عمر و ابن مسعود و أبي هريرة و أبي سعيد وغيرهم "[1] ذهبوا إلى أنّ الجنة تبقى والنار تفنى.

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى:"وقوله:(لا تفنيان أبدا ولا تبيدان):هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف،وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها"[2].

---

١ شرح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ص ٤٨٤ .

والقول بفناء النار منسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله جميعا، وقد انقسم الناس في نسبة هذا القول لشيخ الإسلام إلى ثلاثة أقسام، قال محمد بن عبد الله السمهري:(اختلفت الآراء والمفاهيم حول موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المسألة، وذلك على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تحاملوا على ابن تيمية وجعلوه حامل لواء هذه المسألة، وجعلوا منها غرضا للنيل منه وتضليله، وعلى رأس هذا القسم الشيخ علي بن عبد الكافي السُبكي المتوفي سنة ٧٥٦هـ، فإن له رسالة بعنوان "الاعتبار ببقاء الجنة والنار" ألفها ردا على رسالة شيخ الإسلام التي أقوم بتحقيقها، لكن بالمقارنة بين الرسالتين، رسالة ابن تيمية ورسالة السُبكي، نجد أن رسالة السبكي في رسالته تلك قد تحامل على ابن تيمية، سيأتي بيان أوجه ذلك.

القسم الثاني: من أنكر نسبة القول بفناء النار إلى شيخ لإسلام ابن تيمية، وقال إنه بريء منه براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب، ومن هؤلاء الدكتور علي بن علي الحربي اليماني، مؤلف كتاب "كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار"، المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية" وسأعرض وجهة نظره في ذلك.

القسم الثالث:تأملوا النصوص الواردة عن ابن تيمية في هذه المسألة وقالوا: إنه يميل فقط إلى القول بفناء النار انطلاقا من سعة رحمة الله).

وقد بيّن أن العلة في هذا الاختلاف في آراء الناس في نسبة هذه المسألة لشيخ الإسلام هي:أن شيخ الإسلام كان ينقل الأقوال في المسألة ويفندها، بدون أن يكون له فيها رأي صريح، فقال:(لا يوجد لشيخ الإسلام – فيما أعلم – نص واضح جلي في هذه المسألة، ولكن له هذه الرسالة التي ألّفها جوابا عن سؤال وجه إليه، فأجاب بذكر آراء غيره من العلماء في ذلك، وبين الفرق بين الدوام الجنة والنار، وفنائهما، ولم يعقب على ما ذكر من الآراء بقول خاص له هو ومن هنا اختلفت الآراء والمفاهيم حول موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المسألة).

أنظر مقدمة المحقق محمد بن عبد الله السمهري لكتاب (الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك لابن تيمية) ١٨/١، وللفائدة: تنظر مقدمة المحقق كاملة، فقد حوت على كلاما نافعا وجامعا في هذا الموضوع.

٢ شرح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ص ٤٨٠ .

. الخلاصة: إنّ مسألة وجود وفناء الجنة والنار عند أهل السنة والجماعة كانت واضحة ومستقرة، وقد عبّروا عنها في عقائدهم بعبارات جامعة ومختصرة يتضح بها المراد، ومن ذلك:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار وأنهما مخلوقتان للبقاء؛ لا للفناء "[١].

وقول الطحاوي رحمه الله تعالى: " والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان،وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له "[٢].

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى في ذكر عدد الدور والعوالم:"ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ونسأله الرضى منه الموجب للجنة وما توفيقا إلا بالله الرحيم الكريم"[٣].
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الخلد في دار كرامته في جنات النعيم، وأن يجيرنا بفضله من عذاب الجحيم ، إنّه هو المولى الرحيم، اللهم آمين .

---

١ الفتوى الحموية الكبرى (٤٣٣/١)، ولعل هذا القول الصريح لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الحموية يدفع ما نسب إليه من القول بفناء النار.

٢ متن الطحاوية ص ٢٦ .

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٧٧/٣ .

المبحث الثاني:

الخلود والفناء في الدارين عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني: الخلود والفناء في الدارين عند المخالفين لأهل السنة والجماعة .

خالفت بعض الفرق كالجهمية، والمعتزلة أهل السنة والجماعة في مسألة خلود أو فناء الدارين، ونسب ابن حزم كذلك للشيعة[1] المخالفة في هذه المسألة.

فذهبت المعتزلة إلى أنّ الجنة والنار لم تخلقا بعد،وإنّما تخلقان يوم القيامة، وذهب أبو الهذيل من المعتزلة إلى القول بفناء حركات ساكني الدارين ـ الجنة والنار ـ، بينما ذهبت الجهمية إلى القول بفناء الجنة والنار.

وقد حكى كتّاب الفرق والمقالات تلك المخالفات عن هذه الفرق، ومن ذلك:

ـ قال الأشعري رحمه الله تعالى:"واختلفوا في الجنة والنار أخلقتا أم لا ؟ فقال أهل السنة والاستقامة هما مخلوقتان، وقال كثير من أهل البدع[2] لم تخلقا،واختلفوا هل تفنيان إذا أفنى الله الأشياء؟ أثبت ذلك قوم، وأنكروه آخرون[3]"[4].

ـ وقال كذلك الملطي رحمه الله تعالى:"ومنهم صنف زعموا أن الجنة والنار لم يخلقهما الله بعد، وأنهما تفنيان بعد خلقهما فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولها إلى الحزن بعد الفرح، والغم بعد السرور، والشقاء بعد الرخاء، جميع أهل الجنان من الملائكة والأنبياء والمؤمنين. وإن الجنة تخرب بعد عمارتها حتى تصير رميما لا أحد فيها.
ويخرج أهل النار بعد دخولها فيصير إلى الفرح بعد الحزن، وإلى السرور بعد الغم، وإلى الرخاء بعد الشقاء، جميع أهل النار من الأبالسة والفراعنة والكافرين. وإن النار تخرب بعد عمارتها حتى تخفق أبوابها وليس فيها أحد، فيصرف ثواب الله عن أوليائه، وعقاب الله عن أعدائه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! "[5].

---

١ سيتم توضيح مدى صحة نسبة المخالفة للشيعة في المطلب الخاص بهم ص٤٢٠ .

٢ يريد بأهل البدع هنا : المعتزلة.

٣ يشير بذلك: إلى قول أهل السنة ببقاء الجنة والنار ، وإلى قول الجهمية بفنائهما.

٤ مقالات الإسلاميين ص٤٧٤ .

٥ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٩٨ .

. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:" الباب الأول في بيان وجود الجنة الآن: لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم . فإنّهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها . إلى أن نبغت نابغة من القدرية[1] والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة"[2].

. وقال الشهرستاني أثناء حكايته عن القواعد العشر التي انفرد بها أبو الهذيل عن بقية المعتزلة،ومنها:"الخامسة: قوله: إن حركات أهل الخلدين تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار ، وهذا قريب من مذهب جهم إذ حكم بفناء الجنة والنار ..."[3].

. وقال ابن حزم رحمه الله تعالى:"الكلام في بقاء أهل الجنة والنار أبدا :قال أبو محمد[4]: اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقوما من الروافض"[5].

---

[1] القدرية: هم المعتزلة قال البغدادي:(بيان مقالات فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق).الفرق بين الفرق ٩٣/١ والقدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. التعريفات للجرجاني١ /٢٢٢ . وقال عنهم ابن القيم رحمه الله تعالى:(ثم نبغ في عهدهم . التابعين . وأواخر عهد الصحابة القدرية مجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بخسها حظها وأهملها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود إلى مشيئة العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد فأثبتوا في ملكه مالا يشاء وفي مشيئته ما لا يكون ثم جاء خلف هذا السلف فقرروا ما أسسه أولئك من نفي القدر وسموه عدلا...

ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد و قدرته و اختياره و زعمت أن حركته الاختيارية ولا اختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح و كحركات الأمواج و إنه على الطاعة و المعصية مجبور و إنه غير ميسر لما خلق له بل هو عليه مقسور و مجبور). شفاء العليل ٣/١.

٢ حادي الأرواح ١١/١ .

٣الملل والنحل ٥١/١ .

٤ أبو محمد: هو ابن حزم .

٥ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٩/٤ .

وهكذا نجد أنّ هؤلاء العلماء وغيرهم قد أشاروا إلى مخالفة تلك الفرق لأهل السنة والجماعة في مسألة الخلود أو الفناء في الدارين، وفيما سيأتي تفصيل لقول كل فرقة مع الرد على شبهها إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث:

شبه المخالفين في فناء الدارين مع بيان وجه الاستدلال.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبه الجهمية في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثاني: شبه الشيعة في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الثالث: شبه المعتزلة في فناء النار مع بيان وجه الاستدلال.

المطلب الأول: فناء النارعند الجهمية وشبههم في ذلك.

خالفت الجهمية أهل السنة والجماعة في مسألة خلود الجنة والنار، فقد ذهب الجهم بن صفوان إلى القول بأن الجنة والنار تفنيان مثل سائر المخلوقات التي ستفنى.
. قال الاسفرائيني[1] رحمه الله تعالى:"ومن ضلالات جهم قوله: إن الجنة والنار يفنيان كما يفنى سائر الأشياء"[2].
.وقال ابن حزم رحمه الله تعالى:" فمن فضايح الجهمية وشنعهم قولهم:(... أن الجنة والنار يفنيان ويفنى كل من فيهما و هذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله ﷺ وخلاف إجماع أهل الإسلام المتيقن"[3].

. وقال الأشعري رحمه الله تعالى:"وقال جهم بن صفوان: أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه"[4].

وكان قول الجهم بن صفوان بالفناء يتناول الجنة والنار على حد سواء؛ لئلا يتوهم أنه ممن ذهب إلى القول بفناء النار دون الجنة.

قال السفاريني رحمه الله تعالى:"قول من يقول: تفنى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته، ولا فرق عنده بين الجنة والنار"[5] .

---

١ الاسفراييني: هو طاهر بن محمد الاسفراييني، الشافعي، الشهير بشاهفور (أبو المظفر) مفسر، متكلم.توفي سنة ٤٧١ هـ .من تصانيفه: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . معجم المؤلفين ٣٨/٥ .

٢ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص١٠٨ .

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٥٥/٤ .

٤ مقالات الإسلاميين ص٤٧٤ .

٥ لوامع الأنوار ٢٣٥/٢ .

والذي يظهر أنّ هذا القول قد ابتدعه الجهم بن صفوان ولم يسبقه إليه أحد، وقد نسب العلماء الأفاضل للجهم هذا السبق إلى هذه الضلالة،ومن ذلك قول السفاريني رحمه الله تعالى:"وزعمت الجهمية أن الجنة والنار يفنيان ، وقال هذا إمامهم جهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ، ولا قال به أحد من أهل السنة"[1] .

. أمّا بالنسبة لشبهات الجهم بن صفوان التي دفعته إلى القول بفناء الجنة والنار:

١. قوله تعالى:﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾ (الجن٢٨).

٢. قوله تعالى:﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص٨٨).

ووجه استدلاله بالآيتين الكريمتين:

أنه لا يجوز أن يبقى شيء غير الله سبحانه وتعالى لأن الآية نصّت على هلاك كل ما عدا الله سبحانه وتعالى، وأن الجنة والنار مادام أنهما مما أحصاهما الله ﷻ ، إذن فهما فانيتان.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى حاكيا أدلة الجهم ووجه استدلاله في ذلك:"وأما جهم بن صفوان فإنه احتج بقول الله تعالى:﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾ (الجن٢٨).وبقوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(القصص٨٨)،وقال كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى، فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى"[2].

---

[1] لوامع الأنوار ٢/٢٣٤ .

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٧٠ .

والجواب عليها:

مما لا شك فيه أنّ هذا البحث متخصص في الرد على الشبهات النقلية للمخالفين، دون العقلية منها.

ولكن هذه المسألة بخصوصها وإن كان الظاهر فيها أن الجهم قد انقدحت لديه بعض الشبهات من بعض الأدلة النقلية التي سبق ذكرها، إلاّ أنّ الأمر في حقيقته . والله تعالى أعلم . أن الشبهة لديه عقلية أكثر من كونها نقلية ، وكأنّما الآيات ليست إلا من باب الاستئناس والتأييد لما ذهب إليه عقلا ، لذلك لابد من التعريج على شبهته العقلية مرورا منها إلى الشبهة النقلية.

فيقال:إنّ الأصل الذي بنى عليه الجهم حتى قال بفناء الجنة والنار هو:استحالة وجود حوادث لا آخر لها في المستقبل،كما أنه قال باستحالة وجود حوادث لا أول لها في الماضي، وهذا ما يعرف بمسألة تسلسل الحوادث.[1]

وهذا الأصل الذي بنى عليه الجهم قوله حكاه عنه الإمام ابن القيم ناسبا ذلك لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى على الجميع،فقال:"فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية، و ليس له فيه سلف قط من الصحابة و لا من التابعين و لا أحد من أئمة الإسلام،ولا قال به أحد من أهل السنة،و هذا القول مما أنكره عليه و على أتباعه أئمة الإسلام و كفروهم به و صاحوا بهم من أقطار الأرض كما ذكره عبد الله[2] بن

١وللناس في مسألة تسلسل الحوادث آراء، قال ابن اتيمية رحمه الله تعالى:(على ثلاثة أقوال معروفة عند أهل النظر من المسلمين وغيرهم :

أضعفها : قول من يقول لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل كقول جهم بن صفوان وأبي الهديل العلاف .

وثانيها قول من يقول : يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي كقول كثير من أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

والثالث : قول من يقول : يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة أهل الحديث وأئمة الفلاسفة وغيرهم)

أنظر: منهاج السنة النبوية ١٧٦/١ .

٢ عبد الله بن الإمام أحمد: هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن(٢١٣ – ٢٩٠ هـ): حافظ للحديث،. له " الزوائد " على كتاب الزهد لأبيه، و "زوائد المسند " زاد به على مسند أبيه نحو١٠ آلاف حديث و " مسند أهل البيت" في مجموع قديم بالتيمورية و " الثلاثيات". الأعلام للزركلي ٦٥/٤

الإمام احمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب[1] أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ بقول الله سبحانه وتعالى:﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾(الرعد ٣٥)وهم يقولون: لا يدوم،و بقول الله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾(سورة ص٥٤) و هم يقولون:ينفد، وبقول الله ﷻ:﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾(النحل ٩٦)، قال شيخ الإسلام:و هذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو: امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث و جعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي.."[2].

ويرد على هذا الأصل الذي استند عليه:بأنّ الله سبحانه وتعالى الحي العليم القادر لا يمتنع عليه شيء من خلقه، بل هو الفعّال لما يريد،فإذا حكم سبحانه بالبقاء والخلد للجنة والنار فلا غالب لأمره ولا رادّ لقضائه، ومثل هذه القواعد العقلية التي أسّسوها لا تؤثر في فعل الرب سبحانه وتعالى وحكمه.

. وقد ردّ ابن القيم على هذا الأصل الفاسد عند الجهم بن صفوان وأخبر بأنّ مجرد تصوّر هذا القول كاف في الحكم بفساده وبطلانه،فقال رحمه الله تعالى:" هذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك و تعالى و هو لم يزل ربا قادرا فاعل، فإنه لم يزل حيا عليما قديرا، و من المحال أن يكون الفعل ممتنعا عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجدد شيء،وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد و يكون قبله ممتنعا عليه، فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده ".[3]

---

١ خارجة بن مصعب:ابن خارجة، الإمام العامل المحدث، شيخ خراسان، مع إبراهيم بن طهمان، أبو الحجاج الضبعي السرخسي.قال الحاكم: هو في نفسه ثقة – يعني ما هو بمتهم –.وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.وقال ابن عدي: يغلط ولا يتعمد. وقال عباس، عن يحيى: ليس بثقة.وقال عبد الله بن أحمد: نهاني أبي أن أكتب احاديثه.وقال محمد بن سعد: ترك الناس حديثه واتقوه.وقال النسائي: متروك الحديث. وقال الجوزجاني: يرمى بالارجاء. توفي سنة ١٦٨هـ، وله ٧٨ سنة. سير أعلام النبلاء ٣٢٧/٧ .

٢حادي الأرواح ٢٤٤/١ .

٣ حادي الأرواح ٢٤٦/١ .

. وقال في مسألة إمكان وجود حوادث لا تتناهى في الماضي،وحوادث لا تتناهى في المستقبل: "وقال أهل الحديث بل هما سواء في الامكان و الوقوع و لم يزل الرب سبحانه تعالى فعالا لما يريد،ولم يزل و لا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال، و ليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين، و ليس من يخلق كمن لا يخلق، و من يحسن كمن لا يحسن، و من يدبر الأمر كمن لا يدبر، و أي كمال في أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل، و حقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه"[1].

. وقد تلمّس أحد كتّاب الفرق الدّافع الذي أدّى بالجهم إلى أن يقول مثل هذا القول، وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى؛ لئلا يشاركه أحد مخلوقاته في وصف الآخريّة ، كما لم يشاركوه في وصف الأوليّة، فقال:"لقد زعم الجهم وأتباعه أن الجنة والنار ستفنى بحجة أن ما لا نهاية له من الأمور الحادثة المتجددة بعد أن لم تكن يستحيل –حسب زعمه– أنها تبقى إلى ما لا نهاية، ولم يتصور أن بعض الأشياء التي شاء الله لها البقاء أنه يمتنع فناؤها.... ثم زعم جهم أن الرب يمتنع عليه إيجاد حوادث لا أول لها، مخافة تعدد الآلهة إذا قلنا بوجودها، ثم قاس هذا على نهاية الحوادث، فكما أنه يستحيل عنده وجود حوادث لا أول لها، فكذلك يمتنع القول بوجود حوادث لا آخر لها، لأن الله وحده هو الأول والآخر.... وقد ظنّ أن هذا من تنزيه الله تعالى، وهو في الواقع إساءة ظن بقدرة الله تعالى، ولم يعلم أن ما أراد الله له البقاء فإنه يمتنع عليه الانتهاء، فإن الجنة أراد الله لها البقاء والنار كذلك فيستحيل أن تفنيا، وإلا كان فناؤهما تكذيباً لكتاب الله وسنة نبيه، فإن القرآن الكريم مملوء بالأخبار عن بقائهما إلى الأبد"[2].

وقد صدق إذ قال أن هذا إساءة ظن بالله ﷻ؛ وذلك أنّ بقاء الجنة والنار وأبديتهما لا يقدح في وصف الرب جلّ جلاله بالآخر،لأنّ الرب سبحانه وتعالى الآخر . الذي لا شيء بعده . هو الذي قضى عليها بالبقاء، ودعوى تنزيه الرب عن مثل ذلك ليس من الديانة في

---

١ حادي الأرواح ٢٤٧/١ .

٢ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي ١١٥٤/٣ .

شيء، إذ لو كان فيه قدح في كمال أو جلال أو جمال الرب ﷻ لنزه نفسه عنه سبحانه، ولنزهه عنه رسوله ﷺ .

و"المقصود أن القول بفناء الجنة و النار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين و لا أحد من أئمة المسلمين، و الذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد، كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليه القول بخلق القران و نفي الصفات"[1].

أمّا بالنسبة للآيات التي اشتبهت عليه:

١.قوله تعالى:﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾"الجن٢٨).

١حادي الأرواح لابن القيم ٢٤٧/١ .

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾قال ابن عباس: أحصى ما خلق ، وعرف عدد ما خلق فلم يَفُتْه علم شيءٍ حتى مثاقيل الذر والخردل."[1].

والمقصود أنّ أهل السنة فهموا من الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء وأحصاه عددا، ومع ذلك لميقولوا أن هذا يعني فناء الجنة والنار، إذ إن إحصاء الله تعالى لكل شيء بما فيه الجنة والنار يتعلق بصفة العلم لله ﷻ ،وأمّا بقاء الجنة والنار وخلودهما فهذا من أوصافهما التي جعلها الله سبحانه لهما، ولا تعارض بين صفة الله سبحانه وتعالى وبين صفة مخلوقاته، يعني أنّ خلودهما لا يقدح في إحصاء الله سبحانه وتعالى لهما، فهما خالدتان وقد أحصاهما الله ﷻ مع سائر مخلوقاته.

٢.و قوله تعالى:﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص٨٨).

والجواب عن هذه الآية :

أن كلمة كل لا تفيد العموم المطلق دائما ، بل ذلك يعلم بحسب السياق ، فمثلا في قوله تعالى:﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(الأحقاف /٢٥)

نصٌّ على أنّ الدمار لكل شيء ، رغم وجود أشياء لم يطلها هذا الدمار كالمساكن ونحوها، فهو من باب العام المخصوص، جاء في البحر المحيط: (أي يهلك كل شيء ، وكل شيء عام مخصوص ، أي من نفوسهم وأموالهم ، أو من أمرت بتدميره)[2].

وكذلك هنا فإن لفظ العموم الوارد في آية الهلاك لا يدخل فيه الجنة والنار بدليل نص القرآن والسنة على خلودهما،وقد سبق إيراد النصوص الدالة على ذلك[3].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى معلقا على آية سورة الرحمن :﴿كُلُّمَنْعَلَيْهَافَانٍ * وَيَبْقَىوَجْهُرَبِّكَذُوالْجَلَالِوَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّآلَاءِرَبِّكُمَاتُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن ٢٨/٢٦):"ووجه النعمة في

١معالم التنزيل ٢٤٥/٨ .

٢أبو حيان الأندلسي ٤٤٦/٩ .

٣انظر المبحث الأول من هذا الفصل ص ٤٠٣ .

فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب"[1].

والشاهد من قوله: أن فناء الخلق الذي سمي في الآية هلاكا هو سبب الانتقال إلى دار الجزاء والثواب، أي الجنة والنار، فكأنه أخرج الجنة والنار من معنى الهلاك والفناء، بل جعل الهلاك موصلا إليهما، والله تعالى أعلم.

---

١ الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١٧ .

المطلب الثاني: فناء النار عند الشيعة وشبههم.

وافقت فرقة الشيعة أهل السنة والجماعة في مسألة فناء الدارين بالجملة، وعند الرجوع إلى كتبهم نجد تلك الموافقة واضحة جلية، فهم بالجملة قد قالوا: بأن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وأنهما خالدتان لا تفنيان، بل إنهم قد حكوا مخالفة بعض الفرق التي نفت خلق الجنة والنار الآن، وهذا واضح في مثل قول شيخهم المفيد:"إنّ الجنة والنار في هذا الوقت مخلوقتان،وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشرع والآثار، وقد خالف في هذا القول المعتزلة والخوارج وطائفة من الزيدية، فزعم أكثر من سمّيناه أنّ ما ذكرناه من خلقهما من قسم الجائز دون الواجب.ووقفوا في الوارد به من الآثار، وقال من بقي منهم بإحالة خلقهما، واختلفوا في الاعتلال فقال أبو هاشم الجبائي: إنّ ذلك محال، لأنّه لابدّ من فناءِ العالم قبل نشره وفناء بعض الأجسام فناء لسائرها، وقد انعقد الإجماع على أنّ اللّه تعالى لا يفني الجنة والنار "[1].

فهذا النقل كأنّما هو من كتب أهل السنة، وهو صريح وواضح في موافقتهم لأهل السنة في هذه المسألة.

ولسائل أن يسأل ما الهدف إذا من اعتبار الشيعة في هذا المبحث مخالفين لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة ؟

والجواب:أنّ الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى عندما ذكر مخالفة المعتزلة والجهمية لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة فإنه قد نسب تلك المخالفة لطائفة من الشيعة أيضا، فقال:"وقالت تلك الطائفة من الروافض أن أهل الجنة يخرجون من الجنة، وكذا أهل النار من النار إلى حيث شاء الله، قال أبو محمد: أما هذه المقالة ففي غاية الغثاثة والتعري من شيء يشغب به، فكيف من إقناع أو برهان، وما كان هكذا فهو ساقط "[2].

---

١ أوائل المقالات ص ١٢٤ .

٢الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٦٩ .

وقال أيضا:" ذكر شنع الشيعة ....ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار"[1].

والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن هذه النسبة من ابن حزم رحمه الله تعالى لا تمثل المعتقد العام للشيعة، ولا تسوّغ أن يجعل الشيعة من المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

فإن الشيعة أنفسهم عندما ذكروا معتقدهم في هذه المسألة بيّنوا أنّ هذا الأمر واقع عندهم على وجه الإجماع، ولم يخالف في ذلك أحد إلا ما نسب إلى زرارة بن الأعين[2]، وما ذهب إليه الشريف الرضي[3] في تفسيره من ترجيح كون الجنة والنار لم تخلقا الآن.

قال الشريف الرضي:" فصل:الجنة والنار مخلوقتان الآن أم تخلقان؟ في ذكر الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أم تخلقان بعد فناء العباد. وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال:هما الآن مخلوقتان، وقال بعضهم إن الجنة خاصة مخلوقة، والصحيح أنهما تخلقان بعد"[4].

١المرجع السابق٤/١٤٠ .

٢ زرارة بن أعين: هو زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، أبو الحسن: رأس الفرقة (الزرارية) من غلاة الشيعة، ونسبتها إليه. كان متكلما شاعرا، له علم بالأدب. وهو من أهل الكوفة. قيل: اسمه (عبد ربه) وزرارة لقبه. من كتبه (الاستطاعة والجبر). توفي سنة ١٥٠ هـ . الأعلام للزركلي ٣/٤٣ .

٣ الشريف الرضي: هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي(٣٥٩ - ٤٠٦ هـ): أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم.مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الاشراف في حياة والده. وخلع عليه بالسواد، وجدد له التقليد سنة ٤٠٣ هـ له (ديوان شعر)، وكتب منها: (الحسن من شعر الحسين) ، وهو مختارات من شعر ابن الحجاج، و (المجازات النبوية) و (مجاز القرآن) باسم (تلخيص البيان عن مجاز القرآن) و (مختار شعر الصابئ) و (مجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابئ من الرسائل) طبعت باسم (رسائل الص أبي والشريف الرضي) و (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) و (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب). وشعره من الطبقة الاولى رصفا وبيانا وإبداعا. الأعلام للزركلي ٦/٩٩ .

٤ حقائق التأويل للشريف الرضي ص٢٤٥ .

وقال شيخهم المفيد عن زرارة:"ويظهر من بعض الآثار أن زرارة بن الأعين من قدماء رواة الشيعة كان يقول أيضا : أن الجنة والنار لم تخلقا بعد وأنهما ستخلقان،لكن الصحيح من مذهب الإمامية ما أشرنا إليه"[1].

وهذا القول ـ بعدم خلق الجنة والنار الآن ـ قد وصفه علامتهم المجلسي بالسخف وذكر أنه لم يقل به أحد منهم غير من أشرنا إليه، فقال:" اعلم أنّ الإيمان بالجنة والنار على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل من ضروريات الدين، ومنكرهما أو مؤولهما بما أولت به الفلاسفة خارج من الدين، وأمّا كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلّا شرذمة من المعتزلة، فإنهم يقولون: سيخلقان في القيامة،والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم، مزيفة لمذهبهم، والظاهر أنه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الإمامية غير ما ينسب إلى السيد الرضي ﵀"[2].

ـ إذا علمت تلك الموافقة من الشيعة لأهل السنة في الأصل العام الذي بنيت عليه هذه المسألة وهو وجود الدارين وفناءهما ، فيمكن القول بعد ذلك بأنّ الناظر لكتب الشيعة في هذه المسألة يجد عندهم بعض المخالفات في أمور فرعية تتعلق بعادة الشيعة في تعظيمهم لآل البيت وتعليق غالب أمور الدنيا والآخرة بهم، فإنهم قد جعلوا لأئمتهم نوع تحكّم في أمر الجنة والنار، من ذلك: قول شيخهم الصدوق:" عن المفضل بن عمر[3] قال:قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(ع): لم صار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ قال لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو

---

١ أوائل المقالات ص٢٢٠ .

٢ بحار الأنوار ٨/٢٠٥ .

٣ المفضل بن عمر: أبو عبد الله وقيل أبو محمد، الجعفي كوفي فاسد المذهب، مضطرب الرواية لا يعبأ به، وقيل إنه كان خطابيا، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها، له كتاب ما افترض الله على الجوارح من الإيمان وهو كتاب الإيمان والإسلام، والرواة له مضطربون الرواية له، وله كتاب يوم وليلة وكتاب فكر: كتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار، وصية المفضل، علل الشرائع. أنظر رجال النجاشي للنجاشي ص ٤١٦ .

عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه..."[1].

وقال كذلك أحد كتّابهم:"والله تبارك وتعالى ليس بمخرج أهل الجنة منها أبدا ولا أهل النار منها أبدا، وكيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى في كتابه:﴿خَالِدِينَفِيهَاأَبَداً﴾(النساء ٥٧) ليس فيها استثناء، وكذلك قال جعفر (ع): من دخل في ولاية آل محمد دخل الجنة، ومن دخل في ولاية عدوهم دخل النار، وهذا الذي عنى الله من الاستثناء في الخروج من الجنة والنار والدخول"[2].

فظهر هنا كونهم ربطوا دخول الجنة بولاية آل البيت وأئمتهم، ودخول النار بعداوتهم.

ويظهر من هذا القول السابق أن من شبهتهم في ذلك:

الاستثناء:(إلا ما شاء ربك) الوارد في قوله تعالى:﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(هود١٠٧).
ففهموا أن معنى الاستثناء هو الولاية أو العداوة لآل البيت[3].

الجواب عليهم:

أنّ هذا الفهم منهم للآية خاطئ ـ ومبتدع ـ ، فإن هذا الاستثناء الوارد في الآية رغم كونه قد وردت فيه أقوال متعددة للعلماء، إلا أنه لا يوجد منها قول واحد يحتمل هذا المعنى الذي ذهب إليه الشيعة ـ ولاية آل البيت ـ .

وقد استوفى الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره جملة الأقوال في معنى الاستثناء ولم يشر إلى المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء لا من قريب ولا من بعيد،فقال:"قوله تعالى: (إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ) في موضع نصب، لأنه استثناء ليس من الأول، وقد اختلف فيه على أقوال عشرة:

---

١ علل الشرائع ١/١٦٢ .

٢ الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي ١/٣٧٤ .

٣ انظر النص السابق المنقول من كتبهم في نفس الصفحة.

الأولى- أنه استثناء من قوله:" فَفِي النَّارِ" كأنه قال: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك...، الثاني- أن الاستثناء إنما هو للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مدة من النار، وعلى هذا يكون قوله:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ عاما في الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء من" خالِدِينَ"...، الثالث- أن الاستثناء من الزفير والشهيق، أي لهم فيها زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب الذي لم يذكره، وكذلك لأهل الجنة من النعيم ما ذكر، وما لم يذكر، الرابع- قال ابن مسعود:﴿خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها﴿إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ﴾ وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم، ثم يجدد خلقهم.
قلت: وهذا القول خاص بالكافر والاستثناء له في الأكل، وتجديد الخلق. الخامس- أن" إِلَّا" بمعنى" سوى" كما تقول في الكلام: ما معي رجل إلا زيد، ولي عليك ألفا درهم إلا الألف التي لي عليك . قيل: فالمعنى ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود.
السادس- أنه استثناء من الإخراج، وهو لا يريد أن يخرجهم منها. كما تقول في الكلام: أردت أن أفعل ذلك إلا أن أشاء غيره، وأنت مقيم على ذلك الفعل، فالمعنى أنه لو شاء أن يخرجهم لأخرجهم، ولكنه قد أعلمهم أنهم خالدون فيها، ذكر هذين القولين الزجاج[1] عن أهل اللغة، قال: ولأهل المعاني قولان آخران، فأحد القولين:" خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ" من مقدار موقفهم على رأس قبورهم، وللمحاسبة، وقدر مكثهم في الدنيا، والبرزخ، والوقوف للحساب. والقول الآخر- وقوع الاستثناء في الزيادة على النعيم والعذاب، وتقديره:" خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ" من زيادة النعيم لأهل النعيم، وزيادة العذاب لأهل الجحيم ... وقد قيل: إن" إِلَّا" بمعنى الواو، قاله الفراء[2] وبعض أهل النظر وهو الثامن- والمعنى: وما شاء ربك من الزيادة في الخلود على مدة دوام السموات والأرض في الدنيا. .... وقيل: معناه كما شاء ربك، كقوله تعالى:﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء ٢٢) أي كما قد سلف، وهو التاسع، العاشر- وهو أن قوله تعالى:" إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ" إنما ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام، فهو على حد قوله

---

١ سبقت ترجمته ص٢١٧ .

٢ سبقت ترجمته ص١٤٧ .

تعالى:﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ"﴾(الفتح ٢٧) فهو استثناء في واجب، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك، كأنه قال: إن شاء ربك، فليس يوصف بمتصل ولا منقطع، ويؤيده ويقويه قوله تعالى:" عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ"... وقول: حادي عشر- وهو أن الأشقياء هم السعداء، والسعداء هم الأشقياء لا غيرهم، والاستثناء في الموضعين راجع إليهم، وبيانه أن" ما" بمعنى" من" استثنى الله عز وجل من الداخلين في النار المخلدين فيها الذين يخرجون منها من أمة محمد ﷺ بما معهم من الإيمان، واستثنى من الداخلين في الجنة المخلدين فيها الذين يدخلون النار بذنوبهم قبل دخول الجنة ثم يخرجون منها إلى الجنة. وهم الذين وقع عليهم الاستثناء الثاني"[١].

. هذا فيما يتعلق بمعنى الاستثناء، وأنه لا دلالة لهم فيه.

. وأمّا بالنسبة للربط بين ولاية آل البيت ودخول الجنة، وبين عداوتهم ودخول النار، فالجواب عنه أنّ الحكم بالجنة والنار لا يكون على وجه حتمي إلا بيد الله تعالى، صحيح أن الإسلام قد رتب دخول الجنة والنار على العمل، لكن يبقى أمر الجنة والنار بيد الله سبحانه وتعالى ليس لأحد من الخلق فيه حكم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب)[٢].

---

١ الجامع لأحكام القرآن ٩٩/٩ .

٢ رواه البخاري ، واللفظ له، باب نهي تمني المرء الموت ، ١٥٧/٧ ، ورواه مسلم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ،١٣٩/٨ .

المطلب الثالث: فناء النار عند المعتزلة وشبههم في ذلك.

خالفت فرقة المعتزلة أهل السنة والجماعة في مسألة وجود الجنة والنار وفنائهما في نقطتين هما:

١.وجود الجنة والنار الآن:فذهبت بعض[1] المعتزلة إلى القول بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وإنّما تخلقان يوم القيامة، وهذا خلافا لمعتقد أهل السنة بأنّ الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان.

٢.فناء الجنة والنار:ذهب بعض المعتزلة إلى أنّ الدارين ـ الجنة والنار ـ لا تزولان، ولكن حركات أهلهما تفنى وتنقطع،ويبقون في سكون دائم،فصارت نسبة الفناء عندهم لحركات أهل الدارين، وبذلك تبقى كل من الدارين معطلة، وهذا القول منسوب لأبي الهذيل العلاّف.

هذا ذكر لمخالفتهم على وجه الإجمال، وتفصيل ذلك فعلى النحو التالي:

*<u>**أمّا النقطة الأولى**</u>:قول بعضهم بأنّ الجنة والنار لم تخلقا بعد وإنّما ستخلقان يوم القيامة، فهذا القول قد حكاه عنهم الكثير من العلماء، ومن ذلك:
ما قاله صاحب المواقف:" المقصد الرابع:الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أو لا ؟ ذهب أصحابنا، وأبو علي الجبائي، وبشر بن المعتمر، وأبو الحسين البصري[2] إلى أنهما مخلوقتان،

---

١ من هؤلاء المنكرين: عباد الضيمري، وضرار ابن عمرو ،وأبي هاشم ،وعبد الجبار .

٢ أبو الحسين البصري: هو محمد بن علي الطيب، أبو الحسين البصري: أحد أئمة المعتزلة.ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٣٦ هـ . قال الخطيب البغدادي: (له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته). من كتبه (المعتمد في أصول الفقه) ، و (تصفح الأدلة) و (غرر الأدلة) و (شرح الأصول الخمسة) (الإمامة). الأعلام للزركلي ٢٥٧/٦ .

وأنكره أكثر المعتزلة كعباد الضيمري[١]، وضرار ابن عمرو ،وأبي هاشم ،وعبد الجبار وقالوا إنهما يخلقان يوم الجزاء"[٢].

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى:"الكلام في خلق الجنة والنار:ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا"[٣].
وقال التفتازاني[٤]:"جمهور المسلمين على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم، والقاضي عبد الجبار، ومن يجري مجراهما من المعتزلة، حيث زعموا أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء"[٥].

وقد لخّص الإمام ابن القيم مذهب المعتزلة في هذه المسألة وبيّن طريقة تفكيرهم التي أوصلتهم إلى هذا القول،فقال رحمه الله تعالى:" الباب الأول في بيان وجود الجنة الآن: لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها

---

١ عباد بن سليمان: هو عباد بن سليمان الضمري من كبار المعتزلة وبينه وبين عبد الله بن سعيد بن كلابة مناظرة وكان في أيام المأمون وهو الذي زعم ان بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة فردوا عليه ذلك وكان أخذ عن هشام بن عمرو وكان أبو علي الجبائى يصفه بالحذق قاله بن النديم في الفهرست وقال بن حزم في الملل والنحل كان يقول ان الله لم يخلق الكفر ولا الإيمان . لسان الميزان لابن حجر ٣/٢٢٩ .

٢ الإيجي ٣/٤٨٥ .

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٦٨ .

٤ التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين(٧١٢ - ٧٩٣ هـ): من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق) و (المطول) في البلاغة، و (المختصر) اختصر به شرح تلخيص المفتاح، و (مقاصد الطالبين) و (شرح مقاصد الطالبين) و (النعم السوابغ) في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، و (إرشاد الهادى)،و (شرح العقائد النسفية) و (حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب) الأعلام للزركلي ٧/٢١٩ .

٥ شرح المقاصد في علم الكلام ٢/ ٢١٨ .

يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا:خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها. قالوا:ومن المعلوم أن ملكا لو أتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطّلها من الناس، ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة، لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة. ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه:فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة،وشبهوا أفعاله بأفعالهم،وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب،أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان"[1].

الشبهات التي بنوا عليها هذا القول:

ذكر صاحب المواقف أنّ لهؤلاء المنكرين لوجود الجنة والنار الآن شبهات سمعية، وأخرى عقلية، فقال:"وأما المنكرون فتمسك عباد في استحالة كونهما مخلوقتين في وقتنا هذا بدليل العقل، وأبو هاشم بدليل السمع؛ إذ ليس عنده للعقل دلالة على ذلك ..."[2].

وسيكتفى هنا بذكر دليل أبي هاشم وهو الشبهة النقلية ـ التي هي موضوع البحث ـ .

١.قوله تعالى:﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾ (الرعد٣٥) مع قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(القصص ٨٨).

١ حادي الأرواح ١١/١ .

٢ المواقف للإيجي ٤٨٥/٣ .

ووجه استدلالهم بها قال صاحب المواقف:" فلو كانت الجنة مخلوقة وجب هلاك أكلها؛ لاندراجه حينئذ فيما حكم عليه بالهلاك، فلم يكن دائما وهو باطل بالآية الأولى، فتعين أنها ليست مخلوقة الآن فكذا النار"[1].

٢.و قوله تعالى:﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران١٣٣).

ووجه استدلالهم بها قال صاحب المواقف:"الثاني قوله تعالى في وصف الجنة أيضا:﴿عرضها السموات والأرض﴾ ولا يتصور ذلك إلا بعد فناء السموات والأرض لامتناع تداخل الأجسام"[2]

٣،٤. و قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم١١).

و عن ابن مسعود ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:(لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم:أنّ الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)[3].
ووجه استدلالهم بهذه الآية والحديث بيّنه ابن حزم رحمه الله تعالى:"وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة أصلا أكثر من أن بعضهم قال قد صح عن رسول الله ﷺأنه قال وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة، وبقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون أنها قالت:(رب ابن لي عندك بيتا في الجنة)، قالوا: ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى "[4].

١المرجع السابق .

٢ المرجع السابق ٤٨٩/٣ .

٣ رواه الترمذي برقم(٣٤٦٢)، ٥١٠/٥ ، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود، قال الشيخ الألباني : حسن .

٤ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٨/٤.

والجواب على هذه الشبهات:

١. أمّا بالنسبة للآية الأولى في قوله تعالى:﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾(الرعد٣٥) مع قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص ٨٨).

فيقال لهم:إنّ قولكم بعدم خلقهما الآن لئلا يشملهما الهلاك،ثم إنهما سوف تخلقان بعد ذلك ليتحقق دوام أكل الجنة يتعارض مع النصوص التي أخبرت بخلقهما وإعدادهما،كما في قوله تعالى في الجنة:﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران ١٣٣)،وفي النار:﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٤).

والصواب أن يقال: أنّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان بدليل النص في الكتاب والسنة على ذلك، وأنهما خالدتان دائمتان لا يشملهما الهلاك،وقوله تعالى:﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾ (الرعد٣٥)،دليل على التخصيص من آية الهلاك، فالأولى أن تفهم آية الدوام بأنها مخصصة لآية الهلاك لا معارضة لها.

وقد ذكر التفتازاني أوجها للجمع بين الآيتين، فقال:" أنهما لو خلقتا لهلكتا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(القصص ٨٨)، واللازم باطل للإجماع على دوامهما، وللنصوص الشاهدة بدوام أكل الجنة وظلها ، وأجيب بتخصيصهما من آية الهلاك جمعا بين الأدلة، ويحمل الهلاك على غير الفناء كما مر وبأن الدوام المجمع عليه هو أنه لا انقطاع لبقائهما ولا انتهاء لوجودهما بحيث لا يبقيان على العدم زمانا يعتد به كما في دوام المأكول فإنه على التجدد والإنقضاء قطعا وهذا لا ينافي فناء لحظة "[١].

٢. والجواب على شبهتهم في قوله تعالى:﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران١٣٣).

---

١ شرح المقاصد في علم الكلام ٢/٢١٨ .

أنّ يقال ليس المقصود بالآية أن عرض الجنة هو عين عرض السماوات والأرض حتى تقولوا بتداخل الأجسام، وإنّما المقصود هو تشبيه عرض الجنة بعرض السماوات والأرض، وحذف هنا حرف التشبيه الكاف، وذكر في موضع آخر في قوله تعالى:﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد:٢١) والقرآن يفسر بعضه بعضا.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:(قوله تعالى:﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾ تقديره كعرض فحذف المضاف،كقوله:﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ (لقمان٢٨)،أي:إلا كخلق نفس واحدة وبعثها.....نظيره في سورة الحديد﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد:٢١) "[١].

وقال صاحب المواقف:"الجواب: المراد أنها أي عرضها كعرض السموات والأرض؛لامتناع أن يكون عرضها عرضهما بعينه لا حال البقاء ولا بعد الفناء؛ إذ يمتنع قيام عرض واحد شخصي بمحلين موجودين معا أو أحدهما موجود والآخر معدوم ، وللتصريح في آية أخرى بأن عرضها كعرض السموات والأرض فيحمل هذا على تلك، كما يقال: أبو يوسف[٢]

١الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/٤ .

٢ أبو يوسف: هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف(١١٣ - ١٨٢ هـ): صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث.ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه " الرأي " وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي " قاضي القضاة " وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه " الخراج" و " الآثار" وهو مسند أبي حنيفة، و " النوادر " و " اختلاف الامصار " و " أدب القاضي " و " الأمالي في الفقه " و " الرد على مالك ابن أنس " و" الفرائض "و" الوصايا " و " الوكالة " و " البيوع " و " الصيد والذبائح "وغيرها .الأعلام للزركلي ١٩٣/٨.

أبو حنيفة[1] أي مثله "[2].

٣. والجواب على استشهادهم بآية امرأة فرعون،وحديث ابن مسعود ﷺ وغيرهما من النصوص التي تفيد أن الجنة والنار يُحدث فيهما، أن يقال:إنّ ذلك لا يعارض وجود الجنة والنار الآن، ولا يفهم منه أنهما غير مخلوقتين الآن ،بل هي تدل على أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق الجنة والنار فإنّه سبحانه لا يزال يحدث فيهما، ويكمل فيهما أمورا؛ كرامة لأوليائه و تنكيلا بأعدائه.

وقد أجاب ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى عن احتجاجهم بمثل هذه النصوص على نفي خلق الجنة والنار الآن،فقال:"فالجواب:إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور،وقيام الناس من القبور،فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر،وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها،وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئا بعد شيء،وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورا أخر فهذا حق، لا يمكن رده وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر "[3].

١ أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة(٨٠ – ١٥٠ هـ): إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي. له " مسند" في الحديث، جمعه تلاميذه، و " المخارج" في الفقه، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. وتنسب إليه رسالة " الفقه الاكبر" ولم تصح النسبة. توفي ببغداد وأخباره كثيرة. الأعلام للزركلي ٣٦/٨ .

٢ الإيجي ٤٨٥/٣ .

٣ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٩ .

*وأمّا ما يتعلق بالنقطة الثانية: وهي قول أبي الهذيل العلاّف بفناء حركات أهل الجنة والنار وانقطاعها، حتى يبقوا في سكون دائم،وتبقى كل من الدارين معطلة، فهذا القول حكاه عنه عدد من العلماء،منهم:

الأشعري رحمه الله تعالى إذ قال:"وقال أبو الهذيل بانقطاع حركات أهل الجنة والنار وأنهم يسكنون سكونا دائما"[١].

وقال السفاريني رحمه الله تعالى:"قول من يقول: تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم ، وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لا نهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم"[٢] .

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى:"وقال أبو الهذيل أن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلها، إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون، وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون"[٣].

١مقالات الإسلاميين ص٤٧٤ .

٢ لوامع الأنوار ٢/٢٣٥

٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٧٠/٤ .

وقال صاحب المواقف:" الهذيلية[1] أصحاب أبي الهذيل العلاف قالوا بفناء مقدورات الله، وأن أهل الخلدين يصيرون إلى خمود ولذلك سمّى المعتزلة أبا الهذيل جهمي الآخرة "[2].

وقد انتقد هذا الرأي الذي ذهب إليه أبو الهذيل بأنّ فيه تشويهًا لهيئة أهل الجنة إذ قد يرد عليهم السكون في حال يكون بقاؤهم عليها فيه تشويه لهم. كمن يرد عليه السكون في حال قد فتح فيه فاه وأظهر أسنانه ورفع يده استعدادا لتناول طعامه . .

فرد أحد أصحاب أبي الهذيل على هذا القول مدافعا عنه، ومبينا قصده في القول بسكون أهل الجنة وأنّه ما أراد منه تشويه صورتهم، فقال:" اعلم أيدك الله أن أبا الهذيل كان يجيب على ذلك القول الذي يبوره، وينظر فيه أن الله تعالى يصيّر أولياءه عند مجيء ذلك السكون على أجمل حال وأحسن هيئة حتى يصيروا ساكنين على أجمل حال وأحسنها "[3].

وقد نسب القاضي عبد الجبار كذلك لأبي الهذيل هذا القول، إلا أنه حكاه في معرض الإخبار عن توبته منه فيما بعد، فقال:" وكان في قلوب معتزلة بغداد موجدة عليه في قوله

---

١ الهذيلية: هي أحد فرق المعتزلة، وهم أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها. ومن هؤلاء الأصحاب:يعقوب الشحام، والآدمي، وهما على مقالته. وإنما انفردوا عن بقية المعتزلة بعشر قواعد : الأولى : أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحياة وحياته ذاته. الثانية : أنه أثبت إرادات لا محل لها يكون الباري تعالى مريدا بها وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون الثالثة : قال في كلام الباري تعالى : إن بعضه لا في محل وهو قوله (كن) وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف. الرابعة : قوله في القدر مثل ما قاله أصحابه إلا أنه قدري الأولى جبري الآخرة. الخامسة : قوله : إن حركات أهل الخلدين تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار. السادسة : قوله في الاستطاعة : إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة وفرق أفعال القلوب وأفعال الجوارح السابعة : قوله في المكلف قبل ورود السمع : إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وإن قصر في المعرفة استو العقوبة أبدا. ويعلم أيضا حسن الحسن وقبح القبيح . وقال أيضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى. الثامنة : قوله في الآجال والأرزاق.التاسعة : حكى الكعبي عنه أنه قال : إرادة الله غير المراد. العاشرة : حكى الكعبي عنه أنه قال : الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر. أنظر الملل والنحل للشهرستاني ٤٩/١ .

٢ الإيجي ٦٥٣/٣ .

٣ الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد أبي الحسين الخياط المعتزلي ص٧٢ .

بالحركات ، (فس... ...)[1] فقال كيف أقول ذلك، والله يقول ﴿ أكلها دائم وظلها﴾،وقال أبو علي:إنّما كان ذهب في ذلك إلى أنّ الحركات تنقطع ثم تاب من ذلك، وقال عند موته: ما أقدمت على كبيرة قط أعلمها كبيرة "[2].

الشبهة التي بنى عليها أبو الهذيل قوله:

اتفق أبو الهذيل العلاّف مع الجهم بن صفوان في الأصل العقلي الذي أسسوا عليه تلك الأقوال الضالة، وهذا الأصل هو امتناع وجود حوادث لا آخر لها في المستقبل، كما أنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها في الماضي.

ورغم اتفاقهم في هذا الأصل إلا أنهم اختلفوا في النتيجة . وإن كانت متقاربة . ، فوصل الجهم إلى فناء الجنة والنار كما مرّ ذكره آنفا[3]،بينما توصّل أبو الهذيل إلى فناء حركات أهل الجنة والنار .

قال الشهرستاني رحمه الله تعالى عندما ذكر القواعد التي انفرد بها أبو الهذيل عن بقية المعتزلة:" الخامسة:قوله:إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار، وهذا قريب من مذهب جهم إذ حكم بفناء الجنة والنار، وإنما التزم أبو الهذيل هذا المذهب لأنه لما ألزم في مسألة حدوث العالم أن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا

١ هذه الكلمة غير واضحة وقال عنها محقق الكتاب (كلمة غير واضحة بالأصل ويمكن قراءتها: غضبا ، وعند الحاكم: فشكاهم وقال: كيف أقول...) .

٢ فضل الاعتزال ص٢٦٠ .

٣انظر ص٤١٢ وما بعدها .

آخر لها إذ كل واحدة لا تتناهى قال : إني لا أقول بحركات لا تتناهى آخرا، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولا، بل يصيرون إلى سكون دائم "[1].

والجواب عليه:

سبق البيان ـ في مبحث الجهمية[2]ـ أنّ الأصل الذي بنى عليه الجهم ووافقه عليه أبو الهذيل هو أصل فاسد،ومع ذلك فإنّ العلاف قد التزمه فأوصله إلى القول بسكون حركات أهل الجنة والنار، وهذه النتيجة التي وصل إليها ـ السكون ـ تلزمه بنفس المحذور الذي فرّ منه في الحركة، إذ إن السكون وراء السكون يعدّ من الحوادث التي لا تتناهى.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى:" ثم نقول إن قوله هذا خلاف للإجماع المتيقن، وأيضا فإن الذي فر منه في الحركات فإنه لازم له في مدد سكونهم وتنعمهم وتأملهم لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب، وبالضرورة ندري أن للسكون والنعيم والعذاب مددا يعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق، وأيضا فلو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة في عذاب واصب وفي صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقي البنج وهذا في غاية النكد والشقاء ونعوذ بالله من هذا الحال "[3]

وقال الشهرستاني رحمه الله تعالى حاكيا قول العلاّف:"قال:إني لا أقول بحركات لا تتناهى آخرا، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولا، بل يصيرون إلى سكون دائم، وكأنه ظن أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون "[4].

---

١ الملل والنحل ٥١/١ .

٢انظر: ص٤١٥ .

٣ الفصل في الملل والاهواء والنحل ٦٩/٤ .

٤ الملل والنحل ٥٢/١ .

فيقال له: إنّك قد كلّفت نفسك وألزمتها ما لم تلزم به شرعا،ومع ذلك لم تصل إلى ما أردت.

وللأسف فهذا حال كل من ابتدع في الدين ما ليس منه ، وتكلّف ما لم يكلفه به الشرع فإنّه يناله من الحيرة والتخبط على قدر بعده عن الوحي،قال تعالى:﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج٣١).

وقال تعالى:﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة ٣٨،٣٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والفضل له سبحانه حيث أعان على إنجاز هذا البحث ، وأسأله تبارك وتعالى أن يبارك فيه ، ويتقبله منّي بقبول حسن.

ثمّ الصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد:

فإنّه قد تأكّد لي من خلال البحث مدى ما منّ الله ﷻ به على أهل السنة والجماعة من الاستقامة في معتقدها ، والوسطية في منهجها ، والسلامة من الشبه والمضلّات ، لاسيّما في مسائل اليوم الآخر التي هي موضوع البحث .

فمسائل الإيمان باليوم الآخر لها من الأثر البالغ في زيادة إيمان العبد ، ورفعة درجته ، خصوصًا وأن الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها تلك المسائل هي : التسليم لله ﷻ ، والإيمان بالغيب .

وهذا الذي تميّز به أهل السنة والجماعة هنا عمّن خالفهم ممن أقحموا عقولهم في هذه الأمور الغيبية ، وتحكّموا فيها نفيا لبعضها بالكليّة كما مرّ في شأن الدجّال ، وعذاب القبر ، والحوض المورود ، وغيرها.

أو إثباتا لأصل بعضها إثباتا يتفق مع ما تقبله عقولهم من أوصاف لها ونفي ما عداها ، مع القدح في الأدلة التي تخالف مذاهبهم بشبهات واهية.

وقد تصدّى البحث لشبهاتهم النقلية في هذه المسائل بالردّ عليها ودحضها ، وأرجو الله العلي القدير أن يجعل تلك الردود سهاما في كنانة الدفاع عن العقيدة الصحيحة.

وأهم النتائج التي وصل إليها البحث:

أولًا:أن شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة – من خلال البحث – ترجع لأحد الأسباب التالية:

١.تخصيص بعض الألفاظ العامة دون وجود مخصص كما في ص ٤٢-٤٦ .

٢.الخروج عن ظاهر النص والسياق من الآية إلى معنى غير مقصود مثل ما جاء في قوله تعالى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر ١)ص٤٧، والأصل أن الآيات والأحاديث تُفهم من خلال الظاهر والسياق.

٣.بعض الأدلة النقلية التي استندوا عليها من السنة النبوية ليست بصحيحة عند أهل السنة ، وهي في بعضها ليست بصحيحة عندهم ، وبالتالي يبطل استدلالهم بها وذلك كما في ص ٥٦ وما بعدها.

٤.ذهب بعضهم إلى إيهام التناقض في بعض النصوص التي اعتمد عليها أهل السنة، وذهب آخرون إلى أن أهل السنة توقفوا في هذا التناقض وذلك كما في ص ١١١ وما بعدها ، وهذا غير صحيح، وإنّما مذهب أهل السنة قائم على الجمع بين النصوص وعدم وجود التناقض بينها.

٥.استخدام بعض المغالطات التاريخية كما في ص ١١٧ وما بعدها.

٦.أن الخوارج و الشيعة والجهمية والمعتزلة خالفوا أهل السنة والجماعة في مسائل اليوم الآخر ، لكن المعتزلة هم أكثر الفرق اختلافا بيننا وبينهم، وبعدهم الجهمية ، ثم الشيعة ، ثم الخوارج.

٧.أن بعض المخالفين يستدلون على بعض آرائهم بأدلة ليس لها أي وجه صلة بالرأي المستدل عليه، وهذا يكثر عند الشيعة كما هو ملاحظ في مسألة المهدي ص ٤٧ وما بعدها.

٨.الاعتماد على بعض الآيات وعدم الأخذ بمجموع النصوص كما في مسألة الميزان عند الشيعة ص ٢٧٨.

ثانيًا:فيما يتعلق بمسألة المهدي من التوقف عن الجزم في تحديد نسب المهدي.
حيث ذهب أهل السنة إلى كونه من ولد الحسن بن علي ﵄ ، بينما ذهب الشيعة إلى أنه من ولد الحسين بن علي ﵄ ، وكلا المذهبين لم يعتمدا على دليل صحيح في ذلك – حسب ما وصل إليه البحث – ، لذلك فالأولى هو التوقف عن الجزم في تحديد هذه النسبة ، مع اليقين أنه من نسل أحدهما لا محالة .

ثالثًا: التحري والتثبت عند نسبة المخالفة لبعض الفرق في بعض المسائل .
مثل مسألة نزول عيسى ﵇ :
فقد كشف البحث عن عدم الدقة في نسبة المخالفة لكل من المعتزلة والجهمية بإنكار نزول عيسى ﵇ – وهذا على حدّ علمي القاصر – والله تعالى أعلم .

* وأخيرا أحب أن أوصي إخوتي من طلبة العلم بإكمال الشق الآخر من هذا المشروع الرائد والذي يتمثل في دراسة الشبهات العقلية لمسائل الاعتقاد ، وسيجدوا المجال فيها خصبًا واسعًا ، لأن الأغلب في حال المخالفين أنهم يجنحوا إلى العقل ، بدون أن يلقوا كبير الاهتمام للنقل.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٨٥	٢٧٩
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾	٩٣	١١٠
﴿وَلَنيَتَمَنَّوْهُأَبَداًبِمَاقَدَّمَتْأَيْدِيهِمْوَاللّهُعَلِيمٌبِالظَّالِمينَ﴾	٩٥	٣٩١
﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾	١٤٣	٢٢٩ ٢٣٠
﴿وَإِذَاسَأَلَكَعِبَادِيعَنِّيفَإِنِّيقَرِيبٌأُجِيبُدَعْوَةَالدَّاعِإِذَادَعَانِفَلْيَسْتَجِيبُواْلِيوَلْيُؤْمِنُواْبِيلَعَلَّهُمْيَرْشُدُونَ﴾	١٨٦	٣٦٩

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٤٦	١٣٣
﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾	٥٥	١٣٩ ١٤٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾	١٠٢	٢٧٤
﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	٣٩٩ ٤٢٨-٤٢٩
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾	١٩٢	٣٧٠ ٣٧٥
﴿ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	١٩٩	٢٣٥

سورة النساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وكَفَى باللّهِ حَسِيباً﴾	٦	٢١٧
﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ﴾	٢٢	٤٢٣
﴿إِنتَجْتَنِبُواْكَبَآئِرَمَاتُنْهَوْنَعَنْهُنُكَفِّرْعَنكُمْسَيِّئَاتِكُمْوَنُدْخِلْكُممُّدْخَلاًكَرِيماً﴾	٣١	٣٨٤
﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٤٠	٢٥٦
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾	٤١	٢٢٨ ٢٣٠
﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِوَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾	٤٨	٣٨٨
﴿خَالِدِينَفِيهَاأَبَداً﴾	٥٧	٤٢٢
﴿إِنَّاللّهَكَانَعَلَىكُلِّشَيْءٍحَسِيباً﴾	٨٦	٢١٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾	١١٦	٣٩٣
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً*بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً* وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾	١٥٧- ١٥٩	١٣٢
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾	١٥٩	١٣٣
﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾	١٧٣	٣٧٨

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٤	٢٣٦
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾	٤٨	١٠٩

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	١١٧	١٤٨ ٢٠٢

سورة الأنعام

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ ...﴾	٥٩	١٠٢
﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾	٦٢	٢١٩
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ ... ﴾	٩٣	١٥٨
:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ...﴾	١٥٨	١٠١

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦	٢١٩
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾	٨	٢٦٦
﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤	٣٩٤

سورة التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
ﷻ:﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾	١٠١	١٥٧

سورة يونس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ...﴾	٤٥	٢٠٢
﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ...﴾	٥٢	٤٠٤

سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
ﷻ:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	١٧	٢٢٩-٢٣٢

﴿ هَؤُلاءِالَّذِينَكَذَبُواْعَلَىرَبِّهِمْأَلاَلَعْنَةُاللّهِعَلَىالظَّالِمِينَ﴾	١٨	٢٢١
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾	٩٨	٣٢٨
﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾	١٠٣	٢١١
﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	١٠٧	٤٢٤

سورة يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾	٨٧	٣٥٩

سورة الرعد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا﴾	٣٥	٤١٦ ٤٢٩

سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٥	٤٢
﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ...﴾	١٧	٤٠٣
﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ...﴾	٢٧	١٦٠
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ... ﴾	٤٨	٢١٢

سورة الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥	٢٠٢
﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾	٤٨	٤٠٤

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٢	٢١٩

سورة النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ ...﴾	٨٩	٢٣١
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾	٩٦	٤١٦

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراًاقْرَأْ كَتَابَكَ ...﴾	١٣-١٤	٢٤٤-٢٤٥
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾	٧١	٢٤٥
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾	٧٩	٣٤٠

سورة الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾	٤٧	٢٠٢ ٢١١
﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾	٤٩	١٦٧ ٢٤٥
﴿فَلَانُقِيمُلَهُمْيَوْمَالْقِيَامَةِوَزْناً﴾	١٠٥	٢٥٦-٢٦٦ ٢٧١

سورة مريم

الآية	رقم الآية	الصفحة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍوَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٩	٤٠٥
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾	٥٨	٢٠٢
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾	٧١	٣١٣ ٣٢٥

سورة طه

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾	١٢٩	١٤٧
﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾	١٠٨	٢١٣

سورة الأنبياء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾	٢٨	٣٥٤-٢١٣ ٣٧٥-٣٥٦
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ...﴾	٤٧	٢٦٣-٢٥٣ ٢٦٦
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ...﴾	٩٨	٣٢٨
﴿لَايَحْزُنُهُمُالْفَزَعُالْأَكْبَرُوَتَتَلَقَّاهُمُالْمَلَائِكَةُ...﴾	١٠٣	٢٠٨
﴿ كَمَابَدَأْنَاأَوَّلَخَلْقٍنُّعِيدُهُ﴾	١٠٤	٢٠٢
﴿ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾	١٠٥	٤٤

سورة الحج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء ...﴾	٣١	٤٣٨

سورة المؤمنون

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٨	٦٦	﴿أَعْقَابِكُمْتَنكِصُونَ﴾
٢٥٤ ٢٦٧	١٠٢	﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾
٤٠٥	١٠٧ ١٠٨	رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾

سورة النور

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٦١	١٥	﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

سورة الفرقان

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٠٤	١٥	﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءوَمَصِيراً ﴾

سورة الشعراء

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢١٣	٨٧-٨٩	﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
٣٦٥	١٠٠- ١٠٢	﴿فَمَالَنَامِنشَافِعِينَ *وَلَاصَدِيقٍحَمِيمٍ * فَلَوْأَنَّلَنَاكَرَّةًفَنَكُونَمِنَالْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٥٥	١٠٥	﴿كَذَّبَتْقَوْمُنُوحٍالْمُرْسَلِينَ﴾
٢١٩	١١٣	﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾
٢٥٥	١٢٣	﴿كَذَّبَتْعَادٌالْمُرْسَلِينَ﴾
٢١٣	٢١٤	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

سورة النمل

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٤ ١٨٦	٨٠	﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْامُدْبِرِينَ﴾

سورة القصص

الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢٦	٢٣	﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ﴾
٤١٢ ٤١٧	٨٨	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

سورة العنكبوت

الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٣	١٠	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ..﴾
٤٠٢	٦٤	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

سورة الروم

الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٨	٤	﴿لِلَّهِالْأَمْرُمِنقَبْلُوَمِنبَعْدُ﴾
١٨٤ ١٨٦	٥٢	﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾
١٧٥ ١٧٧	٥٥	﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾

سورة لقمان

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٣٦	٢٨	﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾

سورة السجدة

الصفحة	رقم الآية	الآية

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	٧	٢٥٧
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٧	٤٠٠
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾	٢٠	٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٨ ٣٦٠

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾	٨	٢١٩
﴿وكَفَى باللَّهِ حَسِيباً﴾	٣٩	٢١٧
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾	٤٠	١٤٩
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾	٧٢	١٨٩

سورة فاطر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾	٢٢	١٨٤ ١٨٦

سورة يس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾	٥٢	١٧٥

سورة الصافات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾	٢٢	٢٠٢

سورة ص

الآية	رقم	الصفحة

	الآية	
﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾	٢٨	٣٤٩
﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾	٥٤	٤١٤

سورة الزمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾	١٩	٣٧٤
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾	٣٠-٣١	٢٢٠
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	٣٦	٣٦٨
﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾	٤٤	٣٦٥-٣٦٨
﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ... ﴾	٦٩	٢٤٤

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾	٧	٣٥٦
﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾	١١	١٨٣ ١٨٤
﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	١٦	٢١٢
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	١٧	٢٣٥
﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	١٨	٣٥٣ ٣٥٧ ٣٧٤
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	٤٦	١٥٧ ١٦٥

		١٧٤
﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	٥٧	١٠٢

سورة فصلت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٩	٢٠١
﴿ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ...﴾	٢٨	٤٠٢
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	٥٣	٤٩

سورة الشورى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قُللاَّأَسْأَلُكُمْعَلَيْهِأَجْرًاإِلاَّالْمَوَدَّةَفِيالْقُرْبَى﴾	٢٣	٦٢

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِلَّامَنشَهِدَبِالْحَقِّوَهُمْيَعْلَمُونَ﴾	٨٦	٤١
﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾	٦١	١٠١ ١٣٣ ١٤٠
﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾	٧٥	٤٠٢
﴿يَامَالِكُلِيَقْضِعَلَيْنَارَبُّكَ﴾	٧٧	٣٩٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣

سورة الدخان

الآية	رقم الآية	الصفحة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	٤١-٤٢	٣٦٧
﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾	٥٦	١٥٦ ١٧٥-١٧٦ ١٨٣ ٤٠٢

سورة الجاثية

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾	٨	١٨ ٧
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	٢ ١	٣٥ ٠
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ...﴾	٢ ٣	٩٤ ١٢ ٧
﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢ ٩	٢٤ ٥ ٢٨ ٥

سورة محمد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾	٢٨-٢٧	١٥٨

سورة الفتح

الآية	رقم الآية	الصفحة

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ"﴾	٢٧	٤٢٤

سورة ق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾	٣٧	٣٥٩
﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾	٤٤	٢٠١

سورة النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى*عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى*عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾	١٣-١٥	٣٩٩
وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾	٢٦	٣٣٩

سورة القمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	١	٤٧

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	٥	٢١٧
﴿كُلُّمَنْعَلَيْهَافَانٍ * وَيَبْقَىوَجْهُرَبِّكَذُوالْجَلَالِوَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّآلَاءِرَبِّكُمَاتُكَذِّبَانِ﴾	٢٦-٢٨	٤١٨

سورة الواقعة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ*لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ*وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾	٣٢-٣٤	٤٠٢
﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾	٤٩-٥٠	٢١١

سورة الحديد

الآية	رقم الآية	الصفحة

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	١٣	٣٣١
﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٤٣٠
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُالْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾	٢٥	٢٧٦-٢٧٧ ٢٨٣-٢٨٦

سورة التحريم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾	٨	٣٥٩
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ...﴾	١١	٤٢٨

سورة الملك

الآية	رقم الآية	الصفحة
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...﴾	٢	١١٧
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٢٤	٢٠١

سورة القلم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَفَنَجْعَلُالْمُسْلِمِينَكَالْمُجْرِمِينَ *مَالَكُمْكَيْفَتَحْكُمُونَ﴾	٣٥-٣٦	٣٥٠

سورة الجن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً*عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾	٢٥-٢٨	١٠٣ ٤١٢ ٤١٧

سورة المدثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	٣٣٨

سورة النبأ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾	٣٨	٢١٢

سورة التكوير

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾	١٠	٢٤٥

سورة الانفطار

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ*كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾	١٠-١١	٢٤٧

سورة المطففين

الآية	رقم الآية	الصفحة
:﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٦	٢١٢

سورة الانشقاق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ*فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾	٧-٩	٢٢٠-٢٣٥

سورة الغاشية

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾	٢٥-٢٦	٢٢٨-٢٣٣

سورة الزلزلة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾	٧-٨	٢١٩

سورة الكوثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ*فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ	١-٢-٣	٢٩٠

		الْأَبْتَرُ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر و المراجع

* القرآن الكريم .

١. الإبانة عن أصول الديانة، لعلي بن إسماعيل أبي الحسن الأشعري ، تحقيق: فوقية حسين محمود ، دار الأنصار – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ .
٢. ابن عثيمين الإمام الزاهد ، لناصر بن مسفر الزهراني ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .
٣. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، حمود بن عبد الله التويجري (ت:١٤١٣هـ) ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، لمحمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.
٥. أحكام الجنائز ، لناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .
٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .
٧. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق: محمد يوسف موسى – علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي – مصر ، ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .
٨. الاستذكار ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٩. الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٠. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

١١.أشراط الساعة النص والتاريخ ، لخالد بن مبارك الوهيبي ، مكتبة الغبيراء — سلطنة عمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .

١٢.الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل — بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

١٣.أصل الاعتقاد ، لعمر سليمان الأشقر ، الدار السلفية — حولي — شارع تونس ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

١٤.أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ، مطبعة الدولة — استانبول ، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ — ١٩٢٨م .

١٥.أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ، لناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ — ١٩٩٤ م .

١٦.الاعتقادات في دين الإمامية ، للشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) ، تحقيق: عصام عبد السيد ، دار المفيد — لبنان/بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣م

١٧.الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة —كانون الثاني / يناير ١٩٧٩م .

١٨.إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للعلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت:٥٤٤ هـ) ، تحقيق: يحيى إسماعيل ، دار الوفاء — المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

١٩.الإمام الثاني عشر ، للسيد محمد سعيد الموسوي (ت:١٣٨٠) ، تحقيق: علي الحسيني الميلاني ، منشورات مكتبة نينوى الحديثة —كربلاء .

٢٠.الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال ، محمد باقر الإيرواني ، مركز الأبحاث العقائدية — قم/إيران ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .

٢١.الإمام مالك في الموطأ ، لمالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – مصر .
٢٢.الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي ، تحقيق: د.نيبرج ، مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
٢٣.أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، لجمال الدين عبد الرحمن الجوزي (ت:٥٩٧ هـ) ، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع ، دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت ، الطبعة : الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٤. أوائل المقالات ، للمفيد (ت: ٤١٣ هـ) ، تحقيق: إبراهيم الأنصاري ، دار المفيد للطباعة – لبنان/بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
٢٥.الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات ، لنعمان بن محمود الألوسي ، تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت/دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ – الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ – الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
٢٦.بحار الأنوار ، للمجلسي (ت:١١١١) ، تحقيق: يحيى العابدي ، دار إحياء التراث العربي – لبنان/بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٢٧.بحث على الشبكة العنكبوتية بعنوان: الشيعة وشفاعة الأنبياء والأئمة للشيخ علي البامياني، يراجع الموقع : http://alerfan0.jeeran.com/a9.htm
٢٨.البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
٢٩.بصائر الدرجات ، لمحمد بن الحسن الصفار (ت:٢٩٠) ، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي ، منشورات الأعلمي – طهران ، ١٤٠٤هـ – ١٣٦٢ ش.

٣٠.البعث والنشور ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) ، تحقيق: عامر أحمد حيدر ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت/لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
٣١.البعث والنشور الحياة بعد الموت ، لأبي بكر ابن أبي داود السجستاني ، تحقيق: الشيخ الحويني السلفي ، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة .
٣٢.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، لبنان / صيدا .
٣٣.بيان الشرع ، لمحمد بن إبراهيم الكندي ، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عمان، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
٣٤.البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ، للقاضي أبي بكر محمد الباقلاني ، صححه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ، المكتبة الشرقية – بيروت ١٩٥٨هـ .
٣٥.البيان في تفسير القرآن ، للسيد الخوئي (ت: ١٤١١ هـ) ، دار الزهراء – بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
٣٦.تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمّد بن محمّد الحسيني، الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
٣٧.تاريخ الأمم والملوك للطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
٣٨.التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر .
٣٩.تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حَجَر العسقلاني ،(ت:٨٥٢ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي ، المكتبة العلمية - بيروت/لبنان .

٤٠.التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، لطاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٤١.التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٤٢.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية — بيروت .
٤٣.تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي ، تحقيق: عبد الله السعد ، دار ابن خزيمة – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
٤٤.تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة — الرياض .
٤٥.التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج — الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
٤٦.تراجم الرجال ، للسيد أحمد الحسيني ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي — قم ، ١٤١٤ هـ .
٤٧.تصحيح اعتقادات الإمامية ، للشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) ، تحقيق: حسين دركاهي ، دار المفيد — بيروت/لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م .
٤٨.التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي — بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
٤٩.تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: زكريا عبد

المجيد النوقي – أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م .

٥٠.تفسير البيضاوي ، لناصرالدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر — بيروت .

٥١.تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، الطبعة : الثانية ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م

٥٢.تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم ، لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي ، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، مكتبة السنة – القاهرة – مصر ، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م .

٥٣.التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ — ١٩٨٩م .

٥٤.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي – محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ هـ ،.

٥٥.التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث — القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

٥٦.تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهذاني (ت:٤١٥) ، دار النهضة الحديثة — بيروت/لبنان .

٥٧.تهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٥٨.تهذيب الكمال ، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (ت:٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
٥٩.تيسير العزيز الحميد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .
٦٠.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:١٣٧٦هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م
٦١.الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
٦٢.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) ،تحقيق:محمود محمد شاكر ، مراجعة: أحمد محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية
٦٣.الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) ، دار الشعب – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م . وهذه النسخة موافقة لطبعة المشهد الحسيني– القاهرةمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر.
٦٤.الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار الأفاق الجديدة . بيروت .
٦٥.الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٦. الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، للربيع بن حبيب ، مكتبة الثقافة الدينيية – ميدان العتبة .

٦٧.الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٦٨.الجرح والتعديل ، للإمام الحافظ شيخ الاسلام ابى محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت:٣٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م

٦٩.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لمحمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٧٠.حاشية الكلنبوي على شرح الجلال الداوني على العقائد العضدية ، لإسماعيل الكلنوبي ، مطبعة دار سعادات – تركيا ، ١٣١٩هـ .

٧١.الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

٧٢.حقائق التأويل ، للشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ) ، تحقيق: محمد رضا آل كاشف الغطاء ، دار المهاجر – بيروت/لبنان ، دار الكتب الإسلامية – قم/إيران .

٧٣. الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار ، لغالب بن علي عواجي ، الدار العصرية – جدة ، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٧٤.حياة الإمام المهدي ، لباقر شريف القرشي ، مطبعة أمير ، الناشر : ابن المؤلف ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧٥.خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر - حلب / بيروت الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ .

٧٦.الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ، لغالب بن علي عواجي ، رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز لعام ١٣٩٨هـ — ١٣٩٩هـ — (مخطوط) في مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى ، رقمه:(٢٢٤) .

٧٧.درء تعارض العقل والنقل ، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٧٨.الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ ، عمادة شؤون المكتبات — جامعة الملك سعود — الرياض .

٧٩.الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، لعلي محمد محمد الصلابي ، دار الفجر للتراث ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م .

٨٠.رجال ابن داود ، لابن داود الحلي (ت: ٧٤٠ هـ) ، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات مطبعة الحيدرية — النجف ، ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٨١.رجال النجاشي للنجاشي (ت: ٤٥٠ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم ، الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ .

٨٢. الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد بن عبد الله السمهري ، دار بلنسية — الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٨٣. الرسالة ، لمحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار النشر: القاهرة، ١٣٥٨ – ١٩٣٩ م .

٨٤.رسالة إلى أهل الثغر ، لعلي بن إسماعيل أبي الحسن الأشعري ، تحقيق : عبدالله شاكر المصري ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية–لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

٨٥.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي ، تحقيق:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية . بيروت ،١٤١٥هـ.

٨٦. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، محمد بن أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥ م .

٨٧.رياض الجنة بتخريج أصول السنة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن أبي زَمَنِين (ت:٣٩٩)، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

٨٨.زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .

٨٩.سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، دار المعارف - الرياض ، الطبعة : الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

٩٠. السلسلة الصحيحة ، لناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي — بيروت دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩ م ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

٩١. سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر — بيروت .

٩٢.سنن أبي داوود مع حاشية عون المعبود ، لأبي داود السجستاني ، دار الكتاب العربي، الناشر: دهلي .

٩٣.سنن النبي ﷺ ، للطباطبائي ، تحقيق محمد هادي الفقهي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين — قم ، ١٤١٩ هـ .

٩٤.سير أعلام النبلاء ، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت:٧٤٨ هـ ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة .

٩٥.الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسألتي الإمامة والصحابة ، لأنس بن سعيد بن مسفر ، رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى لعام: ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م ، (مخطوط) في مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى ، رقمه (٦٧٠٩) .

٩٦.الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل القدر، لهند القثامي ، رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى لعام: ١٤٢٨هـ — ١٤٢٩هـ ، (مخطوط) في مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى ، رقمه (٧٢٠٠).

٩٧.شجرة طوبى ، محمد مهدي الحائري ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها — النجف ، الطبعة الخامسة ١٣٨٥ هـ .

٩٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لهبة الله بن الحسن اللالكائي أبو القاسم ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

٩٩. شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م .

١٠٠. شرح السنة ، للحسن بن علي بن خلف البربهاري ، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم — الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٠١. شرح السنة ، للحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق _ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١٠٢. شرح سنن ابن ماجه ، للسيوطي – وعبدالغني – وفخر الحسن الدهلوي ،الناشر : قديمي كتب خانة —كراتشي .

١٠٣. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور/لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

١٠٤. شرح العقائد العضدية ، لمحمد بن أسعد الصديق جلال الدين الداويني .

١٠٥. شرح العقيدة الأصفهانية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق:إبراهيم سعيداوي ، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

١٠٦. شرح العقيدة الطحاوية ، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، خرّج أحاديثه: سليمان القاطوني ، دار المودة – المنصورة ، الطبعة الأولى : ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م .

١٠٧. شرح العقيدة الطحاوية/لابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ .

١٠٨. شرح المقاصد في علم الكلام ، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، دار المعارف النعمانية – باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

١٠٩. شرح لمعة الاعتقاد ، لمحمد بصالح العثيمين ، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف – الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

١١٠. شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن/لأبي حفص عمر بن شاهين ، تحقيق : عادل بن محمد ، مؤسسة قرطبة ،الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

١١١. شرح نهج البلاغة ، لأبي حامد عز الدين بن أبي الحديد المدائني ، تحقيق: محمد عبد الكريم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

١١٢. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لعبيد الله بمحمد بن بطة العكبري (ت:٣٨٧هـ) ، دار أطلس – المملكة العربية السعودية/الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١١٣. الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي ، دار الوطن – السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

١١٤. شعب الإيمان ، لأحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد - الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
١١٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر - بيروت — ١٣٩٨ هـ .
١١٦. الصحاح في اللغة للجوهري ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي ، تحقيق:إميل بديع يعقوب — محمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية (بيروت — لبنان) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١١٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي(ت: ٣٥٤هـ). تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة — بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م .
١١٨. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لمحمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة — الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م .
١١٩. الضعفاء والمتروكين ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٧٩ هـ) ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية — بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
١٢٠. الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري (ت:٢٣٠ هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر — بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ م .
١٢١. طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

١٢٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

١٢٣. العقيدة الواسطية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد بن عبد العزيز بن مانع ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء – الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

١٢٤. علل الشرائع ، للشيخ الصدوق (ت:٣٨١ هـ) ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

١٢٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود ، تحقيق:عبد الرحمن محمد عثمان ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة : الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

١٢٦. غاية المرام في علم الكلام ، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٣٩١ هـ .

١٢٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٢٨. غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

١٢٩. الغيبة ، للطوسي (ت: ٤٦٠) ، تحقيق: عباد الله الطهراني – علي أحمد ناصح ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٣٠. الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة ، لمحمود شلتوت ، دار الشروق – القاهرة ، الطبعة الثامنة عشر ١٣٢١هـ – ٢٠٠١ م.

١٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة - بيروت .

١٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .

١٣٣. الفتوى الحموية الكبرى ، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي ، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

١٣٤. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.

١٣٥. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها ، للدكتور غالب عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية – جدة ، الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٣٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، مكتبة الخانجي – القاهرة

١٣٧. الفصول المهمة في أصول الأئمة ، للحر العاملي ، تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني ، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٣٧٦ ش .

١٣٨. الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، لعلي بن محمد المالكي المعروف: بابن الصباغ (ت:٨٥٥) ، تحقيق: سامي الغريري ، دار الحديث – قم ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٣٩. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، لأبي القاسم البلخي (ت:٣٤٩هـ) – والقاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ) – والحاكم الجشمي (ت:٤٩٤هـ) ، تحقيق: فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٤ م .

١٤٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت:١٠٣١هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م

١٤١. القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة — بيروت .

١٤٢. قصص الأنبياء ، للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (ت:٧٧٤ هـ) ، تعليق: محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية — صيدا/بيروت/لبنان ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٤٣. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٤٤. قواعد فقه التعامل مع المخالفين، الشيخ الدكتور سليمان الماجد بحث منشور على نفس موقع الشيخ:
http://www.salmajed.com/artman2/publish/_29/294.shtml[/align

١٤٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) ، وحاشيته للامام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي (ت: ٨٤١ هـ) ، تعليق محمد عوامة - أحمد محمد نمر الخطيب ، دار القبلة للثقافة الاسلامية - مؤسسة علوم القرآن جدة .

١٤٦. الكافي ، للكليني (ت:٣٢٩) ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية — طهران ، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش.

١٤٧. كتيب الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، لعلي يحيى معمر ، لم تدون عليه بيانات الطبعة .

١٤٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لجار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت: ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

١٤٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م .

١٥٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

١٥١. كفاية الأثر ، للخزاز القمي (ت: ٤٠٠) ، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني ، الناشر: انتشارات – بيدار ، ١٤٠١هـ .

١٥٢. كمال الدين وتمام النعمة ، للصدوق (ت:٣٨١) ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ١٤٠٥ هـ — ١٣٦٣ ش .

١٥٣. لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، تحقيق : تصحيح محمد على شاهين ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٥ هـ .

١٥٤. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر — بيروت، الطبعة الأولى.

١٥٥. لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية — الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

١٥٦. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت:١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها — دمشق ، الطبعة : الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

١٥٧. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ، لناصر العقل ،دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٥٨. متن العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، لأبي جعفر الطحاوي الحنفي (ت:٣٢١هـ) ، دار ابن حزم – بيروت/لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

١٥٩. متن القصيدة النونية ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ .

١٦٠. المجتبى من السنن (سنن النسائي) ، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

١٦١. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، لمحمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي - حلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .

١٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧ هـ .

١٦٣. مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة ، لناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الصفوة- القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

١٦٤. مجموع الفتاوى ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية .

١٦٥. محاضرات في الإلهيات ، لجعفر السحباني ، مؤسسة الإمام الصادق – قم .

١٦٦. محاضرة بعنوان :شرح العقيدة الواسطية للشيخ: يوسف الغفيص من موقع الإسلام ويب صوتيات

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=%20138025

١٦٧.	محمد أنور شاه الكشميري وآراؤه الإعتقادية عرض ونقد ، لمحمد عبد الله فاروق أنصاري ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى لعام: ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م ، (مخطوط) في مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى ، رقمه (٦٥٩١) .

١٦٨.	مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م .

١٦٩.	مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة ، لمحمد بن إبراهيم الحمد .

١٧٠.	المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

١٧١.	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي — بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .

١٧٢.	مروج الذهب ، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي ، شرح وتقديم:مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية — بيروت/لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

١٧٣.	المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية — بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ — ١٩٩٠ م .

١٧٤.	المسترشد ، لمحمد بن جرير الطبري(الشيعي) (ق٤) ، ت: أحمد المحمودي ، مؤسسة الثقافة الإسلامية — لكوشانبور ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

١٧٥.	مسند الإمام أحمد بن حنبل ، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تعليق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة — القاهرة .

١٧٦.	مسند الربيع بن حبيب دراسة نقدية ، للشيخ سعد آل حميد ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد (٤٧) – ١٤٣٠ هـ .
١٧٧.	مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض اليحصبي المالكي ، المكتبة العتيقة ودار التراث .
١٧٨.	مشارق أنوار العقول ، لأبي محمد عبد الله بن حميد السالمي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .
١٧٩.	مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ، دمشق ١٣٨١هـ-١٩٦١م ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
١٨٠.	مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق - الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م ، بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
١٨١.	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ) ، تحقيق:عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم- الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
١٨٢.	معالم التنزيل ،لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٠هـ) ، تحقيق :محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ .
١٨٣.	معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر .
١٨٤.	معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر – بيروت .

١٨٥.	المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين كتاب إلكتروني على الشبكة:

http://www.kl28.net/knol3/print.php?post=55396

١٨٦.	المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، لعبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، الطبعة الثانية ١٩٩٥م ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

١٨٧.	المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء – الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .

١٨٨.	معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، مكتبة المثنى .

١٨٩.	معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (ت:١٤١١) ، الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

١٩٠.	معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٩١.	معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر – الرياض ، الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٩٢.	مفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٩٣.	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ، تحقيق: محيي الدين ديب مستو – أحمد محمد السيد –

يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ودار الكلم الطيب ، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

١٩٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

١٩٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لعلي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، تحقيق: هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة .

١٩٦. الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤هـ .

١٩٧. المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي(ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

١٩٨. منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق:د. محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى.

١٩٩. المنهاج شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٢٠٠. المواقف ، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .

٢٠١. موقع الحوزة العلمية الزينبية ، أنظر :

http://alhawzaonline.com/exam/mewad.php ،

٢٠٢. موقع الشيخ الألباني على الشبكة العنكبوتية:

http://www.alalbany.net/albany_serah.php

٢٠٣. موقع على الشبكة العنكبوتية (ترجمة للشيخ عبد الله الغماري):

http://www.alsunna.org/ghummari.htm

٢٠٤. موقع على الشبكة العنكبوتية (السيرة الذاتية للدكتور سعد عبد الله عاشور)
/http://site.iugaza.edu.ps/sashoor/cv

٢٠٥. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير – الرياض ،الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

٢٠٦. نظرات حول المذهب الإباضي ، لمريم بنت سعيد القتبية ، مراجعة مبارك بن عبد الله الراشدي ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع .

٢٠٧. نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، تحقيق: شرف حجازي ، دار الكتب السلفية – مصر ، الطبعة الثانية.

٢٠٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دارالكتاب اللبناني– بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م .

٢٠٩. النهاية في الفتن والملاحم ، للإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، تحقيق: الاستاذ عبد الشافعي ، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ، الطبعة : الاولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٢١٠. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢١١. الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية ، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي ، دار التوحيد – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٢١٢. الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط – وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م .

٢١٣. والتعليقات على شرح العقائد العضدية ، لجمال الدين الحسيني الأفغاني – ومحمد عبدو، تحقيق: سيد هادي خسرو شاهي ، مكتبة الشروق الدولي — القاهرة ، الطبعة الأولى ١٢٢٣ هـ — ٢٠٠٢ م .

٢١٤. وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، رسائل الدعوة السلفية .

٢١٥. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري ، تقديم:الشيخ صالح آل الشيخ .

فهرس الموضوعات